الإعلام الدولي

والعولمة الجديدة

اعداد

علي عبد الفتاح كنعان



اليازوري

الإعلام الدولي والعولمة الجديدة

الإعلام الدولي والعولمة الجديدة

علي عبد الفتاح

المحتويات

الإعلام الحـديث في ظل العولـــمة

أولا : مفهوم العولمة وتعريفها

ظهر مصطلح العولمة أولا بالغة الإنجليزية وترجم إلى اللغات الأخرى ومنها العربية وقد جرى تناول كلمات أخرى في اللغة العربية ترجمة للفظ الإنجليزي "Globalization" منها الكوكبة ، والكونية والكنوننة ولكن يبدو الآن غلبة لفظ عولمة على غيره من الألفاظ للدلالة على هذه الظاهرة

والعولمة في اللغة اسم مصدر على وزن " فوعلة " مشتقة من كلمة " العالم " نحو القولبة وهى جعل الشئ في شكل القالب الذي يحتويه ، والعولمة تعنى جميع النشاطات الإنسانية في نطاق عالمي ، بمعنى جعل العالم كله مجالا للنشاطات الإنسانية المتعددة.

وصياغة تعريف دقيق للعولمة، تبدو مسألة شاقة نظراً لتعدد وجهات النظر، حول نشأتها ومصادرها وأصولها ومبادئها، والتي تتأثر أساساً وضرورة حتمية، بانحيازات الباحثين الأيديولوجية واتجاهاتهم إزاء هذه العولمة رفضاً أو قبولاً، فالخلاف في وجهات النظر في العولمة بين اليسار واليمين، بين الاشتراكية والرأسمالية، بين النظم الوطنية والتابعة، بين الخصوصية والعولمة، وأيضاً وهو مهم للغاية، بين وجهة نظر إسلامية ووجهة نظر غير إسلاميةعلى رغم من ذلك اختار الباحث مجموعة من التعريفات للعولمة وهى كما يلى :حيث يعرفها عبد الرشيد عبد الحافظ بأنها : الدوران في فلك الأقوى فالعالم الآن لابقاء فيه إلا للأقوياء ولاكلام إلا لمن يمتلك القوة ، أما الضعفاء فهم مقهورون مغلبون وعليهم أن يكونوا دائما تبعا لمن هو أقوى منهم يدورون في فلكه ويأتمرون بأمره .

ويعرفها كمال الدين مرسى بأنها " وصول الرأسمالية التاريخية عند منعطف القرن العشرين تقريبا إلى نقطة الانتقال من عالمية دائرة التبادل والتجارة والسوق والاستخراج إلى عالمية دائرة الإنتاج وإعادة إنتاجها اى حقبة ثالثة متميزة تنضاف إلى مرحلة الاستعمار التجارى الأول ومرحلة الإمبريالية الكلاسيكية اللاحقة.

ويعرفها الدكتور بركات مراد (مركزة العالم في حضارة واحدة) أي إعادة إنتاج العالم وفقاً لثقافة واحدة هي ثقافة الجهة صاحبة المشروع وهي تعرف (بأنها تشكيل وبلورة العالم بوصفه موقفاً واحداً، وظهور لحالة إنسانية عالمية واحدة) " ويشير الباحث المصري محمد مبروك العولمة هي تحقيق مصالح النخب

الرأسمالية والنخب الحليفة، على حساب شعوب العالم، فالعالم يتم تقسيمه إلى مراكز وهوامش، وكلما ازداد ثراء المركز، ازداد فقر الهوامش، فإذا كان الميكانيزم الأساسي للعولمة هو تعاظم أسعار المواد الأولية، وكانت الأخيرة هي المقوم الأساسي لثروة الدول الفقيرة، فإن تنامي العولمة، يعني سحق الدولة الفقيرة لحساب الدول الغنية.

ويعرفها حاكمي بوحفص " بأنها السيطرة المطلقة على العالم وهيمنة الولايات المتحدة الأمريكية على مقدرته ، خاصة أن الإستراتيجية تسعى للسيطرة على العالم ومقدراته بدون خسائر أو حروب وكأن الرئيس الأمريكي ريتشارد نيكسون في كتابه انتصار بدون حرب إلى نشر القيم الأمريكية إذا ما أرادت أمريكا أن تصبح زعيمة العالم.

ثانيا : عوامل ظهور العولمة

هناك عدة عوامل ساعدت على انتشار ظاهرة العولمة وتأصيلها كظاهرة كونية أهمها:

1) التقدم الكبير في المجال التكنولوجي والمعلوماتي من خلال تطور الاتصالات وظهور الانترنت ووسائل الاتصال الحديثة.
2) زيادة التحالفات والتكتلات الدولية والإقليمية،الآسيان، الأوربي،النافتا ....
3) ظهور منظمات دولية مثل المنظمة العالمية التجارية
4) التحالفات الإستراتيجية لشركات عملاقة عالمية خاصة في المجالات المصرفية والصناعية والنفط.
5) ظهور معايير الجودة العالمية.
6) تزايد حركة التجارة و الإستثمارات الأجنبية.
7) وجود مشاكل جديدة علمية مثل التلوث البيئي،غسيل الأموال والبطالة والهجرة غير الشرعية .
8) المخدرات و التي تتطلب تعاون دولي ومزيد من التنسيق و إيجاد مفاهيم جديدة يتعلق بالتنمية المستدامة.
9) تركز الثروة في أيدي عدد قليل من الدول .
10) تزايد هيمنة الاحتكارات الكبرى و الشركات العابرة للقارات توفر بيئة ملائمة تساعد الولايات المتحدة الأمريكية لتلعب دور الدركي العالمي دون أي مواجهة بالإضافة إلى عوامل أخرى يمكن تسميتها بالعوامل الشرطية ،كلها عوامل أدت إلى انتشار ظاهرة العولمة كظاهرة كونية فيها التراجع الذي حدث في دور الدولة خاصة في المجالات الإنتاجية في العقود الأخيرة الماضية.

11) محاولات الولايات المتحدة لتفكيك ما يسمى بالدول الكبرى مثل الإتحاد السوفيتي ويمكننا القول أن بعد الانهيار السوفيتي وتربع الولايات المتحدة الأمريكية على عرش العالم حرص الليبرالية الجديدة تحت مسمى العولمة لتغزو كل الدول داعية إلى حرية انتقال رأس المال وإلغاء الحدود و الحواجز الجمركية لتعزز حرية المبادلات التجارية مما أدى إلى تباعد النشاط المالي عن النشاط الاقتصادي حيث نجد أن من أصل 1500مليار دولار تدخل العمليات اليومية على المستوى العالمي نجد 1% فقط يوظف لاكتشاف ثروات جديدة أما الباقي فيدور في إطار المضاربات ويمكن تسمية هذا النظام الاقتصادي المعاصر باعتباره اقتصاديا دوليا أكثر تكاملا و اندماجا بالعولمة.

ثالثا : أهداف العولمة

أ. أهداف العولمة من وجهة نظر مؤيديها

وأهم هذه الأهداف هي:

- توحيد الاتجاهات العالمية وتقريبها بهدف الوصول إلى تحرير التجارة العالمية(السلع ورؤوس الأموال)
- محاولة إيجاد فرض للنمو الاقتصادي العالمي.
- زيادة الإنتاج العالمي وتوسيع فرص التجارة العالمية.
- تسريع دوران رأس المال على المستوى العالمي من خلال ما يسمى Back Office

-التعاون في حل المسائل ذات الطابع العالمي (الأسلحة المدمرة،مشاكل البيئة،المخدرات،الإرهاب.)....

-فتح الباب على مسرعيه في مجال التنافس الحر.

- تدفق المزيد من الإستثمارات الأجنبية.

ب. أهداف العولمة من وجهة نظر المعارضين:

-فرض السيطرة الاقتصادية و السياسية و العسكرية على شعوب العالم.
-هيمنة الولايات المتحدة الأمريكية على اقتصاديات العالم من خلال سيطرة الشركات الأمريكية الكبرى على اقتصاديات الدول.
-تدمير الهويات والثقافة القومية وتغليب الثقافة الغربية.
-صناعة القرار السياسي والتحكم في خدمة لمصالح أمريك.
-إلغاء النسيج الحضاري و الاجتماعي للأمم الأخرى.
-تفتيت الدول والكيانات القومية.

إن للعولمة أهدافا أبعد من الربح والتجارة الحرة و الحدود المفتوحة ،والأسواق الحرة، ولكنني أعتقد بأن الخطر في العولمة يكمن فيما يسمى بثقافة العولمة،على اعتقاد أن هذه الظاهرة تروج لأربع ثورات يتوقع أن يكون لها تأثير كبير على حياة المجتمع الدولي بكامله وهي:

- الثورة الديمقراطية.
- الثورة التكنولوجية الثالثة أو ما بعد الثالثة.
- ثورة التكتلات الاقتصادية العملاقة.
- ثورة الإصلاح واقتصاد السوق.

وفي هذه الثورات وما ينتج عنها من آثار وانعكاسات سيتم تشكيل النظام العالمي الجديد المتسم بالعولمة،حيث يعتمد الاقتصاد في إطار هذا النظام على إستثمار الوقت بأقل تكلفة عن طريق استخدام المعرفة الجديدة وتحويلها إلى سلع أو خدمات جديدة وتغيير مفهوم البحث من نقل الاقتصاد من وضع سيئ إلى وضع أفضل وأصبح المهم هو الوقت الذي يستغرقه هذا التغيير.

رابعا : وسائل الإعلام والعولمة

تعريف إعلام العولمة

سلطة تكنولوجية ذات منظومات معقدة لا تلتزم بالحدود الوطنية للدول وإنما تطرح حدودا فضائية غير مرئية ترسمها شبكات اتصالية معلوماتية على أسس سياسة واقتصادية وثقافية وفكرية لتقييم عالما من دون دولة ومن دون أمة ومن دون وطن وهو عالم المؤسسات والشبكات التي تتمركز وتعمل تحت إمارة منظومات ذات طبيعة خاصة وشركات متعددة الجنسيات يتسم مضمونها بالعالمية والتوحد على رغم تنوع رسائلها التي تبث عبر وسائل تتخطى حواجز الزمن والمكان واللغة لتخاطب مستهلكين متعددي المشارب والعقائد والرغبات والأهواء .

وهناك من عرفها بأنها "عملية تهدف إلى التعظيم المتسارع والمذهل في قدرات وسائل الإعلام والمعلومات على تجاوز الحدود السياسية والثقافية بين المجتمعات بفضل ما تقدمه تكنولوجيا الحديثة والتكامل والاندماج بين هذه الوسائل بهدف دعم وتوحيد ودمج أسواق العالم وتحقيق مكاسب لشركات الإعلام والاتصال والمعلومات العملاقة وهذا على حساب دور الدولة في المجالات المختلفة.

خامسا : العولمة الإعلامية

للإعلام دور فعال في حركة المجتمع في الميادين كافة، فكثيراً ما نسمع مقولة "الحرب دعايات" في إشارة إلى أهمية الإعلام في مجريات الأحداث ، فإذا كان الإعلام يتمتع بهذه الدرجة من الأهمية منذ القدم، حين كان يتطلب وصول الخبر من مكان أضعاف الوقت الذي يتطلبه الآن، فيمكن تصور الدور الذي يضطلع به الإعلام إيجاباً أو سلباً في عصر العولمة.

وحتى يؤدي الإعلام دوره بإيجابية، فلا بد من مواكبة قضايا الأمة والدفع باتجاه تحقيق الأهداف الوطنية بشكل مدروس ودقيق، فعلى سبيل المثال، يمكن للمراقب لمجريات الأحداث على الساحة الفلسطينية أن يلحظ مدى التأثير الإعلامي في إلهاب عواطف الجماهير الفلسطينية وحتى العربية أو تهدئة الوتيرة الحماسية وفقاً لمزاج الأنظمة الحاكمة "فلو قيض لمؤرخ منصف أن يدرس واقع الإعلام العربي لما وجد أفضل من عبارة آلة السلطان تعبيراً يشير إلى هذا الإعلام.

وبما أن الشعوب العربية أكثر تأثراً بالإعلام من سواها؛ نظراً لما تتميز به من عواطف جياشة، وحماس مفرط، وقدرة على التهدئة أيضاً "بكبسة زر" -كما يقولون- فإن "هذه الإمبراطوريات الإعلامية التي تبث صوت سيدها وتحاول فرض آرائها وأفكارها تشكل خطراً على ثقافات العالم الثالث وهويتها القومية."

فعلى سبيل المثال، تستخدم هذه الوسيلة الإعلامية مصطلح "عملية استشهادية"، وأخرى "عملية انتحارية"، وثالثة "عملية إرهابية"، وقد سمعنا من قبل "عملية تخريبية"، وتلك تبارك هذه العمليات، وأخرى تشجب وتستنكر وتدين، ومرة يكون الاستنكار شديد اللهجة، وقد يكون لطيفها، وربما ابتكروا لهجة متوسطة إذا أمروا بذلك .

و نسلم هنا بأن العولمة أصابت الإعلام فتعولم هو الآخر، ولكن كيف عولمنا إعلامنا العربي؟ لقد طبقنا تصاميم البناء وأحضرنا الأجهزة المتطورة واستخدمنا تقنيات البث الحديثة، ولكن بقيت الهوة واسعة بين تقنيات العرض والمادة المعروضة، ففي حين تنتمي الأولى إلى عصر العولمة نجد الثانية تنتمي إلى قرون خلت.

إن من يحلل معظم المادة الإعلامية التي تبثها القنوات الفضائية يخرج باستنتاج مفاده أن بعضها لا يصلح إلا "قنوات للصرف الصحي" وليس للإعلام، فهل يعتقدون أن بيوتنا "بالوعات" أو "مكبات نفايات"؟ نفايات عقدية، ونفايات سلوكية، ونفايات سلعية ... وكل ما يمكن أن يخطر لك على بال وما لا يمكن أن يخطر." "

إن معظم المادة الإعلامية هي "غلف ثقافي فاسد"، وقد أصبنا بعدة "حالات تسمم" ولم نتعلم بعد، وهنا أريد أن أتطرق إلى مصطلح واحد فقط هو "الإرهاب"، ذاك المصطلح الرهيب الذي أصبح يستخدم كشتيمة وينظر إليه على أنه قنبلة موقوتة كل يخاف أن ينفجر بين يديه، وننسى أن القرآن الكريم استخدمه، بل حث عليه في ظرف محدد؛ قال تعالى "وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم". فإذا كان محظوراً علينا أن نرهب عدونا فما المطلوب منا إذن؟ هل ندعوه إلى وليمة شرقية دسمة، أم نهديه أكاليل الورود وأغصان الزيتون الذي تقتلعه جرافاته كل يوم؟!

وفي النصف الأول من القرن التاسع عشر ، ظهر ولأول مرة أن النشاط الإعلامي قد حدد لنفسه بعدا عالميا ، وذلك ليس فقط على مستوى تغطيته ومعالجته للأخبار ، ولكن أيضا على مستوى تلبية حاجة المتعاملين معه ، فقد أنشا شارل لوي هافاس سنة 1832 " مكتبة للأخبار " الذي أطلق عليه لاحقا وكالة هافاس " وقد اعتمد على مبدأين مكناه منة تحقيق نجاح كبير التغطية العالمية للأخبار ، والقدرة التي تضاعفت مع الأيام على نقل وتوزيع الأخبار (من الحمام الزاجل إلى الأقمار الاصطناعية مرورا بالتلغراف والتلكس ...الخ) وقد تمكن اثنان من معاونيه رويتر وولف ، من إنشاء وكالتهما للأنباء ، الأول في بريطانيا والثاني في ألمانيا وذلك بهدف تحقيق الأهداف نفسها التي أرادها هافاس وأصبحا منافسيه في هذا الميدان ، رغم ذلك ظلت وسائل الإعلام محلية أو وطنية وذلك لغاية السبعينات من القرن العشرين ، فكل دولة لديها قناعة بأن القوانين الخاصة بالإعلام كانت من صميم سلطتها وحديثا رفع المنتجون شعار " الإستثناء الثقافي " مؤكدين إن الإعلام يقع في صميم هذا الإستثناء وذلك في مواجهة مفاوضات ألغات واللجنة التابعة للإتحاد الأوربي في بروكسل الواقع إن سنوات الثمانينات قد عرفت اتجاه عولميا واضحا مثل الكثير من القطاعات ، كالصحافة المكتوبة وبخاصة الأسبوعية وبرامج التلفزيون (الأفلام الخيالية بخاصة) وبنوك المعلومات ، من دون أن ننسى المعلوماتية والبرمجيات الحاسوبية، الإنترنت ولا تمس هذه العولمة وسائل الإعلام بالمعنى الدقيق والحصرى فقط ، بل أنها اذخلت تغيرات عميقة على بعض المجموعات الصحفية والتلفزيونية والمعلوماتية حيث أنها أصبحت مجموعات كبرى ذات حضور عالمي." إن عولمة الإعلام هي سمة رئيسية من سمات العصر المتسم بالعولمة وهي امتداد أو توسع في مناطق جغرافية مع تقديم مضمون متشابه وذلك كمقدمة لنوع من التوسع الثقافي نتيجة ذلك التطور لوسائل الإعلام والاتصال، التي جعلت بالإمكان فصل المكان عن الهوية، والقفز فوق الحدود الثقافية والسياسية، والتقليل من مشاعر الانتماء إلى

مكان محدود، ومن الأوائل الذين تطرقوا إلى هذا الموضوع عالم الاجتماع الكندي مارشال ماكلوهان، حيث صاغ في نهاية الستينات ما يسمى بالقرية العالمية، وتشير عولمة الإعلام إلى تركيز وسائل الإعلام في عدد من التكتلات الرأسمالية العابرة للقارات لإستخدامها في نشر وتوسيع نطاق النمط الرأسمالي في كل العالم من خلال ما يقدم من مضمون عبر وسائل الإعلام المجالات المختلفة، وعند تأمل عناصر وأشكال الاتصال في العالم الذي تملك فيه الولايات المتحدة الأميركية عناصر السيطرة نجد ما يلي :

- المواد والتجهيزات التقليدية الخاصة بالاتصال وصناعة الإعلام أمريكية.
- تدفق المعلومات عبر الفضائية تحت السيطرة الأميركية.
- مصادر المعلومات أميركية الصنع.
- الطريق السريع للمعلومات تحتل فيه الولايات المتحدة المرتبة الأولى.كل هذه العوامل تجعل منها تمارس عولمة الاتصال من خلال أبرز آلياتها متمثلة في القنوات الفضائية والانترنت، وهذا التفوق على أوربا واليابان سواء في الإنتاج أو الترويج للمنتوجات الإعلامية مكنها من أن تصبح النموذج الذي تسعى الدول المتخلفة إلى تقليده. ومن خلال عولمة الإعلام ومظاهرها يمكن القول أن من يملك الثالوث التكنولوجي) وسائل الإعلام السمعية البصرية، شبكات المعلومات، الطريق السريع للمعلومات) يفرض سيطرته على صناعة الاتصال والمعلومات المصدر الجديد في عصر العولمة لإنتاج وصناعة القيم والرموز والذوق في المجتمعات، وهنا تظهر الصورة كأحد أهم آليات العولمة في المجال الإعلامي بعد التراجع الكبير للثقافة المكتوبة وظهور ما أصطلح على تسميته بثقافة ما بعد المكتوب.

ويمكن القول أن وسائل الإعلام وشبكات الاتصال تؤدي مجموعة من المهام في مسار العولمة يمكن ذكرها :

- تمثل آلية أساسية للعولمة الاقتصادية باعتبارها تيسر التبادل الفوري واللحظي والتوزيع على المستوى الكوني للمعلومات ولا يمكن تصور الاقتصاد العالمي اليوم دون اتصال.
- تروج وسائل الإعلام الإيديولوجية الليبرالية الكونية انطلاقا من الدول الكبرى و المؤسسات الاقتصادية العملاقة
- تساهم في خلق إشكال جديدة للتضامن والتعاون بين الأفراد عبر الشبكات.

وقد مكن الإعلام والتطور التكنولوجي من ظهور الإعلام والمعلومات كسلطة ووسيلة تحول المجتمعات وتغيرها.

سادسا : مؤسسات وأدوات العولمة

إن العولمة بمختلف مستوياتها وأدوات تعتمد عليها في عملية الممارسة وتتمثل هذه المؤسسات والأدوات في:

- شركات متعددة الجنسيات : إن نشاط هذه الشركات وآليات عملها يشكل مظهرا من مظاهر العولمة والشركات بحد ذاتها كمؤسسات ذات شخصية اعتبارية وتعد أهم قوى العولمة وأدواتها الفعالة والتي تتميز بالانتشار الجغرافي وتنوع الأنشطة وهذه الشركات تشكل محور اقتصاد العولمة ولقد أدى سيطرة هذه الشركات على الحقل الإعلامي إلى تقسيم العالم إلى جزأين غير متكافئين المسيطر وتمثله الدول الصناعية المتقدمة وهى قليلة العدد والمتخلف والذي يمثل دور التابع.
- المنظمات والمؤسسات الدولية : وتشكل العنصر الحاسم في نظام العولمة عبر آليات عملها حيث يساهم البنك الدولي ومنظمة التجارة العالمية ومنظمة التعاون والتنمية الاقتصادية في بلورة العولمة الاقتصادية وتظهر هذه المنظمات والمؤسسات في ترسيخ نظام العولمة بالأتي:

*أنها سلطة دولية للتشاور والتنسيق بين المنظمات السبع الكبرى

*أنها سلطة معنوية تعبر عن سيطرة الشمال على الجنوب والأغنياء على الفقراء

*يمكنها أن تفرض القواعد التي ينبغي على الدول الأعضاء تنفيدها في سياستها المالية الاقتصادية.

*أن سياستها تمثل حماية للأسواق التي تسيطر عليها الاحتكارات الدولية .أنها تترجم مفهوما ليبراليا من خلال الأسس التي اعتمدتها للنظام النقدي الدولي وللسياسات المالية.

- أدوات الاتصال وتكنولوجيا الاتصال : لقد شهد العالم تحولات كاسحة ومتسارعة تجرى على المستوى الكوني بفعل ثورة الاتصالات والتقنيات العالمية والوسائط المركبة والشبكات الإلكترونية ، وبذلك يجد المرء نفسه إزاء ظاهرة كونية جديدة على مسرح التاريخ العالمي أن ثورة الاتصالات هي ثورة تفرض الانتقال من نظام مفاهيمي قديم إلى نظام مفاهيمي أخر جديد . وأهم هذه الأدوات :

البث الفضائي التلفازى والإذاعي : حيث حولت وسائل الإعلام خاصة التلفاز عالمنا إلى شاشة صغيرة يمكن التجول في أجوائها عبر جهاز التحكم ولا يوجد رقعة على الأرض لاتمسها بالبث قنوات الأقمار الصناعية التلفازية ومن أهم شبكات البث التلفزيوني الفضائي والتي تعد أدوات من أدوات العولمة الإعلامية وهى :

- شبكة(CNN)
- شبكة (B.B.C)
- شبكة(euro news)

شبكة الإنترنت : حيث أصبح وسيلة لتبادل الأفكار والآراء ووجهات النظر والثقافات ، وقد عمدت الولايات المتحدة في إطار سعيها لعولمة الإعلام والاتصال في العالم على استخدام الشبكة لتحقيق ذلك من خلال نقل الثقافة الأمريكية ونشرها عبر الحدود ونقل الفكر والعادات الغربية وفق نمط الحياة الأمريكية عبر العالم عن طريق البريد الإلكتروني ، والاستفادة من الأمية التكنولوجية في دول العالم الثالث وبإبعاد هذه الدول عن مسيرة التقدم والسعي إلى الهيمنة والتحكم والإنفراد بالعالم.

ويأتي الإعلام ليلعب في ظل العولمة دوره الأكبر في تنفيذ خطط وبرامج العولمة في جميع تلك المجالات وعلى سبيل المثال فإن شبكة C.N.N الأمريكية (وهي نظام إعلامي أمريكي متكامل) نصّبت من نفسها قيّماً على صياغة الأحداث في العالم فلا يستطيع جهاز إعلامي في أية دولة أو ليس بمقدور متتبع للقضايا العالمية التحرك دون ترتيب السي إن إن للأحداث كما تبين من الدور الذي لعبته في حرب الخليج الأولى والثانية "الإعلام العربي وتحديات العولمة، وعودة إلى أرقام احتكار وسائل الإعلام وصناعة المعلومات ومواقع الانترنت لتؤكد على مدى الهيمنة الإعلامية الكاسحة للغرب وخاصة أمريكا وبالتالي على نشر برامج العولمة في المجالات الثقافية والاجتماعية والقيمية لإخراج ثقافة جماهيرية (عالمية) واحدة بقوالب محددة مسبقة الصنع كما يظهر عبر انتشار وتسلط المحطات الفضائية مما ستؤثر معه على منظومة القيم الخاصة وتصبح معه نمطاً جديداً من الغزو الفكري الثقافي وخاصة ما يتعلق منها بقيم الاستهلاك.

وفي ظل العولمة ودور الإعلام الكاسح فيها تظهر عدة مواقف إزاءها، منها: التسليم بها كقدر محتوم أو الرفض التام لكافة معطياتها وآخرها الموقف الوسط الذي يدعو للتمسك بالهوية مع التطوير والتغيير بما يتمشى مع الخصوصية الحضارية والتراث والقيم الدينية دون اندماج مطلق وتابع للدول المهيمنة، أي النظر لها بموضوعية والإفادة من معطياتها الايجابية فيجب ألاّ

يحول الصراع القديم بين الشرق والغرب دون النظر للعولمة من خلال معايير موضوعية وصحيحة حتى نتمكن من أن نعرف وننكر بعيداً عن الأحكام العامة والعامية التي لن تمكننا من التعامل معها ويتضح مما سبق أن عناك أشكال متعددة ومتنوعة للعولمة ولا يوجد عولمة واحدة ، ولكن جمعيها تعنى الهيمنة والسيطرة بكافة الوسائل والإمكانات على العالم وتحويل العالم إلى قرية صغيرة تتحكم فه دولة واحدة.

سابعا : سمات إعلام العولمة

هناك مجموعة من السمات لإعلام العولمة وهى كما يلى:

- إعلام متقدم من الناحية التكنولوجية ومؤهل للتطورات مستقبلية جديدة ومستمرة تدفع بها إلى المزيد من الانتشار المؤثر في المجتمعات المتخلفة تشكل جزء من البنية السياسية الدولية الجديدة التي تطرح مفاهيم جديدة لسيادة الدولة على أرضها وشواطئها وفضائها الخارجي بما يعرف بالنظام السياسي العالمي الجديد.
- يشكل جزء من البنية الاقتصادية و العالمية التي تفرض على الكل أن يعمل ضمن شروط السوق السائدة من صراعات ومنافسات وتكتلات وسعى متصل لتحقيق الربح للمؤسسات التي تحتكرها بحكم انتمائها إلى أكثر من وطن وعملها فى أكثر من مجال بما في ذلك صناعة وتجارة السلاح .
- يشكل جزء من البنية الثقافية للمجتمعات التي تنتجها وتوجهها وتتواجه بها ولهذا فأنها يسعى إلى نشر وشيوع ثقافة عالمية تعرف عند مصادرها بالانفتاح الثقافي وعند ملتقيها للغزو الثقافي.
- يشكل جزء من البنية الاتصالية الدولية التي مكانتها من تحقيق عولمتها وعولمة رسائلها ووسائلها فهو يتنمى إلى أحد حقول التكنولوجية الأكثر تطورا فى الوقت الراهن والمحتكر بشكل مباشر للشركات المعينة تصنيع وسائلها والتي تشكل نسبة 23% من قائمة الشركات المائة الأكبر في العالم.
- لايشكل نظام دولي متوازيا لأن كل مذخلاته ومراكز تشغيله وآليات التحكم فيها تأتى من شمال الكرة الأرضية وهذا مما أدى إلى هيمنة الدول المتقدمة عليها في مقابل تبعية الدول النامية لها .
- لا يستند إلى فراغ فثم اتفاقيات دولية تدعمها منظمات وقرارات تتحدد استخدام شبكاتها توزيع طيفه وموجاته السمعية وأليافه البصرية وبثه المباشر وتعريفتها الجمركية للصحف والمجلات والكتب والأشرطة والأسطوانات المدبلجة وآخير وليس أخر وسائطه المتعددة.

ثامنا : وظائف الإعلام العولمة:

تشير الدكتورة عواطف عبد الرحمن في مؤلفها " الإعلام العربي وقضايا العولمة " إلى أهم وظائف الإعلام العولمي وه ي:

- أولا : في ظل صعود الإعلام السمعبصرى أصبح هو المؤسسة التربوية والتعليمية الجديدة التي حلت مكان الأسرة والمدرسة والتي تقوم بدور أساسي في تلقين النشء والأجيال الجديدة المنظومة المعرفية المنزوعة من سياقها التاريخي للقيم السلوكية ذات النزعة الاستهلاكية ومن خلال هذه الوظيفة يمارس الإعلام أخطر أدوره الاجتماعية التي تتمثل في إحداث ثورة إدراكية ونفسية تستهدف إعادة تأهيل البشر للتكيف مع متطلبات العولمة وشروطها.
- ثانيا : تقوم وسائل الإعلام باختراق منظومة القيم الثقافية لدول الجنوب من خلال المسلسلات والأفلام وقد نجحت أمريكا في اختراق الأنظمة الثقافية لدول الجنوب وقدمت لشعوبها النموذج الأمريكي كغاية مثلى.
- ثالثا : تقوم وسائل الإعلام باستقطاب النخب المثقفة للترويج لفكر العولمة وأيديولوجيتها عبر الحوارات التلفزيونية والمقالات والمؤتمرات محاولة منها تهميش الثقافات والسياسات الأخرى ويتم أيضا تكثيف الجهود لمساندة السياسات الاقتصادية الثلاثة الذي يقوم بإدارة اقتصاد العالم " البنك الدولي وصندوق النقد الدولي ومنظمة التجارة العالمية.
- رابعا : تشير الدراسات إلى استفادة العولمة من استمرار النظام الإعلامي العالمي الراهن الذي يتسم بالخلل وأوجه التفاوت الخطيرة سواء على المستويات المحلية والعالمية والتي تتمثل في الإنسياب غير المتوازن للمعلومات مع رسوخ الاتجاه الرأسي الأحادي الجانب من الشمال إلى الجنوب من المراكز إلى الأطراف ومن الحكومات إلى الأفراد ومن الثقافة المسيطرة إلى الثقافة التابعة و الدول الغنية تكنولوجيا في الشمال إلى الدول الأفقر في الجنوب.
- خامسا : تشير الدراسات إلى تزايد أهمية الأدوار التي تقوم بها الشركات المتعددة الجنسيات في الأنشطة الإعلامية والثقافية ويتجلى ذلك في توظيف وسائل الإعلام الدولية والمحلية كأحزمة ناقلة يتم من خلالها ترويج القيم الاجتماعية والثقافية الغربية ونشرها في دول الجنوب .مما يتسبب في إحداث بلبلة واضطراب شديد في منظومة القيم المميزة لثقافات الشعوب.
- سادسا : يقوم الإعلام بدور أساسي في ترويج السلع والخدمات التي تقدمها السوق العالمية من خلال الإعلانات التي تتضمن محتوياتها قيما وأنماط للسلوك الإستهلاكى تستهدف الدعاية للسلع الأجنبية مما يلحق الضرر

بالاقتصاديات المحلية علاوة على التأثير السلبي للإعلانات على حرية الإعلام والصحافة في دول الجنوب .

- سابعا : تروج وسائل الإعلام العولمية حول مايسمى بالقرية الاتصالية العالمية باعتبارها أبرز ثمار التكنولوجيا المعاصرة والذي يعنى في جوهره إحاطة الجماهير في كافة إنحاء المعمورة بكل مايدور في العالم من أحدث وأفكار وصراعات وانجازات بشرية وان يتم ذلك بشكل يتسم بالموضوعية والتكامل والمصداقية بحيث يخلق معرفة شاملة وحقيقية بما يدور في الكون.

تاسعا : نفوذ إعلام العولمة

- استطاع إعلام العولمة أن يكفل محيطا ثقافيا واسعا ونظرة أشمل إلى العالم وعمقا في الاتصال الإنساني وبذلك استقطب الملايين عبر رسائله المبسطة في عالم مليء بالتعقيدات.
- استطاع الإعلام في عصر العولمة أيضا أن يعيد تشكيل العالم في صورة محسوسة بعد أن سيطرت وسائله على الزمان والمكان وصار المشاهد يجد نفسه في اى نقطة في العالم وهكذا استطاع إعلام العولمة عبر وسائله علاقة جديدة مع العالم والزمن ليكتشف الإنسان أن العالم المترمى الأطراف يمكن أن يختصر فيه المسافات والفروق الزمنية ليصير كرة معلوماتية بعد أن كان في مرحلة سابقة قرية الكترونية صغيرة.
- استطاع في عصر العولمة أن يوفر لوكالات الإعلان الدولية المناخ الملائم لنشر قيم المجتمع الإستهلاكى التي تعارض لثقافة جديدة على شعوب تحاول أن تحتفظ بذاتيتها وخصوصيتها الثقافية.
- استطاع إعلام العولمة بقدراته التكنولوجية الهائلة أن يضعف من نظم الإعلام الوطنية ويزيد من تبعيتها له لتنقل منه مايجود به عليه من صور ومعلومات واعلانات.
- استطاع الإعلام في عصر العولمة أن يحل العلاقات الدولية إلى بحر من الأمواج المتلاطمة فأحدث تأثيرات من الصعب تقييمها في الوقت الحاضر فالواقع يؤكد أن عمليات التوظيف والتعتيم والتضليل والتحريف والتشهير لخدمة أغراض قوى عظمة أصبحت مسائل واضحة للعيان وأترث بدورها في العلاقات بين الدول.
- استطاع الإعلام في عصر العولمة إن يدفع بالإنسان خطوات واسعة في طريق السلوك الإستهلاكى ذلك أن الاستخدام الواسع الإعلان الدولي عبر وسائله فى مجال تسويق السلعي والخدمات أدى إلى خلق طلب واسع على هذه السلع حتى في بلاد لا تسمح الدخل فيها بتبنى أنماط الثقافة الاستهلاكية والنتيجة الطبيعية

انخفض معدلات الادخار في مثل هذه الدول وبالتالي امتصاص جزء كبير من فضائلها الاقتصادية على الرغم الحاجة الماسة إليها.

عاشرا : عولمة الرسالة الإعلامية

كثيراً ما نسمع اليوم عن ظاهرة «العولمة» ونتائجها وآثارها في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية ولا يمكننا أن نغض النظر عما يجري تحت مظلة هذه الظاهرة العالمية حتى وان كنا ممن يخالفون أو ممن لا يؤمنون بالعولمة كظاهرة أخذت تضع بصماتها حتى على ما يمارسه الأفراد يومياً ناهيك عن المجتمعات التي انجرّت وراء هذه الظاهرة العالمية.

أما عن الاعلام، فما هي العلاقة بين العولمة والإعلام؟ هل أن الاعلام العالمي تأثر بالعولمة؟ أم أن العولمة هو انعكاس لظاهرة الاعلام العالمي الذي حمل الرسالة السياسية والاقتصادية والثقافية عبر وسائلها لتقنية ؟

الحقيقة هي أن كلا الظاهرتين متلازمتان لا يمكن أن ينفكّ احدهما عن الأخر على الأقل في عالمنا المعاصر الذي طوي شوطا من الزمن توسعت فيه دائرة العولمة من ناحية وكثرت وتشعّبت وسائل الاعلام فيه من ناحية أخرى.

وقد أثّرت العولمة وبحد كبير على الأنشطة الإعلامية في عالمنا المعاصر ولا تخلو اليوم أية ظاهرة من ظواهر الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية إلا ولعبت فيها وسائل الاعلام دوراً يكاد أن يكون الأهم حتى بالنسبة لما تحتويه هذه الظواهر من معنا في المجتمعات المختلفة.

في مقدمة كتابه أكّد البروفيسور أبو العينين أن الكثير من الباحثين يعتقد بأن عولمة الأنشطة الإعلامية «تمثل أهم تطور أعلامي في العقدين الأخيرين من القرن الماضي ، وأن هذا التطور سوف يحدد مسار هذه الأنشطة طوال سنوات القرن الحالي، فضلاً عما يمثله ذلك من أهمية وتأثير في أنظمة الاعلام الوطنية في دول العالم» ولكن هناك أيضا ملاحظات مهمة في هذا المجال لا بد أن تؤخذ بعين الاعتبار وهي:

- اولاً: أن عولمة النشاط الإعلامي لم تتحقق بعد بالصيغة التي ربما تكون قد استقرت لدى الكثيرين .
- ثانياً: إن ما تحقق عينياً هو عولمة الرسالة الإعلامية بفضل سقوط الحواجز وهي ظاهرة «تقنية» أكثر من كونها ظاهرة سياسية أو ثقافية على الرغم من تأثيراتها السياسية والثقافية.

- ثالثاً: أن درجات استجابة الأنظمة الإعلامية الوطنية للتغييرات التي تفرضها عولمة صناعة الاعلام متفاوتة إلى حدود بعيدة، الأمر الذي ينفي بشدة حقيقة أن تكون العولمة سمة أساسية لأنشطة وسائل الاعلام عبر مناطق العالم المختلفة في الوقت الراهن.
- رابعاً: إن عولمة النشاط الإعلامي، حيث توجد الآن ليست ظاهرة حديثة تنتمي للعقدين الأخيرين من القرن الماضي، ولكنها تعبير عن تطور تاريخي تمتدّ جذوره إلى القرن التاسع عشر، وان كانت خطاها قد تسارعت في الربع الأخير من القرن العشرين.
- وقد كشفت الممارسات المختلفة في سنوات الثمانينيات والتسعينيات من القرن العشرين عن دورين أساسيين قامت بهما وسائل الاعلام في المنظومة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية العالمية، وهو الدور الاقتصادي حيث تلعب فيه وسائل الاعلام دوراً مهماً ، فقد أصبحت العولمة الإعلامية تمثل قيمة اقتصادية هائلة ومتنامية وبخاصة في ظل اقتصاد المعلومات الذي أصبح السمة الأساسية للاقتصاد العالمي، حيث بلغت استثمارات صناعة المعلومات تريليوني دولار عام 1995، وفي نهاية القرن (عام 2000) بلغت 3 تريليونات دولار سنوياً بعد إن كانت هذه الاستثمارات لا تتجاوز 350 مليار دولار عام 1980، وثانياً الدور الإيديولوجي الذي يوفر بيئة معلوماتية وإيديولوجية لدعم الأسس السياسية والاقتصادية والمعنوية لتسويق السلع والخدمات وتطوير نظام اجتماعي قائم على تحقيق الربح عبر الثقافات الوطنية المختلفة. وبصورة عامة فان دراسات العولمة في العلوم الاجتماعية تتسم بالتركيز على ظاهرتين أساسيتين، تحتل وسائل الاعلام وخاصة التلفزيون فيهما مكانة متميزة:
  - اولاً: الوسائل التي يسّرت بها الشركات متعددة الجنسيات عولمة رأس المال والإنتاج.
  - ثانياً: الثقافة العالمية الناتجة عن ظهور نمط من الشركات متعددة الجنسيات يمتلك ويهيمن على وسائل الاعلام الجماهيرية مما سبب ظهور نمط من الثقافات والإيديولوجيات ذات التوجه الاستهلاكي.

وتخضع أدبيات البحث في ظاهرة العولمة أيضا للعديد من التصنيفات تؤكد بعضها على أنها أحادية السبب mono-causal والأخرى متعددة الأسباب multi-causal ويرى هناك تصنيفاً آخر أكثر ملائمة لتقديم شروح أفضل لظاهرة شديدة التعقيد مثل العولمة وهو تصنيف رباعي يرتكز على تمايز الاتجاهات التالية:

- اولاً: مدخل النظم العالمية The World System Approach وهو يبنى على التمييز بين دول المركز وشبه المحيط والمحيط من حيث طبيعة دور هذه الدول في تقسيم العمل الدولي الخاضع لسيطرة النظام الرأسمالي العالمي.

- ثانيا: النموذج الثقافي العالمي Global Culture Model ونشأ هذا النموذج من البحوث التي تناولت عولمة الثقافة، ويهتم هذا المدخل بالمشكلات التي تسببها ثقافة متجانسة مرتكزة على وسائل الاعلام، وبخاصة التلفزيون.
- ثالثا: نماذج المجتمع الدولي Global Society Models :ويعتقد أصحاب هذه النماذج بأن المجتمع العالمي تاريخيا قد أصبح حقيقة في العصر الحديث فقط، وأن العلم والتقنية والصناعة والقيم العالمية المتنامية أوجدت عالما مختلفاً عن أي عصر من عصور الإنسان السابقة.
- رابعاً: مدخل الاقتصاد السياسي Political Economy :ويرتكز هذا المدخل على افتراض أن ديناميكيات الصناعات المنتجة للثقافة يمكن فهمها في ضوء الحتمية الاقتصادية ، وينتمي هذا التوجه إلى الغلاة من الماركسيين اللذين يعتقدون بأن ظاهرة العولمة هي نتاج هيمنة القوى الرأسمالية على التطور الاجتماعي والثقافي السائد عالمياً، وفي هذا المجال تمثل وسائل الاعلام ركناً أساسيا في تفسير هذا المدخل لظاهرة العولمة.

وهناك من يشير إلى «ثمة علاقة وثيقة ربطت بين عولمة النشاط الإعلامي وتصدير الرأسمالية التجارية عبر تطورهما التاريخي، وأن تلك العلاقة هي التي تحكم التطورات الراهنة والمستقبلية في صناعة الاعلام من دون أن ينفي ذلك تدخل عوامل أخرى». ويدعم هذا الافتراض العوامل التالية:

1) التزامن بين ظهور النشاط الإعلامي خارج الأسواق الوطنية الرأسمالية وتصدير الرأسمالية الصناعية والتمدد التجاري في الأسواق الخارجية.
2) الاختلاف الموجود في عولمة الأنشطة الإعلامية التي تطرح على الصعيد العالمي وتنعكس في الأنظمة الإعلامية الوطنية الغربية.
3) خضوع اكبر نسبة من الأنشطة الإعلامية الدولية لعدد من الشركات العالمية العملاقة ونمو الشركات الإعلامية العالمية تبعاً لنمو تلك الشركات.
4) وحدة العمل والمنشأ للشركات العالمية العملاقة مما يشير على انسجامها في الأصعدة المختلفة.
5) تماثل التوزيع الجغرافي للمستوى الذي تحقق من عولمة الأنشطة الإعلامية مع توزيع الاستثمارات التجارية والصناعية للشركات العالمية متعددة الجنسيات مما يدل على إنهما حقيقة واحدة.
6) الاختلاف في تأثير النشاط الإعلامي عبر الوسائل الإعلامية المختلفة. فصناعة التلفزيون مثلاً هي الأكثر تأثراً بسياسات العولمة.

ويستخلص من هذا الافتراض نتيجة مهمة وهي «إن الطابع التاريخي لظاهرة العولمة ينفي عنها صفة الاستمرار باعتبارها مرحلة تاريخية مرتبطة بالقوى الداعمة لها مما يفسح المجال أمام العوامل الوطنية سياسية كانت أم

اقتصادية أم ثقافية، للتعامل مع هذه الظاهرة» وهذا يعني من جهة أخرى أن عولمة النشاط الإعلامي ستزول أو ستتغير إذا تغيرت معالم التجارة العالمية وان تكامل الاقتصاد الوطني سيلعب دوره في تعديل الأنشطة الإعلامية لصالح الشعوب خلافاً لما تريده الشركات العالمية المتعددة الجنسيات.

وهناك حقيقة مهمة يجب الإشارة إليها في تجارب الثمانينيات والتسعينيات حول الاعتبارات الجيوبوليتيكية المؤثرة على عولمة النشاط الإعلامي، حيث أن قوى السوق قد أصبحت الوسيلة العالمية الأساس لتنظيم الأنشطة الاتصالية، وأن المبادئ والقيم غير المرتبطة بقوى السوق يتناقض دورها في تنظيم صناعة الاتصال وبالرغم من أهمية هذه الحقيقة في تنظيم العلاقة بين السوق العالمية وعولمة الاعلام فان الاعتبارات الجيوبوليتيكية تؤثر تأثيراً جاداً في تنظيم هذه العلاقة فهذه العلاقة لا تعمل بدرجة واحدة عبر مناطق العالم المختلفة متأثرة بالاعتبارات الجيوبوليتيكية وآثارها في المراحل المختلفة. ولأهمية هذه الحقيقة فان الإستراتيجية الجديدة للشركات العالمية هي أن تصل إلى قطاعات معينة من السكان داخل الأسواق الوطنية، أن الوصول إلى هذه القطاعات تبدو وكأنها المسؤولية الحقيقية لوسائل الاعلام العالمية.

ففي الأقطار العربية على سبيل المثال، يعتقد بأن العوامل السياسية هي المحدد الرئيسي لمدى استجابة الاعلام العربي للتحديات التي تفرضها عولمة الأنشطة الإعلامية. فلا يخلو أي قطر من هذه الأقطار من هيمنة الدولة على واقع الاعلام ومستقبله مما تحدّ كثيراً من خطى الاعلام العربي للتفاعل مع الأنشطة الإعلامية العالمية.

أما بالنسبة إلى تأثير العولمة على اتجاهات البحث الإعلامي ثم تصنّيف بحوث الإعلام المرتبطة بقضايا العولمة إلى تيارين أساسيين:

أ) تيار يحاول رصد التغييرات التي جاءت بها الأنشطة الهادفة إلى عولمة صناعة الاعلام وتأثيراتها.

ب) تيار يحاول رصد تأثيرات تقنية الاتصال الحديثة على صناعة الاعلام.

فعلى الرغم من اهتمام بحوث الاعلام برصد الخطوات التي قطعتها صناعة الاعلام في سبيل تحقيق سوق عالمية للأنشطة الإعلامية المختلفة، ولكنه يمكن رصد العديد من الدراسات خلال سنوات التسعينيات التي تمثل تياراً مناهضاً لظاهرة عولمة الأنشطة الإعلامية وتقسيم هذه الدراسات إلى اتجاهين:

- الاتجاه الأول: وهو اتجاه يبدي الكثير من التحفظات على عولمة الأنشطة الإعلامية التي يتم من خلالها تجاهل المصالح الوطنية، وإنهاك اقتصاديات الطبقات الوسطى في المجتمع، وإضعاف قدرات المجتمعات المحلية على

الإبداع والابتكار في ظل المنتجات الثقافية الجاهزة التي تقدمها وسائل الاعلام إلى الجمهور، ولكن يجب أن نؤكد هنا على أن تأثير هذا الاتجاه ضعيف في مواجهة قوى العولمة وما تحققه يوماً بعد يوم على أرض الواقع.

- الاتجاه الثاني: وهو الاتجاه الذي يقبل بوجود عولمة الأنشطة الإعلامية مدفوعة بدوافع الربح المادي ، وهذا الاتجاه هو أقوى الاتجاهات المناهضة لعولمة الأنشطة الإعلامية سواء في مجال البحوث أم في مجال التحركات الاجتماعية الفعلية.

الحادي عشر : المخاطر السلبية للعولمة

الواقع أن هناك أثار سلبية مختلفة للعولمة سواء على المستوى السياسي والإقتصادى والثقافي ، خاصة في ظل التقدم الهائل لوسائل الاتصال لم يعد من المبالغة القول بأن العالم أضحى قرية صغيرة يمكن للقاطن في أي من أطرافها معرفة ما يحدث في الطرف الآخر، وهناك دولة واحدة كبرى تنفرد بقيادة العالم وتمتلك موارد اقتصادية هائلة وتعيش نشوة انتصار فلسفتها وإيديولوجيتها بعد انهزام الإيديولوجية المقابلة مع انهيار الإتحاد السوفيتي ومنظومته الاشتراكية وعقيدته الشيوعية مع الاعتقاد بسمو تلك الثقافة.

وامتنا العربية أدهمتها ظروف العولمة وهى في اضعف حالها بحاجة إلى إدراك مخاطر العولمة وجوانبها السلبية والتنبه إلى مخاطرها المتعددة وأهم هذه المخاطر :

المخاطر السلبية للعولمة الإعلامية

- انهيار السيادة القومية للإعلام في ظل انهيار المفاهيم التقليدية حول القومية الحديثة مثل السيادة على الفضاء والحدود وصنع السياسات الإعلامية وظهر تقسيمات جديدة للعالم.
- اعتماد دول الجنوب بشكل اساسى على البرامج الإخبارية والإعلانات والحوارات والمسلسلات والأفلام خاصة الأمريكية وقد ترتب على ذلك زيادة الهيمنة الاتصالية لدول المركز المتحكمة في العولمة على دول الأطراف.
- تدفق الثقافة والمفاهيم والأفكار وعادات وسلوكيات ومعلومات غربية جديدة إلى دول العالم بلا حواجز ولا ضوابط وفى إطار تنافسي تجارى بين الشركات المتعددة الجنسيات.

- زيادة الفجوة الاتصالية بين الشمال الغنى والجنوب الفقير على مستوى العالم بين الريف والحضر داخل دول الجنوب مما أدى إلى تزايد الخلل في التدفق الإعلامي والمعلوماتى من طرف الشمال الغنى إلى الجنوب الفقير وترسيخ الأنماط التقليدية السلبية والمتحيزة في سريان وتدفق الأنباء المبتورة المشوهه عن دول الجنوب والتي تعتمد إغفال كافة الإنجازات التنموية التي تحققت في تلك الدول.
- تحويل دول الجنوب إلى سوق للاستهلاك الإعلامي والإعلاني نتيجة لتركز تكنولوجيا الاتصال والمعلومات في دول الشمال.

المخاطر السلبية للعولمة الثقافية

أ- هيمنة الثقافة الغربية:

معظم الإنتاج الإعلامي والثقافي ومعظم محتوى شبكات الإنترنت هو نتاج غربي امريكي فهي القادرة على استثمار التقدم الهائل في تكنولوجيا الاتصال والإعلام ، وهذه المنتجات الإعلامية تحمل فكرا محدد وتعبر عن ثقافة معينة من ثقافتهم الخاصة بكل ما تحمله من قيم وعادات وتقاليد وأنماط سلوك ، والغرب هو الذي يسيطر على أغلب القنوات البث الفضائي وعلى محتوى شبكات الإنترنت وعلى أكبر دور الصحف والمجلات ودور النشر ووكالات الأنباء ، فالعولمة تبدو في المجال الثقافي اتجاه إلى إعادة صياغة العالم وفق ثقافة معينة هي الثقافة الغربية الأمريكية بوجه خاص أي أن العولمة الإعلامية لها تأثير ثقافة هام وهو تسويق ثقافة جديدة مغايرة لثقافتنا الغربية.

ب- زعزعة منظومة القيم الاجتماعية

ومنظومة القيم الاجتماعية تتمثل في العقائد والقواعد العامة التي وتحرص كل أمة على حماية هذه القيم ووسائل الإعلام العالمية تبث أفكار وآراء وتصورات منافية ومختلفة مع عقائدنا وقيمنا وتترك آثار سلبية في إدراك ووعى ووجدان المتلقيين وبالتالي تشكل خطر على إدراك الشباب ومعتقداتهم الأصلية ووعيهم بقيمهم نتيجة لبث قيم بديلة تشغل عقولهم وفكرهم

ج- تهديد لغتنا العربية

وتمثل ملامح هذه الأزمة في الإقصاء المستمر للغة العربية بمظاهر شتى منها : انسحاب اللغة العربية من حياتنا اليومية وفى أجهزتنا الإعلامية الرسمية والغير الرسمية وفي ظل ظروف العولمة ستتعمق الأزمة التي تعيشها لغتنا يتم التبشير بالفلسفة الليبرالية الغربية باعتبارها النموذج الأرقى لأسلوب الحياة

الإنسانية . ومعظم شبكات الإنترنت تبث بالغة الإنجليزية وبالتالي يؤدى هذا إلى إعلاء شأن اللغات الغربية على حساب لغتنا العربية.

المخاطر السلبية للعولمة في المجال السياسي

إضعاف سلطة الدولة الوطنية

حيث أن التقدم الهائل في الاتصالات والمعلومات فرض واقعا جديدا أصبحت فيه قدرة الدولة على فرض سياج حول نفسها ومجتمعها أمرا مستحيل .

محاولة فرض نظام سياسي معين على العالم :

حيث لابد من الإشارة هنا أن النظام السياسي الغربي حقق لمجتمعاته الخير والفائدة الكبيرة ولكن هذا النظام لايمكن أن يكون مناسبا لكل المجتمعات فكل مجتمع له ظروفه وثقافته الخاصة به والتي لاتتناسب مع النظام الغربي والذي هو ليس هدفه تحقيق الخير والتقدم لباقي المجتمعات بقدر السعي إلى تخلفها وإضعاف نظامها فهو لاينطلق من دوافع أخلاقية .

محولة إملاء سياسة معينة على العالم:

فمن خلال ترويج وسائل الإعلام لأفكار ومفاهيم ومبادئ حق تقرير المصير والشرعية الدولية واحترام حقوق الإنسان يتم السيطرة والهيمنة على الدول الفقيرة حيث يتم تطبيق هذه المبادئ وفقا للمصلحة الغربية محاولة منها السيطرة والهيمنة على دول العالم فمن خلال الشرعية الدولية ثم حصار العراق وليبيا والسودان وباسم الشرعية تم احتلال العراق وغزو أفغانستان .حيث يتم استغلال ظروف العولمة الإعلامية لإملاء سياسات معينة يتم فرضها على العالم لتحقيق مصالح دول كبرى .

الآثار السلبية للعولمة في الحياة الاجتماعية

أ- الترويج للنمط الغربي من أساليب الحياة والسلوك :

حيث أن لكل مجتمع أسلوب حياته الخاصة ونمط مميز للسلوك وله عادته وتقاليده ولابد من حصول التأثير والتأثر بين المجتمعات وتلك سنة الحياة ، ويبرز هنا عامل مهم من عوامل التأثير وهو ناتج عن سطوة الأجهزة الإعلامية وتأثيرها البالغ على سلوك الأفراد بما تملكه من وسائل الجدب والإبهار المغرية خاصة القدرات التي تملكها الشركات الغربية العملاقة و الأمريكية خصوصا حيث تبث مواد إعلامية هي نتاج للواقع الإجتماعى الغربي وتمثل قيمة وتعبر عن سلوك ذلك المجتمع وأنمط حياته وهذه المواد الإعلامية تحمل مضامين هدامة منافية لقيمنا وأحلامنا وتكرس قيما سلبية متناقضة مع قيمنا وسلوكياتن .

ب- تعميق التفاوت الإجتماعى

حيث زادت معدلات الفقر والبطالة في كثير من دول العالم نتيجة لظروف العولمة الإعلامية التي تسوق مفاهيم الحرية الاقتصادية وعدم تدخل الدولة في الشئون الاقتصادية وحتى لو سمحت ظروف العولمة للشركات الأجنبية بالاستثمار للدول الفقيرة لتحسين ظروف العمل والعمال فتلك الشركات لايتوقع منها تحسين الظروف الاقتصادية والمعيشية ولن تنمح العمال إلا الحد الأدنى من الأجور .

ج- إيقاف الانتماءات الأولية:

حيث أن الظروف التي جاءت مصاحبة للعولمة من إشاعة الديمقراطية الليبرالية والدعوة إلى حق تقرير المصير واحترام حقوق الإنسان ، قد فتحت المجال أمام دعوات إيقاف الانتماءات الأولية للظهور وأزلت الحواجز التي كانت تحول دون بروزها أو أن إضعاف سلطة الدولة في ظل ظروف العولمة يفتح المجال لاستيقاظ الدعوات لتلك الانتماءات التي ربما تكون مكبوتة.

العولمة في الإعلام

الحمد لله رب العالمين القائل: ((فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وأَعْرِضْ عَنِ المُشْرِكِينَ)) [الحجر: 94]

والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين القائل: "إن من البيان لسحراً" وبعد:

فإن أمر الإعلام في عصرنا الحاضر ودوره المؤثر والفعال على الأمم والمجتمعات، على الدول والمؤسسات، والكبار والصغار، والنساء والرجال أمر لا يخفى على ذي بال. لكن الطور الذي دخله الإعلام في سنيه الأخيرة ليس مجرد طور عادي، وليس مجرد وسيلة جديدة أو أسلوب متطور فحسب؛ بل الأمر هو التوجه العالمي للإعلام؛ بمعنى أن الإعلام لم يعد محصوراً في مكان أو حدود سياسية أو بقعة جغرافية.. بل أصبح يتخطى الحدود وربما يجاوز كل وسائل الرقابة.

كذلك فإن الأمر لا يقف عند هذا الحد.. بل تعداه إلى تكوين مجموعات أو شركات إعلامية أخطبوطية لها أذرع في كل مكان، ولها وجود في كل صنف من الإعلام.. تشارك في القرار السياسي وتؤثر في النشاط الاقتصادي.. توجه المجتمعات وتقود الأمم في الفكر والثقافة، في الفن والرياضة، في الدين والأخلاق. نعم! هي مستقلة (مالياً) لكنها مرتبطة بصفةٍ مَّا بالدول التي تنطلق منها.

خلفية مالكيها ومؤسسيها تحكم توجهها الثقافي والاجتماعي. أما عمالها وموظفوها فهم مشاركون في صياغة توجهها وما تبثه وما تنقله وما تنتجه من مواد إعلامية فيغلب عليهم التوجه العلماني، ويؤثر حيث يغلب فيهم خلفيتهم الأيديولوجية. أما التاريخ فهو ما يصوغ علاقتهم مع الآخرين، خصوصاً إذا كانت هناك تداخلات مسبقة (حروب صليبية استعمار..).

وحديثنا عن آثار العولمة في مجال الإعلام ليس من باب المبالغة ولا من باب تقوية الخصوم لكنه من باب ((وأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم)) [الأنفال: 60] من باب أن "الكلمة أمانة" ومن باب "الواجب والمسؤولية" وباب ((كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ)) [آل عمران:110] وباب "تتداعى عليكم الأمم كما تتداعى.." وسوف نسرد هنا نماذج فعلية تحكي صورة من الإعلام الدولي الذي ينحو نحو العولمة؛ فلقد سمعنا وقرأنا كثيراً عن العولمة في السياسة والعولمة في الاقتصاد.. لكن لم نسمع من قبل عن العولمة في الإعلام؛ فدعونا نقرأ قليلاً حول هذا الموضوع.

مفهوم العولمة:

العولمة مصطلح حادث مترجم عن الكلمة الإنجليزية Global ومعناها: عالمي أو دولي، وغالباً ما تذكر مرتبطة بمصطلح القرية (Global Village) بمعنى القرية الكونية أو العالمية. ويدور مفهوم العولمة حول الوجود العالمي أو الانتشار الكوني، وغالباً ما استخدم في السياسة والاقتصاد بمعنى النفوذ السياسي العالمي والمؤسسات الاقتصادية الدولية (الأخطبوطية) المتواجدة في أنحاء كثيرة من العالم ولها تأثير قوي ونافذ سواء في الشأن الاقتصادي أو السياسي المحلي (أي في البلدان المتواجدة فيها). ثم تطور في جانب جديد وهو العولمة الإعلامية، عن طريق إنشاء مؤسسات إعلامية دولية ضخمة لها قاعدة أساسية في بلد وتنطلق منه إلى كثير من البلدان، ولها أثر فاعل في الإعلام المحلي لتلك البلدان.. وأخيراً نشأ مصطلح العولمة الثقافية (Global Culture) وتعني الانتشار الثقافي الفكري لجهات قومية ومؤسسات دولية (أغلبها أمريكية) وأصبح لها أثر ملموس في الجانب الثقافي لدى الكثير من المجتمعات حول العالم من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب.

المجموعات الإعلامية الدولية الكبرى:

هناك ست مجموعات رئيسة كبرى تعمل في الأنشطة الإعلامية على مستوى العالم ولها حضور دولي كبير متفاوت من مؤسسة لأخرى، أربعة منها أمريكية، وواحدة أوروبية،وواحدة أسترالية أمريكية، وهذا عرض لأبرز أنشطة هذه المجموعات:

1. تايم ورنر 3): Time Warner)

أكبر مؤسسة إعلامية في العالم؛ إذ تفوق مبيعاتها 25 بليون دولار، ثلثها من أمريكا والباقي من العالم. ويتوقع ارتفاع دخلها من خارج أمريكا إلى 50%، وتملك العديد من الأنشطة الإعلامية المتنوعة ومنها:

- 24 مجلة (منها تايم).
- ثاني أكبر دار للنشر في أمريكا.
- شبكة تلفزيون ضخمة واستديوهات برامج وأفلام، ودور عرض للسينما (أكثر من 1000 شاشة)، وأكبر شبكة كيبل تلفزيوني مدفوع في العالم.
- شركات أفلام في أوروبا، والعديد من محلات البيع بالتجزئة.
- مكتبة ضخمة من الأفلام (6000 فلم) والبرامج التلفزيونية (25000 برنامج).

- بعض القنوات الدولية التلفزيونية مثل HBO, TNT, CNhN.
- مساهمات رئيسة في قنوات وشبكات تلفزيونية أو مرئية.

وللعلم، فإن عدد مشاهدي المحطة الإخبارية CNN يفوق 90 مليوناً في 200 دولة، ولدى HBO 1.2 مليون مشترك حول العالم.

2. مجموعة برتلزمان Bertelsmann :

أكبر مجموعة إعلامية في أوروبا وثالث أكبر مجموعة في العالم. دخلها السنوي يجاوز 15 بليون دولار، وتتميز بأن لها تحالفات وتعاوناً مع العديد من المجموعات الإعلامية الدولية في أوروبا واليابان، ولها العديد من الأنشطة الإعلامية ومنها:

- قنوات تلفزيون في ألمانيا وفرنسا وبريطانيا؛ إضافة إلى استوديوهات سينمائية متعددة.
- مجموعة من الإذاعات الأوروبية.
- 45 شركة نشر للكتب بلغات أوروبا المختلفة.
- أكثر من 100 مجلة في أوروبا وأمريكا.

3. مجموعة فياكم Viacom:

مجموعة إعلامية قوية في أمريكا؛ وربع دخلها السنوي (13 بليون دولار) من خارج أمريكا، ولها نشاط محموم للتوسع الدولي؛ حيث أنفقت بليون دولار في السنوات الأخيرة للتوسع في أوروبا، ولها تحالفات مع العديد من المجموعات الإعلامية ونشاطها متنوع ومنه:

- 13 محطة تلفزيون في أمريكا إضافة إلى شبكات بث فضائي دولي شوتايم(4) نكلدون...).
- شركات إنتاج تلفزيوني وسينمائي وفيديوي وموسيقي.
- شركات نشر كتب.

4. ديزني Disney :

أكبر متحدٍّ لمجموعة تايم ورنر في العولمة الإعلامية. لها دخل يفوق 24 بليون دولار، ولها حضور قوي في مجال الأطفال بل تعتبر أكبر منتج لمواد الأطفال في العالم، ولها حضور من أقصى الشرق (الصين) إلى أوروبا والشرق الأوسط حتى أمريكا اللاتينية. ولها أنشطة متنوعة منها:

- استوديوهات أفلام وفيديو وبرامج تلفزيونية، وشبكة ABC التلفزيونية الضخمة في أمريكا، ومحطات تلفزيون وراديو متعددة.
- قنوات تلفزيونية دولية متعددة بالأقمار الصناعية والكيبل مثل ديزني Disney,Espn الرياضية.
- محلات تجارية باسم ديزني، ومراكز ألعاب وترفيه حول العالم.
- دور نشر للكتب.
- 7 صحف يومية، و3 شركات لإصدار المجلات.

وللمجموعة تحالفات ومشاركات مع مؤسسات إعلامية في أوروبا وآسيا وأمريكا اللاتينية وكذلك مع شركات بث واتصالات متعددة الجنسيات.

5. نيوز كوربريشن News Corporation :

خامس أكبر مجموعة إعلامية من حيث الدخل (10 بليون دولار) لكنها أكبر لاعب دولي في مجال الإعلام حول العالم. أسس المجموعة روبرت مردوخ(5) ويملك حالياً ثلثها، ولها وجود في جميع أنحاء العالم من خلال أنشطتها الإعلامية والتي منها:

- o 132 صحيفة و25 مجلة في أستراليا وبريطانيا وأمريكا (تعتبر واحدة من أكبر ثلاث مجموعات صحفية حول العالم).
- o شركة فوكس للإنتاج السينمائي والتلفزيوني، وشبكة فوكس للبث التلفزيوني؛ إضافة إلى22 محطة تلفزيون.
- o شبكة ستار للبث الفضائي حول العالم وشبكة سكاي (بريطانيا خصوصاً).
- o دور نشر للكتب.

وللمجموعة تحالفات مع مجموعات إعلامية حول الإعلام، وقاعدتها 6 دول رئيسة تنطلق منها أنشطتها المتنوعة وبالأخص: أستراليا بريطانيا أمريكا.

تعتبر هذه المجموعة من أعقد المجموعات الإعلامية وأوسعها، ولها نفوذ قوي في الصين والهند (فضلاً عن أوروبا وأمريكا)، وأسلوبها الناجح هو الشراكة مع جهات نافذة محلية مع عدم مصادمة التوجهات السياسية المحلية لهذه البلدان(6).

ومن أهم خصائص هذه المجموعة: أنها تبث بلغات البلدان المختلفة؛ فمجموعة (Fox) نفسها مثلاً تبث بالأسبانية في أمريكا اللاتينية وأسبانيا إضافة إلى الإنجليزية بوصفها لغة دولية وتتميز هذه المجموعة أيضاً بقدرتها على اختراق الدول النامية وتوطيد أقدامها فيها، كما أن لها مصادرها الخاصة بالأخبار

والبرامج ممثلة في شركات تابعة أو شريكة إضافة إلى قنوات البث الخاصة بها.
6 مجموعة TCT :

وهي مجموعة إعلامية متخصصة بالبث التلفزيوني عبر الكابل وكذلك عبر الأقمار الصناعية من خلال نظام الاشتراكات، ولها وجود قوي دولي في هذا الميدان؛ حيث تمتلك قمرين صناعيين للبث حول العالم (قيمتهما 600 مليون دولار) والدخل السنوي للمجموعة يفوق 7 بليون دولار.

مجموعات إعلامية أخرى:

هناك مجموعات إعلامية دولية أخرى على صنفين:

الأول: يمثل النشاط الإعلامي جزءاً من نشاط أوسع للشركة الأم.
والصنف الثاني: مجموعات إعلامية أصغر (من حيث الدخل؛ وإلا فإنها إمبراطورية
إعلامية لا يقل دخلها عن بليون دولار سنوياً)، وسنذكر هنا أبرزها وأكثرها تواجداً على الساحة الدولية:

1. يونيفرسال: تملكها مجموعة سيغرام الدولية، ويمثل دخل المجموعة الإعلامية (7 بليون دولار) نصف عائدات الشركة الأم. وأبرز أنشطتها: أعمال الإنتاج السينمائي والتلفزيوني والموسيقي ونشر الكتب، ولها 27 مكتباً حول العالم، ولها وجود قوي في أوروبا وشرق آسيا (سوف تنفق 200 مليون دولار في الصين حتى العام القادم).
2. بولي جرام: تمتلكها شركة فيليبس المشهورة، وأعمالها الرئيسة: إنتاج سينمائي وموسيقي، ودخلها يجاوز 6 بليون دولار نصفها من مبيعاتها في أوروبا وربعها في أمريكا.
3. سوني للترفيه: وهي جزء من سوني للإلكترونيات اليابانية الضخمة، وهي متخصصة في الإنتاج السينمائي والتلفزيوني والموسيقي والبث الفضائي، ولها دخل يجاوز 9 بليون دولار سنوياً، ولها شراكات وتحالفات متعددة في أوروبا وآسيا وأمريكا اللاتينية.
4. جنرال إلكتريك: من أكبر الشركات في العالم خصوصاً في الكهربائيات، وتملك شبكة NBC للتلفزيون والراديو، ودخلها يجاوز 5 بليون دولار، ولها وجود دولي وتحالفات متعددة مع شركات برامج كمبيوتر (ميكروسوفت) حيث أنفقت 500 مليون دولار من أجل قناة دولية للأخبار عبر الإنترنت MSNBC.

5. مجموعة هولنجر (كندا): ولها نشاط صحفي واسع؛ حيث تمتلك 60 صحيفة يومية.
6. التلفزيون المباشر (Direct TV) الأمريكي: [المملوك لشركة هيوز Huges للإلكترونيات والتي تمثل بدورها فرعاً من جنرال موتورز] وهي شركة بث عبر الأقمار الصناعية (14 قمراً حول العالم) وتصل إلى 100 دولة. عموماً هناك العديد من المجموعات الإعلامية (أكثر من 20 مجموعة يفوق دخلها بليون دولار سنوياً في أمريكا ومثلها تقريباً في أوروبا) والطابع العام لها هو التحرك الأفقي ومحاولة كسب أوسع مساحة من الأرض إعلامياً؛ وإن كان الوجود الأمريكي هو الطاغي لهذا التحرك.

وبما أن بقية العالم (عدا اليابان) متخلف في كل شيء فإن العولمة الإعلامية جزء من هذا التخلف العام، لكن هناك 4 مؤسسات إعلامية في أمريكا اللاتينية من الحجم الثاني وهي ذات توجه دولي.

وبالنسبة لآسيا والشرق الأوسط فلا توجد مؤسسات حتى من الحجم الثاني؛ على حين أن الأمر بالنسبة للمنطقة العربية أضعف بكثير.

أما اليابان فإنها رغم قوتها الاقتصادية إلا أنها متخلفة إعلامياً عن الغرب، وفيما عدا شركة (سوني) لا يوجد مؤسسات إعلامية دولية يابانية رغم وجود العديد من المؤسسات الإعلامية في اليابان (227 شركة من أكبر 1000 شركة إعلامية في اليابان) إلا أنها تركز على السوق الياباني المحلي، إحداها NHK التي يفوق دخلها 6 بليون دولار سنوياً.

العولمة الإعلامية والتقنية:

ترتبط العولمة بالتقدم والتوسع الاقتصادي ارتباطاً وثيقاً؛ ولذلك كانت عملية الرقمية (Digital) في نقل الصوت والصورة والكلمة حاسمة في تسهيل وصول هذه المواد للمستهدف، كما أنها خفضت التكلفة مما ساعد على توسيع دائرة الانتشار عالمياً، كذلك ساعدت شبكات الاتصال الفائقة (Fibers) في تسهيل نقل كميات كبيرة من المعلومات وبدرجة نقاء عالية وبوقت قصير حول العالم، وأصبح هناك تحالف ظاهر بين شركات الاتصالات وشركات التقنية والبرامج مع المؤسسات الإعلامية نظراً للمصالح المشتركة بين هذه الأطراف؛ فالأولى ترصف الطريق والثانية تسير عليه(7).

أهداف العولمة الإعلامية:

من المعلوم أن الربحية غرض رئيس للرأسمالية الغربية، وأي نشاط اقتصادي يكون وسيلة لزيادة الدخل وللربحية فإنه مُحبّب ومرغوب.. هذا هو منطلق العولمة الإعلامية: ربح وربح وربح.

لكن لا ننسى أن القائمين على هذه المؤسسات والعاملين فيها لهم خلفيات وعقائد ومبادئ ينقلونها إلى العالم من خلال أنشطة مؤسساتهم الإعلامية مثل ما تنقل السفينة البضائع، فلا يُستغرب أن نرى مضامين هذه العولمة الإعلامية متوافقة تماماً مع ما درج عليه أصحابها؛ فالعنف يستشري في دمائهم، والجنس قضية بيولوجية؛ أما العقيدة فهي مجموعة من الخزعبلات والخرافات والشعوذات تتوافق أحياناً مع تربيتهم الدينية (النصرانية) وتصادمها أخرى.

مَنِ المستهدَف؟

ليس هناك مجتمع محدد مستهدف بالعولمة ولا قطاع معين أو دولة محددة، لكن أينما وجدت التسهيلات الفنية والإمكانات المالية فتجدهم هناك، لذلك نجد توجهاً قوياً للمجموعات الإعلامية الدولية تجاه المراهقين والأطفال؛ نظراً للوقت الطويل الذي يقضونه أمام شاشات التلفاز، الإنترنت، الكمبيوتر.

والمجتمعات العربية والإسلامية مستهدفة بهذه العولمة ضمن هذا الميدان؛ فحيثما شُرعت الأبواب لهم فإنهم داخلون، لا يعتدُّون غالباً بالبيئات وثقافتها وتقاليدها فضلاً عن دينها ومبادئها.

من يقود العولمة الإعلامية؟

المتابع لوسائل الإعلام بكافة أنواعها والتلفاز والسينما والإنترنت على وجه الخصوص لا يخفى عليه الحضور الأمريكي الطاغي؛ لدرجه أن أصواتاً عدة ارتفعت في أوروبا (فرنسا على وجه الخصوص) لمقاومة المد الإعلامي الأمريكي الغازي.
وفي الوقت نفسه بدأ السعي الحثيث لدى بعض المؤسسات الإعلامية الأوروبية نحو
العولمة، بدءاً بالانتشار الواسع داخل أوروبا نفسها ثم الانطلاق نحو الأسواق الخارجية خصوصاً ذات الثقافة واللغة المتشابهة.

تطور العولمة الإعلامية:

بدأ التحول الضخم في اتجاه العولمة في مجال الاعلام بدءاً من الثمانينيات، وكانت البداية أفرعاً لمؤسسات وموزعين لمنتجات إعلامية، ثم تطورت الأمور مع التوسع الاقتصادي والنمو السكاني والانفتاح السياسي والاقتصادي بين الدول.

استطاعت مجموعة من المؤسسات الإعلامية أن تفهم حاجات المجتمعات المختلفة للمواد الإعلامية مما ساعدها على تطوير أدوات إيصال لهذه المواد مستفيدة من التطور التقني الواسع في ميدان الاتصالات.

بدأت المؤسسات الإعلامية الأمريكية القوية في موطنها في تكوين شركات متعددة الجنسيات وشراء أنشطة ومؤسسات إعلامية في البلدان الخارجية المختلفة.
واكب ذلك تحالفات استراتيجية مع الجهات المحلية القوية مستفيدة بدرجة كبيرة من
النفوذ الأمريكي السياسي في العالم وتهاوي أدوات المنع أو الرقابة ووسائلهما في البلدان المختلفة.

وتطورت الأمور تجاه العولمة بسرعة بالتواكب مع العولمة الاقتصادية؛ حيث يمكن إدراج الإعلام جزءاً من الأنشطة الاقتصادية.

وصل عدد المؤسسات الإعلامية الدولية إلى 40 مؤسسة نصفها تقريباً أمريكي.
ويتوقع الاستمرار نحو هذا الاتجاه وزيادة التكتلات والمجموعات الإعلامية الدولية وذلك في المدى القريب والمتوسط.

في دراسة تمت عام 1996 حول الإعلام في 41 دولة كانت النتائج ما يلي:

- أكثر الأفلام مشاهدة أمريكية، و 9 أشرطة من كل 10 أشرطة فيديو أمريكية.
- 20.000 مستهلك حول العالم (19دولة) سئلوا عن الثقافة الإعلامية الأمريكية أجاب ما يقارب النصف منهم بأنها جيدة جداً أو ممتازة.
- 90% من الإعلام في إيطاليا يسيطر عليه الإعلام الأمريكي.
- 25% من سوق الكتب (8 بليون دولار إجمالي دخل الكتب في العالم) تسيطر عليه 10 دور نشر وأكبرها بل أكثرها مملوكة لمؤسسات إعلامية دولية (تايم ورنر، بريكزمان، فياكم) نماذج لأنشطة إعلامية محددة ذات صيغة دولية:

بالإضافة إلى برامج التلفاز والسينما الأمريكية ذات الحضور الدولي الكثيف من خلال الشركات الإعلامية المذكورة سابقاً فإن هناك أنشطة إعلامية صحفية ذات طبيعة دولية؛ فتجد صحيفة دورية تصدر في أمريكا مثلاً ولها العديد من الطبعات الدولية ذات المضمون نفسه أو بتغير طفيف مثل مجلتي (نيوزويك) و (التايمالأمريكيتين.
كذلك هناك مجلة (ريدرز دايجست) الأمريكية التي لها 17 طبعة، كل طبعة بلغة

مختلفة
وبنسخ تعد بالملايين.

كذلك مجلة ناشيونال جيوغرافيك لها العديد من الطبعات بلغات مختلفة آخرها
وأحدثها اليابانية - اللغة الميتة - وبنسخ تفوق المليون شهرياً (ليس لها طبعة عربية).

مستقبل العولمة الإعلامية:

تعتبر أمريكا أكبر دولة في العالم اقتصادياً وسياسياً؛ وفي جانب الاتصالات هي الأولى وكذلك في جانب الكمبيوتر. أما الإعلام فلا يوجد لها منافس حقيقي في الساحة. هذه الحقيقة تعطي تصوراً واضحاً للمستقبل الإعلامي العالمي؛ فقيادة أمريكا له ظاهرة. وتداخل الإعلام مع التقنية في الكمبيوتر والاتصالات تجعل القدرة الأمريكية في استمرار الهيمنة الإعلامية مؤكدة؛ خصوصاً إذا انتبهنا إلى الأسلوب المستخدم في الإعلام (المرئي على وجه الخصوص) والذي يعتمد على الإيحاء والخيال الواسع والصورة والحركة لإيصال الرسالة الإعلامية بعيداً عن الكلام الكثير والحشو المطول.

ومما هو مشاهد أن التوسع الإعلامي (الأمريكي على وجه الخصوص) أفقي وعمودي؛ وقد استفاد من التحالفات المحلية (في المناطق القوية) والسيطرة والاحتكار (في البلدان الضعيفة).

كذلك فإن النظرة للعولمة من جهة الشركات الإعلامية الغربية والأمريكية على وجه الخصوص يزداد مع الأيام، والقناعة به بدأت تسري حتى في المؤسسات المتوسطة والصغيرة فضلاً عن الكبيرة.

هذا الأمر (العولمة الإعلامية) سيتجذر مع مرور الأيام، وسيصبح جزءاً مفهوماً من الواقع العالمي.

وبالطبع سيتأثر هذا الأمر بمدى المقاومة السياسية للبلدان المستهدفة وبمدى قدرتها على المقاومة أصلاً أو حتى برغبتها في ذلك أو عدم الرغبة.

كذلك سوف تتعرض البلدان المتخلفة لضغوط سياسية واقتصادية للقبول بهذا الواقع الإعلامي الجديد من باب: حرية الناس، وحقوق الإنسان، الإعلام الحر، تبادل
الثقافات، وحوار الحضارات.

ولا ننسى أيضاً أن الشركات الإعلامية تتحرك بمساعدة حكومية من بلدانها الأم وهي تنظر إلى الناس (في كل مكان) أنهم مستهلكون لسلع هم ينتجونها، ولا

ينظرون إليهم بصفتهم مواطنين في بلدانهم لهم ثقافاتهم الخاصة وعقائدهم المتميزة.
وأخيراً ... فإن واقع الإعلام العالمي يدعو للذعر مع الأخبار التي ما فتئت تذكِّرنا بل تذهلنا بالتطورات المتسارعة؛ حيث ذكرت إحدى الشركات الأمريكية أنها في صدد إطلاق قمر صناعي جديد ذي إمكانات تقنية مذهلة وبتكلفة أقل من الحالية.. تقول الشركة: إنها في غضون سنة 2002م سوف تطلق قمراً قادراً على بث ألف وخمسمائة قناة تلفازية في وقت واحد يعادل أداؤه مجموعة من الأقمار الصناعية الحالية.. هذا في جانب البث الفضائي.. أما الإنترنت فالشبكة القادمة والتي بدأ تطبيقها في بعض الجامعات الأمريكية ستصل سرعتها إلى 1000 ميجا بيت (2000 ضعف الشبكة الحالية) و 10،000 ميجا بيت في غضون بضع سنوات.. هذا يعني بثاً حياً عالي النقاوة للصورة المتحركة أو الصوت (تلفاز رقمي) أو الصوت، أما المواد المقروءة فيمكن نقلها في غضون بضع ثوان بدلاً من الدقائق حالياً.. بمعنى آخر: أن الإنسان سيمكنه مشاهدة مئات القنوات التلفزيونية بنقاوة معقولة وهو قابع في مكتبه أمام الكمبيوتر.

مع العلم أن هناك تجارب لبث تلفزيوني خاص بالإنترنت (ما زالت بصيغة متخلفة عن التلفاز العادي) علماً أن الإنترنت هي مولود أمريكي ويرعاه الأمريكان، والسيطرة فيه للشركات الأمريكية (خصوصاً الكبيرة منها والتي أصلاً لها وجود إعلامي نافذ دولياً). وبعد: فهذه مقتطفات استقيتها من هنا وهناك أردت بها أن أحذر وأحذر وأحذر من خطورة الإعلام على عالمنا العربي والإسلامي الضعيف في كل المناحي (ومنها الإعلام)، وهو أصلاً هزيل في تقنياته ومواده البعيدة عن جذور الأمة وعقيدتها. كذلك أحمِّل قادة الفكر والتوجيه المسؤولية في هذا الميدان، وأدعوهم للمسارعة في تحمل المسؤولية خصوصاً أننا دائماً متخلفون عن الركب عالة على الغير في كثير من أمورنا. والعبء الكبير لا يستطيعه فرد أو أفراد بل لا بد من مساهمة الجميع: مؤسسات، ورجال أعمال، مربين ومفكرين؛ كل بحسبه وكل بقدرته.
والأمر يسيرٌ لو كان الإعلام خالياً من الرسالة والهدف، بل المضمون الثقافي المُصدَّر إلينا لا يحتاج إلى كثير بصيرة لمعرفة خطورته على مجتمعاتنا وأجيالنا القادمة.

العولمة والإعلام الدولي

يمكن القول إن النظام الإقليمي العربي ومن خلال أداء معظم أنظمته السياسية استطاع احتواء آثار العولمة على الصعيد السياسي والاقتصادي، خصوصاً بعد الفشل الأميركي في العراق وارتفاع أسعار النفط الذي مكن تلك الأنظمة من تأمين هامش مريح لتحركاتها في الداخل والخارج، لكن الجانب الإعلامي والمعلوماتي من عملية العولمة ظل عصياً على تلك الأنظمة. فهي غير قادرة على احتواء آثار وتداعيات التطور التكنولوجي المتسارع في مجالات الاتصال والبث واستخدام الانترنت والتكامل بين قطاعي الإعلام والاتصال والترفيه الرقمي.

صحيح أن تلك الأنظمة حاولت احتواء وتقليص هذا الزخم الإعلامي والمعلوماتي لكن هذه المحاولات لم تنجح، وبالتالي أصبحنا إزاء وضع ملتبس يغلب عليه طابع الصراع بين خمسة أطراف متفاوتة القوة والتأثير، الأول يتمثل في الجمهور العربي صاحب الحق والطموح في الحصول على المعلومات والآراء وحرية التعبير في مواجهة حرص النظام الإعلامي العربي على ممارسة الاحتكار الإعلامي وفرض قيود على حرية الإعلام والإعلاميين.

لقد أدى تطور تكنولوجيا الاتصال وإمكانية البث المباشر - الإذاعي والتلفزيوني - عبر القنوات الفضائية من خارج المنطقة العربية وبتكلفة محدودة إلى زيادة الفرص المتاحة لحرية الرأي والتعبير بعيداً عن قدرة الحكومات العربية على الرقابة والمنع، واهتم كثير من الكتابات بتوضيح تلك الآثار والتداعيات، وكيف أنها سمحت بحريه تدفق المعلومات، ومن ثم ظهور مجال عام للنقاش بين الشعوب العربية.

لكن المفارقة أن أغلب الحكومات العربية كطرف ثان في معركة حرية الإعلام لم تسلم بهذا الوضع بل عمدت إلى تطوير قنواتها الفضائية ذات التمويل الحكومي وتقديم الدعم المباشر وغير المباشر إلى عدد من القنوات الفضائية المملوكة لأفراد أو شركات كبيرة دخلت في تحالفات سياسية مع تلك الحكومات تقوم على أساس تلقي الدعم المالي في مقابل تقديم الولاء السياسي، مع نزع الطابع السياسي عن معظم المضامين التي تقدمها. وتبرز في هذا الصدد مجموعات إعلامية خليجية ذات رؤوس أموال ضخمة تهيمن على الفضائيات العربية وتحصل على حصة كبيرة من الإعلانات، في المقابل تعاني معظم القنوات الفضائية العربية الأخرى من ضعف الهياكل التمويلية والتنافس السلبي وهشاشة المضامين وسطحيتها، ما أدى إلى ضعف الإقبال الجماهيري عليها، ومن ثم تقلص نصيبها من الإعلانات واتصالات الهواتف المحمولة.

في هذا السياق تركزت الملكية والأداء الإعلامي المهني المحترف والقادر على المنافسة في عدد محدود من القنوات الفضائية والمواقع الإعلامية على «الانترنت» والتي يمتلكها ويديرها عدد من المجموعات والشركات الخليجية مقابل عشرات من الفضائيات وآلاف من مواقع الانترنت الضعيفة مادياً ومهنياً، والتي تخصص بعضها في مجالات وموضوعات ترتبط بالتسلية أو الإثارة فضلاً عن السحر والشعوذة والتفاخر القبلي وإثارة النزعات الطائفية والدينية.

إن التراجع النسبي في دور الحكومات العربية للسيطرة على الإعلام اقتصر فقط - ونتيجة التكنولوجيا - على القنوات الفضائية الإذاعية والتلفزيونية، من هنا فإن معظم أدوار الهيمنة الحكومية العربية على الصحافة العربية - المطبوعة والالكترونية - ظل كما هو ومن دون تغيير تقريباً، نتيجة حاجة الصحافة المطبوعة إلى الحصول على موافقات وتصريحات حكومية، ووجود عدد من الدول العربية تفرض أنواعاً مختلفة من الرقابة على خدمة الانترنت ومواقع الانترنت في بلادها، الأمر الذي يشير إلى حقيقة أن العولمة فرضت بعض مظاهرها على النظام الإعلامي العربي لأسباب ترتبط بثورة تكنولوجيا الاتصال والمعلومات وليس لأسباب سياسية أو رغبة حقيقية لدى الحكومات العربية للإصلاح والتغيير وكفالة حرية الرأي والتعبير، والتي تعمل بكل الوسائل على احتواء الآثار الايجابية للعولمة على حرية الإعلام، وتحويل عولمة الأنشطة الإعلامية إلى مجرد مظاهر شكلية بلا مضمون، فضلاً عن استخدام بعض آليات العولمة للاستمرار وتعظيم عمليات تزييف وعي الجمهور العربي .
لكن عولمة الإعلام عملية أكثر تعقيداً من حسابات الأنظمة العربية، فلم تعد المواجهة على صعيد حرية الإعلام العربي بين الحكومات والجماهير العربية، بل إن هناك طرفاً ثالثاً في الصراع يتمثل في شركات الاتصال والإعلام والترفيه متعددة الجنسيات والتي تقود هذا القطاع، الذي يولد أرباحاً هائلة يصل جزء منها إلى مجموعات قوية من وكلائها المحليين في المنطقة. وربما تكفي الإشارة هنا إلى أن دخل الفضائيات العربية من الإعلان يقدر بحوالى ثلاثة بلايين دولار، هذا عدا دخل تلك الفضائيات من مكالمات الهاتف ورسائل الهاتف.

وثمة طرف رابع في الصراع على حرية الإعلام العربي يعبر عنه قطاع مؤثر من الشباب العربي أصبح قادراً على استخدام التكنولوجيا الجديدة في الوصول للأخبار والمعلومات بل في إنتاجها وتوزيعها عبر وسائل الإعلام الجديدة كمواقع الانترنت والمدونات ورسائل الهاتف، الأمر الذي يهدد الاحتكار التقليدي للأخبار والمعلومات والذي مارسته الأنظمة العربية وكان أحد أبرز سمات النظام الإعلامي العربي قبل العولمة.

العولمة والتبادل الإعلامي الدولي

العولمة ومفهوم الدولة

العولمة Globalization تحمل معنى "جعل الشيء على مستوى عالمي، أي نقله من حيز المحدود إلى آفاق "اللامحدود". واللامحدود هنا يعني العالم كله، فيكون إطار الحركة والتعامل والتبادل والتفاعل على اختلاف صوره السياسية والإقتصادية والثقافية وغيرها، متجاوزاً الحدود الجغرافية المعروف للدول المختلفة، وهذا المعنى يجعل العولمة تطرح ضمناً مستقبل الدولة القومية وحدود سيادتها، ودورها سواء على المستوى الداخلي أو الخارجي" (د. هالة مصطفى: العولمة .. دور جديد للدولة. القاهرة. مجلة السياسة الدولية، 1998 العدد 134. ص 43).

بينما جاء التعريف حسب المفهوم الأمريكي بأن العولمة هي "تعميم نمط من الأنماط الفكرية والسياسية والإقتصادية لجماعة معينة، أو نطاق معين، أو أمة معينة على الجميع، أو العالم كله". وبما أن العولمة بدأت أساساً من الولايات المتحدة الأمريكية، فقد جاءت نظرياً كدعوة لتبني النموذج الأمريكي في الإقتصاد والسياسة والثقافة وبالتالي طريقة الحياة بشكل عام.

وجاءت العولمة أساساً كنتاج للثورة العلمية والتكنولوجية، التي كانت نقلة نوعية في تطور الرأسمالية العالمية، في مرحلة ما بعد الثورة الصناعية التي ظهرت في منتصف القرن 18 في أوروبا نتيجة لاستخدام الطاقة، التي غيرت بشكل جذري اسلوب وعلاقات الإنتاج، لتبدأ معها مرحلة جديدة من مراحل التطور الإنساني، اتصفت بالتوسع الإقتصادي والبحث عن الموارد الطبيعية وفتح الأسواق العالمية. وكانت من مسببات ظهور الإستعمار التقليدي، وقيام الحروب الأوروبية لتلبية حاجات الرأسمالية الصاعدة.

ومما سارع في شيوع العولمة استمرار التطور العلمي والتكنولوجي، وما رافقه من تطور هائل لوسائل الإتصال والمعلوماتية الحديثة، التي شكلت بدورها تجديداً لنمط وطبيعة الإنتاج والتفاعلات والتعاملات الدولية. ولم تعد الحروب وسيلة لحسم الخلافات بين الدول الرأسمالية، بل أصبحت الحاجة ملحة لتوحيد أسواق الدول الصناعية المتقدمة من خلال سوق عالمية واحدة، أي ضرورة تجاوز الحدود السياسية القومية العروفة، وإعادة توزيع الدخل، والعمل على رفع المستوى المعيشي للإنسان ليمكن معه توسيع سوق الدول الصناعية المتقدمة، لاستيعاب المنتجات الحديثة، أي خلق المجتمع الإستهلاكي الكبير.

وشكلت هذه السمات نقطة التحول من الرأسمالية القومية إلى الرأسمالية العابرة للقوميات، التي ارتبط فيها ظهور مفهوم العولمة الذي عبر عن ظاهرة اتساع مجال الإنتاج والتجارة، ليشمل السوق العالمية بأسرها. وتجاوز الفاعلية الإقتصادية التي كانت لمالكي رؤوس الأموال، من تجار وصناعيين، الذين كانت تصرفاتهم محكومة في السابق بحدود الدولة القومية التي ينتمون إليها، لتصبح الفاعلية الإقتصادية مرهونة بالمجموعات المالية والصناعية الحرة، المدعومة من دولها، عبر الشركات متعددة الجنسيات. وهكذا لم تعد الدولة القومية هي المحرك الرئيسي للفاعلية الإقتصادية على المستوى العالمي، ليحل مكانها القطاع الخاص بالدرجة الأولى في مجالات الإنتاج والتسويق والمنافسة العالمية.

والعولمة ليست نظاماً إقتصادياً فقط، بل تعدته إلى كافة مجالات الحياة السياسية والثقافية والعلمية والإعلامية. لأن النمو الإقتصادي الرأسمالي العالمي استلزم وجود أسواق حرة، ووجود أنظمة سياسية من شكل معين لإدارة الحكم. كما تعددت مراكز القوة الإقتصادية العالمية في الراسمالية العالمية الحديثة، تعددت معها مراكز القوة السياسية، مما خلق بدائل وتعددية في القوى على مستوى السلطة، وهو ما دعم امكانيات التطور الديمقراطي بكل شروطه، من عدم احتكار السلطة، وتداولها، وتعدد وتنوع مراكز القوة والنفوذ في المجتمع، ومنع تركيز الثروة في يد الدولة وحدها، محققاً نوعاً من اللامركزية في الإدارة.

ومما ساعد على الإنتشار السريع للعولمة إنتصار الرأسمالية على الأنظمة الأخرى، من نازية وفاشية وشيوعية، وانهيار الإتحاد السوفييتي السابق، لتحل محله الجمهوريات المستقلة. وسقوط النظم الشمولية في أوروبا الشرقية. وتحول الأنظمة الجديدة في تلك الدول نحو أشكال من الحكم الديمقراطي، الذي يربط في جوهره بين التطور الديمقراطي والنمط الرأسمالي، الذي يعتمد على الديمقراطية في عملية التنمية الإقتصادية والإجتماعية والثقافية.

وأتاح الإتصال المباشر عبر القارات من خلال شبكات الإتصال العالمية ومحطات الإذاعة المسموعة والمرئية الفضائية، فرصاً لإبراز ملامح العولمة التي أصبحت ملموسة حتى من قبل الأشخاص العاديين في أي مكان في العالم. ومن المنتظر أن يتيح هذا التطور الهائل في تكنولوجيا وسائل الإتصال الحديثة، إمكانية زيادة التواصل الثقافي بين شعوب العالم، ويساعد على إيجاد آمال وأهداف ومصالح مشتركة تتجاوز المصالح القومية ولا تتناقض معها.

ومع ذلك فقد أثارت العديد من الحكومات مخاوف وشكوك كثيرة من المخاوف السياسية التي يمكن أن تنجم عن بث برامج معادية لأنظمة الحكم، وأفكاراً وايديولوجيات تهدد الإستقرار السياسي والإجتماعي داخل الدول. كما

وعبرت بعض القوى السياسية والإجتماعية المؤثرة في العديد من الدول عن خشيتها من النظام الإعلامي المفتوح الذي قد يهدد ثقافات وتقاليد وعادات ومقدسات الشعوب. وأثبتت الأحداث التي جرت خلال عامي 2011 و2012 في العديد من دول العالم صحة مخاوف الحكومات وشكوكها الكثيرة من استخدام التعبئة السياسية الناجمة عن استخدام التضليل الإعلامي عبر بث برامج الإذاعة المرئية لتحقيق أغراض سياسية هدامة أدت إلى إسقاط بعض الأنظمة الدستورية في تلك الدول.

وإذا كانت العولمة ترتبط بسيادة نموذج اقتصاد السوق، فإن هذا النموذج بدوره يثير قضية العلاقة بالدولة ودورها، ولا يبرر الإنتقال إلى اقتصاد السوق أبداً إختفاء دور الدولة، وكل ما هنالك سيؤدي إلى تغيير محدود لهذا الدور. ومعظم من كتب في أهمية نظام السوق، كان يقرن ذلك دائماً بضرورة وجود دولة قوية، ودونها لا تستطيع أن تقوم السوق بدورها. ومن هنا ليس هناك مجال للحديث عن محاولة إلغاء أو تقليص دور الدولة، بل بالعكس لا بد من التأكيد على هذا الدور وأهميته وضرورته، مع تعديل لهذا الدور ليتوافق ونظام السوق. (إسلام كريموف: أوزبكستان، طريقها الخاص للتجديد والتقدم.ترجمة: أ.د. محمد البخاري. دار السروات، جدة 1999. وإسلام كريموف: أوزبكستان، نموذجها الخاص للإنتقال إلى إقتصاد السوق. ترجمة: أ.د. محمد البخاري. دار السروات، جدة 1999. وإسلام كريموف: أوزبكستان على طريق الإصلاحات الإقتصادية. شركة المطبوعات للتوزيع والنشر. بيروت 1996. ود. محمد الختلان: أوزبكستان على طريق الإصلاح. صحيفة الجزيرة السعودية، 1996/5/30).

فالولايات المتحدة الأمريكية وهي أكبر دولة رأسمالية في العالم، تتدخل في الحياة الإقتصادية، وتحدد شروط النشاطات الإقتصادية، والسياسات النقدية والمالية والتجارية، والفارق المهم بين النظم المركزية، ونظم السوق، هو أن الدولة تتدخل في الحياة الإقتصادية باعتبارها سلطة، وليس باعتبارها منتجاً. لأن سلطة الدولة لا غنى عنها ولا تتناقض مع تطور الحياة الإقتصادية.

والإقتصاد الحر لا يعني أبداً غياب الدولة عن النظام الإقتصادي. والفرق بين النظام الليبرالي ونظام التخطيط المركزي، ليس في مبدأ "التدخل" ولكن في مضمونه. ففي ظل التخطيط المركزي تقوم الدولة بالإنتاج المباشر للسلع والخدمات، وتسيطر على النشاط الإقتصادي، عن طريق القطاع العام. أما في ظل الإقتصاد الحر، فإن الدولة تترك الإنتاج المباشر للسلع والخدمات للأفراد والمشروعات الخاصة، أي تحقق التكامل بين دور الدولة ودور القطاع الخاص، ويكون تدخلها في سير الحياة الإقتصادية، بوسائل أخرى أكثر فعالية، من حيث

الكفاءة الإنتاجية وتحقيق العدالة الإجتماعية. من خلال المحافظة على مستويات عالية في نمو الناتج القومي. والقيام بتوفير الخدمات الأساسية في مجالات التعليم والصحة والقضاء والأمن والدفاع، ويدخل فيها قيام الدولة بمشروعات البنية الأساسية.

ومبدأ الحرية الإقتصادية لا يعني أبداً إهمال مبدأ العدالة الإجتماعية، فالبلاد التي أخذت بهذا المبدأ، هي في مقدمة بلاد العالم من حيث الإهتمام بالفقراء، وتحقيق العدالة في التوزيع، وتوفير شبكة الأمان لكل المواطنين، ضد المخاطر الإجتماعية بما في ذلك البطالة والعجز والشيخوخة، وغيرها من الأمراض الإجتماعية. وهناك علاقة وثيقة بين الكفاءة في الأداء الإقتصادي وبين شروط العدالة. ذلك أن الكفاءة تعني نمو الإقتصاد القومي بمعدلات عالية، وتعاظم طاقة النظام الإقتصادي لتوفير فرص العمل المنتج لكل القادرين عليه، التي هي من المقومات الأساسية للعدالة الإجتماعية.

والدور الجديد هذا للدولة يؤهلها للتكيف مع المتغيرات العالمية الجديدة، دون انتقاص لسيادتها، في ظل انتشار مفهوم العولمة، وشروط النظام العالمي الجديد. الذي يقوم على مبدأ الإعتماد المتبادل بين دول وشعوب العالم. والإندماج الإيجابي والواعي في النظام العالمي الجديد. إنطلاقاً من حقائق أن العولمة ليست ظاهرة بلا جذور، بل هي ظاهرة تاريخية وموضوعية نتجت عن التطور الهائل لتكنولوجيا وسائل الإتصال ونقل المعلومات، والطبيعة التوسعية للإنتاج الرأسمالي. ولا يجوز البقاء خارجها، ويجب اللحاق بما يجري في العالم، والتعامل معه بوعي ووفق قواعد محددة تجنباً للبقاء خارج إطار التاريخ.

والنظام الإقتصادي الجديد جاء نتيجة لإنجازات كبرى في تاريخ تطور البشرية على كافة المستويات العلمية والثقافية والإقتصادية والتقنية والسياسية والفكرية، ويمثل نقطة جذرية مختلفة تماماً عن كل ماسبقتها من نظم. وأن الحضارة العالمية الحديثة قامت على أنقاض حضارات القرون الوسطى وثقافاتها، ورفضت فكرة الحق الإلهي، وفصلت الدين عن الدولة. وزودت الفكر البشري برؤية عقلانية تاريخية تنويرية، بتوجه ديمقراطي يقوم على أساس إحترام الرأي، والرأي الآخر، والتعددية، وحرية التعبير، وتكريس مبادئ حقوق الإنسان التي لاتعرف الحدود الجغرافية أو السياسية.

والعولمة تفرض على الدول الأقل تقدماً، القيام بمزيد من خطوات التحديث الشامل الذي لا يمكن دون الدور الفاعل للدولة، التي تضطلع به من خلال الترشيد والأداء الإقتصادي، وتنظيم تفاعلات السوق.

التبادل الإعلامي الدولي من وجهة نظر الأمن القومي

تنحصر وظائف الدولة عامة في ثلاث وظائف رئيسية، هي: -حماية الإستقلال؛ - تأكيد سيادة الدولة؛ - حفظ الأمن الداخلي، بمفهومه الواسع. بما يتضمنه من وجود سلطات شرعية، تعمل على تحقيق الحياة الأفضل، أو تحقيق الرفاهية، وإشباع رغبات الأفراد في كافة المجالات.

وتسعى الدولة لتحقيق هذه الأهداف من خلال مجموعة من الخطط تتعلق كل منها بتحقيق أحد تلك الأهداف، وتحاول أيضاً إحداث التوازن والتكامل بين هذه الأهداف، من خلال استراتيجية واحدة تضعها في محاولة لأن يكون هناك تناسق، بين تلك الأهداف وبين متطلبات تحقيقها على المستويين الداخلي والخارجي. وهذه السياسة الواحدة هي سياسة الأمن القومي التي تهدف بشكل عام إلى دعم قوة الدولة في مواجهة غيرها من الدول بما يمكنها من المحافظة على كيانها القومي ووحدة أراضيها.

ولا تختلف الدول مهما تباعدت مصالحها في فهم وتطبيق الوظيفتين الأولى والثانية، ولكن عندما نأتي إلى الوظيفة الثالثة، أي تحقيق الحياة الأفضل لمواطنيها، تظهر لنا الخلافات الناتجة عن تباين الأنظمة والمصالح. وكان هذا الخلاف أكثر وضوحاً بين الدول التي تأخذ بالأفكار الرأسمالية، وتلك التي كانت أخذت بالأفكار الإشتراكية أو الشيوعية، قبل إنهيار المنظومة الإشتراكية، والإتحاد السوفييتي السابق.

وتحاول الدولة من خلال سياسة الأمن القومي، الدفاع عن كيانها اعتماداً على قدراتها الذاتية في مواجهة ما قد يتهددها من أخطار، فتخصص من الموارد والإمكانيات ما يتناسب مع حجم وطبيعة هذه الأخطار، واضعة نصب أعينها، عجز الأمم المتحدة عن القيام بمسؤولياتها كاملة. وتأثير الدول الكبرى على كل تحرك تقوم به الأمم المتحدة.

ولذلك تحاول الدولة أن تقدر بطريقة موضوعية المخاطر التي تواجهها في الداخل، أو من الخارج، آخذة بعين الإعتبار مالديها من مقدرات عسكرية وإقتصادية وسياسية، وكيف يمكن استخدام هذه المقدرات استخداماً سليماً، حينما يتطلب الأمر استخدامها. وبعبارة أخرى كيف توازن بين مواردها والغايات التي ترجوها ؟

وسياسة الأمن القومي تتضمن كافة الإجراءآت التي تراها الدولة كفيلة بحماية كيانها، وتحقيق أمنها في مختلف المجالات الإقتصادية والسياسية

والعسكرية. وتتولى عادة هيئات متخصصة داخل الدول وضع تلك السياسات التي تشمل عادة ثلاثة مجالات رئيسية، وهي:

المجال السياسي:

وينقسم إلى ثلاثة أقسام رئيسية، هي:

- السياسة الخارجية: إذ أدى تشابك المصالح بين الدول بفعل التقدم العلمي والتقني في مجالات النقل والإتصال، إلى إلغاء الحدود والمسافات بين الدول. وأصبح لكل دولة مجموعة من العلاقات المتنوعة مع العديد من دول العالم بمختلف توجهاتها الأيديولوجية. وقد تتراوح السياسة الخارجية للدولة مع غيرها من الدول، بين التعاون الكامل الذي يصل أحياناً إلى الوحدة، أو الإتحاد بمختلف أشكاله، وبين الصراع باستخدام القوة المسلحة أو التهديد باستخدامها، أو اللجوء إلى حالة من اللاحرب واللا سلم، أو اللجوء إلى الحرب الباردة، ومحاولة فرض السيطرة والنفوذ.
- السياسة الداخلية: وهي كل ما يتعلق بسياسة الدولة الداخلية، كنظام الحكم، وفق ما يحدده دستورها وقوانينها وتشريعاتها المختلفة. ويدخل ضمن هذا الإطار خطط التنمية الإقتصادية والإجتماعية، والعمل على توفير الأمن والنظام والإستقرار داخل الدولة.
- النشاط الدبلوماسي للدولة: لأن كل دولة تتصل بغيرها من الدول بالطرق الدبلوماسية، وتعمل على تدعيم أجهزة ووسائل الإتصال بتلك الدول، لتتجنب الصدام المباشر وغير المباشر مع الدول الأخرى عن طريق اللجوء إلى التفاوض والإقناع، أو إبرام المعاهدات والإتفاقيات، أو الدخول في تحالفات إقليمية ودولية.كما وتعمل على الإستفادة من نظام الأمن الجماعي، في إطار منظمة الأمم المتحدة وغيرها من المنظمات الدولية والإقليمية لتحقيق أمنها وأهداف سياستيها الداخلية والخارجية.

وتهدف سياسة الأمن القومي في هذه الحالة إلى تأكيد مكانة الدولة في المجتمع الدولي، ومحاولة التأثير، وممارسة النفوذ على غيرها من الدول المجاورة وغير المجاورة.

المجال الإقتصادي: ويعد الجانب الإقتصادي لسياسة الأمن القومي مهماً جداً لارتباطه أساساً بتوفير الإحتياجات الإقتصادية للدولة، وضمان قدراتها حيال الدول الأخرى، واستشفاف احتياجاتها الإقتصادية من الدول الأخرى. واستخدام ما تملكه الدولة من إمكانيات إقتصادية لتحقيق أمنها. وقد تكون تلك الإمكانيات رؤوس أموال تملكها الدولة، أو خبرات تتوفر لديها، أو منتجات صناعية جاهزة،

أو مواد أولية هامة، أو أسواق تستوعب النشاطات التجارية، أو إستثمارية تستوعب رؤوس الأموال.

ولهذا تسعى دول العالم لزيادة قدراتها الصناعية المتطورة، وتعمل على توفير المواد الأولية والمواد الغذائية اللازمة لاحتياجاتها. وترفع كفاءة العاملين لديها في المجالات الصناعية والإقتصادية، وتدعم قدراتها المالية للوفاء بالتزاماتها دون المساس بالإحتياجات الأساسية للدولة.

ويشمل الجانب الإقتصادي في هذا النطاق مجالاً واسعاً يتجاوز إمكانيات الدولة الفعلية، وجملة نشاط مواطنيها، ليشمل علاقاتها الداخلية والخارجية، وتطوير إمكانيات التطور العلمي والتقني لوسائل الإنتاج ومستلزماتها. والإستفادة من العوامل الإقتصادية لممارسة النفوذ من خلال العلاقات الدولية، وفق أساليب معينة تمليها سياستها الخارجية.

ونتيجة لأهمية تأثير الجانب الإقتصادي على سياسة الأمن القومي، أصبح للمعلومات الإقتصادية أهمية قصوى جعلها تماثل أهمية المعلومات العسكرية والدبلوماسية، لأنها تشمل كل المصالح الإقتصادية للدولة من مختلف جوانبها، سواء مصالحها الذاتية أو مصالحها مع دول العالم الأخرى، أياً كانت درجة علاقاتها بها. لذلك فالمجال الإقتصادي يمثل جانباً هاماً لما له من تأثير على الأمن القومي.

المجال العسكري: يهدف الجانب العسكري لسياسة الأمن القومي، حماية إستقلال الدولة وسيادتها وسلامة أراضيها ضد أي عدوان خارجي قد تتعرض له من الخارج. لذلك فهي تعمل على تدريب قواتها العسكرية، وتسليحها بأسلحة حديثة، وتهتم بخطط الدفاع سواء في أوقات النزاعات المسلحة، أم في أوقات السلم، وتقوم بإعداد خطط دفاعية، ودراسات لازمة لمواجهة الأخطار المحتملة أو المتوقعة، كما وتقوم الدولة في الوقت نفسه بالإرتباط بمجموعة من مواثيق الدفاع القادرة على ردع أي عدوان من أي نوع قد تتعرض له من الخارج.

وعادة ما يكون الجانب العسكري في سياسة الأمن القومي للدول الصغرى مقتصراً على دعم قدراتها الدفاعية عن النفس، في مواجهة ما يمكن أن تتعرض له من عدوان. بينما تستغل دول السياسات التوسعية قدراتها العسكرية لتهديد الدول الأخرى أو العدوان عليها. لذلك تسعى الدول لزيادة نفوذها من خلال مجموعة من مواثيق الدفاع أو التحالفات العسكرية مع غيرها من الدول، يكون هدفها المعلن عادة الدفاع عن النفس.

وتجدر الإشارة إلى أن أثر القدرة العسكرية للدولة لا يقتصر على المسائل المرتبطة بالدفاع عن الدولة فقط، رغم عدم إمكانية إنكار أهمية ما تملكه الدولة

من قوة عسكرية حتى في مجال المفاوضات السياسية، لأن الدولة التي تملك قوة عسكرية هي في مركز قوة حيال الدول الأضعف عسكرياً.

ولتحقيق الأمن القومي الحقيقي والواقعي لابد من إيجاد توازن بين المصادر المتاحة، والأهداف المراد تحقيقها، أي تقدير الموارد الإقتصادية والمالية المتاحة للدولة، آخذين بعين الإعتبار الحجم المطلوب من الموارد لدعم القدرات العسكرية للدولة، والحد الأدنى المطلوب لتلبية إحتياجات الدولة ومواطنيها في الداخل، ومدى قدرة البنية الإقتصادية للدولة على تحمل الأعباء الإقتصادية الناجمة عن تحقيق سياستيها الداخلية والخارجية.

إضافة لعوامل أخرى تشكل بمجملها سياسة الأمن القومي داخلياً وخارجياً، وأسلوب تنفيذها، الذي ينبع أساساً عن تصرفات بشرية، ورغبات جماعية وفردية تمارس على نطاق الدولة بالكامل. وتستمد في نفس الوقت من خصائص مواطني الدولة وقدراتهم ومستواهم الثقافي والعلمي، وشكل الحكومة التي تدير شؤونهم، والحالة الإقتصادية والإجتماعية السائدة في المجتمع، والزعامات داخل المجتمع في أوقات محددة، والنظريات والأفكار التي يتبناها الرأي العام داخل الدولة المعنية.

إذ يرتبط نجاح سياسة الأمن القومي على القوة البشرية التي تمتلكها الدولة، ومدى ما يمكن أن تقدمه من تضحيات من أجل أمن وسلامة الدولة، وشكل التنظيم السائد الذي ينظم الأوضاع الداخلية في المجتمع، ومصادر الثروة التي يملكها المجتمع، ومدى القوة العسكرية التي تملكها الدولة، وقدرتها على استخدامها. لأنها كلها عوامل حيوية وهامة وأساسية لنجاح أية سياسة للأمن القومي، وقبل كل شيء تحتاج للمعلومات.

فتمتع الدولة بنظام داخلي متين لا يكفي وحده ليتيح لها تسيير علاقاتها الخارجية، بل لا بد من أن يكون للدولة إمكانيات تيسر لها الإضطلاع بما ما يدور حولها في أنحاء العالم المختلفة. وأن تملك القدرة على تحليل الموقف الدولي والإقليمي والداخلي العام، ومواقف الأشخاص والزعامات القادرة على التوجيه والتأثير، للوصول إلى أهداف سياسة الأمن القومي المرجوة.

والمعلومات بحد ذاتها ليس لها أية أهمية للدولة ما لم تحسن استغلالها والتصرف بها. ولهذا لابد من وجود ثلاثة أجهزة تعمل في مجال المعلومات، وهي: جهاز يناط به مهمة جمع المعلومات، وتوخي الدقة الكاملة قدر المستطاع؛ وجهاز يتولى تفسير المعلومات التي حصل عليها من الجهاز الأول وغيره من مصادر المعلومات، وعادة ما يكون هذا الجهاز عبارة عن مجموعة من الأجهزة الفنية البحتة المتخصصة في مجالات محددة، ويعمل كل منها على دراسة وتحليل

المعلومات الواردة، وتصنيفها حسب أهميتها ودلالاتها ومؤشراتها؛ وجهاز يقوم بمراجعة تلك الدراسات والتحليلات، واتخاذ القرارات النهائية بشأنها، على ضوء المشاكل التي تواجه الدولة في سبيل تحقيق أهداف سياسة الأمن القومي بشقيها الداخلي والخارجي.

ومن المتعارف عليه، أن قيام الدول بجمع المعلومات اللازمة لها في كافة المجالات الإقتصادية والعسكرية والسياسية والعلمية والصناعية والثقافية والإجتماعية والبشرية، يتم على الرغم من عدم وجود سند قانوني يبيح لها القيام بهذا العمل. لأن القانون الدولي التقليدي لم ينص صراحة بإلتزامات، ولم ينص على منح الدول حقوقاً في مجال جمع المعلومات أو الحصول عليها، أو تقديمها لغيرها من الدول. إلا إذا إعتبرنا ما منحه للدول من حقوق في إرسال البعثات الدبلوماسية المعتمدة، والإلتزام باستقبال تلك البعثات، أساساً لحق جمع المعلومات والحصول عليها، على ضوء ما هو معروف من أساليب الرصد والمتابعة والمراقبة بهدف الحصول على معلومات، في نطاق القيود التي يفرضها القانون الدولي. والممارسة الفعلية لهذا الحق تعتبر من الوظائف الأساسية للبعثات الدبلوماسية المعتمدة في دولة المقر.

ونتيجة لذلك يثير ما تقوم به البعثات الدبلوماسية المعتمدة من رصد ومتابعة ومراقبة وجمع للمعلومات الكثير من الخلاف. لأن التفريق بين العمل الدبلوماسي البحت، والعمل الدبلوماسي الذي يقوم أساساً أو ينطوي على جمع للمعلومات هو من الأمور الدقيقة التي يصعب تحديدها والتفريق بينها. ومن الأمثلة على الخلافات الناتجة عن ذلك، ما شهدته الولايات المتحدة الأمريكية من إنقسام في الرأي حول نشاطات أجهزة الأمن السوفييتية التي عملت داخل الولايات المتحدة الأمريكية قبل إنهيار الإتحاد السوفييتي السابق، فالمسؤولين في وزارة الخارجية الأمريكية أبدو تململاً من الإجراءآت الشديدة التي إتخذتها وزارة العدل ضدهم، لأنها لا تتفق مع "القواعد العرفية غير المكتوبة" بين الدولتين في مجال الأمن، ولكنها تتعلق بمن يتمتعون بالحصانة الدبلوماسية المنصوص عنها في الإتفاقيات الدولية والقانون الدولي.

ومن الأمثلة الأخرى ما أعلن في أيار/مايو 1996 عن قيام مجموعة من الدبلوماسيين البريطانيين المعتمدين في موسكو بالتجسس، عن طريق قيامهم بالتحقق من شراء عملاء الجيش الجمهوري الإرلندي IRA لأسلحة ومواد نووية من عصابات المافيا الروسية. مما دعى الحكومة الروسية إلى طرد أربعة من الدبلوماسيين البريطانيين المعتمدين من الأراضي الروسية بتهمة التجسس، وهو ما ردده جهاز المخابرات البريطانية M16، وتبعه قيام بريطانيا بإجراء مماثل.

ومن أوجه النقد الجدية التي توجه للحصانة الدبلوماسية، أنها قد تستخدم كغطاء لأعمال غير دبلوماسية. لأن الحصانة الدبلوماسية تستوجب الموائمة بين إعتبارين إثين، هما: الإعتبار الأول أمن وسلامة الدولة المستقبلة؛ والإعتبار الثاني دواعي الأمن التي يتطلبها العمل الدبلوماسي، من حصانة دبلوماسية للبعثات الدبلوماسية المعتمدة والعاملين فيها، ومن تسهيلات التنقل والمواصلات والإعفاء من الرقابة البريدية والبرقية والهاتفية، إلخ.

والمشكلة في تحديد ما يعتبر من المعلومات التي تدخل في إطار السرية، وتلك التي هي خارج ذلك الإطار، هي عملية شائكة ومعقدة بحد ذاتها، لأن الحد الفاصل بين النوعين من المعلومات يكاد يكون متداخلاً جداً. وتتزايد هذه المشكلة وتتعقد كل يوم على ضوء الثورة المعلوماتية الهائلة التي يشهدها العالم منذ عقود القرن العشرين الأخيرة، حيث أصبح الحصول على المعلومات نتيجة لتلك الثورة سهل وفي متناول قاصديها، بعد أن أتاحها لهم التقدم العلمي المستمر في مجال جمع وتخزين ونقل واسترجاع المعلومات، بما فيها معلومات تقع تحت طائلة "الأسرار" وتهدد أمن واستقرار الدولة.

وقيام الدول بجمع معلومات لازمة لها عن غيرها من الدول، يثير قضية هامة وحساسة، وهي أن المعلومات التي قد تحصل عليها دولة ما بالطرق المباشرة أو عن طريق الغير من الدول، أو عن طريق دولة أخرى تؤثر على أمنها القومي، وخاصة إذا تعلق الأمر بمعلومات تراها الدولة المعنية مرتبطة بأمنها القومي وسلامتها كدولة. ولهذا من الضروري التفرقة بين المعلومات التي يترتب عن الحصول عليها مساس بأمن الدولة وسلامتها، وتلك المعلومات التي لا ينطبق عليها هذا الوصف.

ونظراً لأهمية المعلومات المتعلقة بأمن وسلامة الدولة، جرت العادة على استبعاد مجموعة منها، من نطاق المعاملات المباشرة، سواء داخل الدولة أو خارجها، وفرضت عليها نطاقات من السرية والكتمان كفيلة بحفظها من الأخطار، واعتبرت الدولة المعنية أن محاولة الحصول على هذه المعلومات، أو الحصول عليها، جريمة تعاقب عليها التشريعات الجنائية. وتتعدد تلك المعلومات بتعدد المصالح المرتبطة بها، وهي تنحصر عادة في إطار الأسرار السياسية والدبلوماسية والإقتصادية والعسكرية، التي بطبيعتها يجب أن تبقى طي الكتمان، حرصاً على سلامة وأمن الدولة، ويقتصر العلم بها على أشخاص معينين، وخاصة تلك المعلومات التي يترتب عن كشفها تقييم المقدرات الإقتصادية والعسكرية والدفاعية للدولة من كافة جوانبها السلبية والإيجابية على السواء.

وتختلف الدول من حيث طبيعة تلك المعلومات، وفي الصفة التي تضفيها عليها، لارتباط هذا الموضوع بنواح أخرى كالحريات العامة داخل الدولة، ومشكلة تحقيق التوازن بين مقتضيات أمن الدولة، وما ينشده الفرد من حماية لحقوقه وحرياته، مما ينتج عنه أهمية قيام الدولة بتحقيق التوازن والتوافق بين حقها في الأمن والإستقرار، وحقوق مواطنيها في المعرفة والإطلاع بشكل لا يطغى أي منهما على الآخر.

ونجد أن تشريعات بعض الدول ذهبت أبعد من ذلك وحددت طبيعة المعلومات التي تدخل في دائرة السرية. وقد تكون تلك المعلومات متعلقة بحماية الدولة إقليمياً وتأمين أمنها كما في بلجيكا ولكسمبورغ. أو أن تكون معلومات تتعلق بحقوق الدولة اتجاه دول أخرى كما في إيسلندا. أو في أمور يفترض بأنها تهم أمن الدولة كما في هولندا. أو تتعلق بمصالح الدفاع القومي، أو بالأسرار العسكرية والإقتصادية والسياسية كم في سويسرا وفرنسا.

وتشريعات دول أخرى كبلجيكا ولوكسمبورغ وهولندا وسويسرا ويوغسلافيا، لم تضع تعريف محدد للأسرار المتعلقة بالأمن والدفاع على اعتبار أنها فكرة واسعة تختلف وتتنوع إلى أشكال كثيرة، مما لا يجوز معه تقييدها بتعريف ضيق محدد. ويؤدي هذا الإتجاه عادة إلى تخويل القضاء سلطات واسعة في تفسير النصوص القانونية.

وحاولت دول أخرى تعريف أسرار الأمن والدفاع، وأعدتها في صيغ عامة، كالتفرقة بين الأسرار وطبيعتها التي أقرها القانون الفرنسي في المادة 2/1/78، والقانون الإيطالي في المادة 257 من قانون العقوبات. تبعاً للطبيعة السرية للموضوع ذاته، أو بناءاً على أوامر من السلطات المختصة. وراح المشرع الفرنسي أبعد من ذلك حيث لم يقتصر على حماية الأسرار المتعلقة بالدفاع والأمن القومي الفرنسي وحده، بل وسعها بالمرسوم الصار في تموز/يوليو 1952 لتشمل أسرار الدول الأعضاء في حلف شمال الأطلسي.

ومن الخبرات التشريعية للدول النامية نرى أن القانون المصري أخذ مجموعة الأسرار المرتبطة بالدفاع عن البلاد، بحكم طبيعتها. فنصت الفقرة 1 من المادة 52 من قانون العقوبات المصري على أنه "يعتبر من أسرار الدفاع عن البلاد، المعلومات الحربية والسياسية والإقتصادية والصناعية التي بحكم صفتها لا يعلمها إلا الأشخاص الذين لهم صفة في ذلك، ويجب مراعات أنه لمصلحة الدفاع عن البلاد، يجب أن تبقى سراً على ماعدا أولئك الأشخاص". وأوضحها الدكتور ممدوح شوقي السفير بوزارة الخارجية المصرية، في مقالته "الأمن القومي والعلاقات الدولية" المنشورة في مجلة السياسة الدولية، على الشكل التالي:

المعلومات الحربية: الحقائق التي تتعلق باستعداد البلاد العسكري وكفايتها الحربية، ووسائل الدفاع عنها، وعملياتها الحربية في البر والبحر والجو، سواء في وقت السلم أم في وقت الحرب. كالمعلومات المتعلقة بسلاح سري، أو طرق الوقاية منه، والخطط العسكرية وتاريخ ومكان إجراء التجارب العسكرية، والتعليمات الصادرة من القيادة العسكرية لضباطها وجنودها.

المعلومات السياسية: وتتعلق بالسياسة الداخلية والخارجية المتبعة، أو التي تنوي الدولة السير عليها، متى كانت ترتبط بشؤون الدفاع عن البلاد، ولو بطرق غير مباشرة. فلا عبرة بالمعلومات التي تتعلق بسياسة الحكومة في السابق.

المعلومات الدبلوماسية: الحقائق المتعلقة بعلاقة الدولة دبلوماسياً مع غيرها من الدول، مثال: اعتزام الدولة قطع علاقاتها السياسية بدولة معينة، أو الإعتراف بهيئة ثورية تناهض الحكومة والإتصالات الدبلوماسية بين الدولة، ودولة أخرى أجنبية للتوسط في حل نزاع دولي يمس أمن الدولة.

المعلومات الإقتصادية: وهي ليست إلا نوعاً من المعلومات الإقتصادية التي ترتبط بالمجهود الصناعي للدولة، ولا يقتصر الأمر على الإنتاج الصناعي للدولة، بل يمتد إلى الشركات الخاصة التي تفيد الدولة في إنتاجها في الدفاع عن البلاد، مثال: ما تورده إحدى الشركات من إنتاج للقوات المسلحة، لاستعمالها الخاص في العتاد الحربي.

ولا ينبغي أن يفهم أن جمع المعلومات الحربية أو السياسية أو الدبلوماسية أو الإقتصادية، تعد متعلقة بأسرار الدفاع عن البلاد، بل يجب توفر شرطين لذلك:
- أن تكون المعلومات متعلقة بالدفاع عن البلاد، أي تتعلق بسلامة الدولة وسيادتها، ووسائل الدفاع عنها وعن كيانها في شتى الميادين في زمن السلم وفي زمن الحرب. - وأن تكون هذه المعلومات بطبيعتها من الأسرار التي لا يعلمها إلا الأشخاص الذين لهم صفة في ذلك. ومن ثم لا يقتصر معنى الدفاع عن البلاد على المدلول العسكري وحده، بل يتسع لكل ما يتعلق بأمن الدولة الخارجي، من النواحي العسكرية والسياسية والدبلوماسية والإقتصادية في زمن السلم أو في زمن الحرب بطريقة مباشرة أو غير مباشرة.

وعلى ذلك فالسرية ليست صفة لصيقة بالمعلومات، ولكنها صفة تخلعها الدولة عليها من زاوية معينة، فهي طبيعة إعتبارية للمعلومات، وهي مسألة نسبية، فما يعتبر سراً في فترة معينة، لايعتبر سراً بعد مرور فترة زمنية معينة. فالسرية صفة تلحق بالمعلومات في لحظة معينة تمليها سلامة وأمن الدولة في تلك اللحظة. ولهذا على المراسلين الصحفيين الأجانب والمستشارين والملحقين الإعلاميين المعتمدين في أي دولة من دول العالم أن يتعرفوا على مضمون ليس

القوانين الناظمة للعمل الصحفي في البلاد المعتمدين فيها وحسب، بل والتعرف على مضمون قوانين العقوبات فيها، وخاصة ما يمس منها العمل الصحفي، رغم الحصانة الدبلوماسية التي يتمتعون بها.

وهناك جملة أخرى من المشكلات التي ترتبط بقيام دولة ما، بالحصول على المعلومات عن غيرها من الدول، بطرق غير مشروعة أو علنية. وهي مشكلة نتجت عن التقدم العلمي في مجال جمع وتخزين ونقل المعلومات، فالصورة التقليدية للحصول على المعلومات هي عبارة عن علاقة مباشرة بين دولة وأحد الأفراد الذين ينتمون إليها، أو من رعايا دولة أخرى، يقوم بنقل المعلومات إليها، أو قيام مواطن دولة محايدة بجمع المعلومات لصالح إحدى الدول. ولكن الصورة التقليدية تغيرت اليوم، وأصبحت العلاقة مباشرة بين دولتين دون طرف آخر، يتوسط عملية نقل المعلومات، وذلك نتيجة لحصول الدولة على المعلومات اللازمة لها بصورة مباشرة عن طريق الأقمار الصناعية وطائرات التجسس. والهدف والغاية، كانا فيما مضى يحددان طبيعة الفعل، ثم حدث تطور بظهور العنصر العام للدولة في هذه العلاقة فأصبحت الوسيلة هي التي تحدد طبيعة الفعل.

وترتبط بذلك أيضاً، مشكلة أخرى يثيرها الحصول على المعلومات عن طريق الأقمار الصناعية، أو طائرات التجسس أو أدوات الإستشعار عن بعد بواسطة دولة معينة، دون علم الدولة صاحبة الشأن بذلك. وهو ما يطرح بدوره تساؤلات عن مدى التزام الدولة التي حصلت على تلك المعلومات، بإطلاع الدولة صاحبة الشأن عليها، أم أن تبقيها كورقة رابحة تستخدمها في مجال الضغوط السياسية ! وما مدى مسؤولية الدولة التي حصلت على هذه المعلومات، إذا قامت بتزويد دولة ثالثة بتلك المعلومات التي حصلت عليها ؟

وقد حاولت منظمة الأمم المتحدة منذ عام 1960 من خلال اللجان المتخصصة، ولجنة الأمم المتحدة لاستخدام الفضاء الخارجي، البحث عن إطار قانوني يحدد هذه العلاقة، بالإضافة إلى تنظيم اكتشاف ثروات الأرض عن طريق الإستشعار عن بعد. والمشكلات الأخرى المترتبة على الثورة في مجال نقل المعلومات، أو ما يمكن أن يطلق عليه إسم "النظام الدولي الجديد للإتصالات والمعلومات" واحتمالات تأثير هذا المجال الجديد على سيادة الدولة، وأمنها القومي، وقدرتها الإقتصادية والصناعية وغيرها. وكررت منظمة الأمم المتحدة محاولات التصدي للمشكلات الناتجة عن الحصول على المعلومات بواسطة الأقمار الصناعية في الأعوام 1979، 1980، 1981. ولكن الجهود التي بذلتها اللجان الفرعية ومجموعات العمل الفنية، باءت بالفشل بسبب الخلاف على المصالح القومية للدول، وعلى وجه التحديد بين الدول المتقدمة في هذا المجال،

وتلك التي لم تنل حظها من التقدم بعد. أي الخلاف بين الدول التي تستطيع الحصول على المعلومات وتلك التي تتلقى المعلومات فقط. وهو صراع بين حرية نقل المعلومات، والتمسك بالسيادة القومية، بما في ذلك الثروة الطبيعية وأية معلومات عنها. فالدول المتقدمة ترى أن المادة 19 من إتفاقية الأمم المتحدة للحقوق السياسية والمدنية، قد نصت على مبدأ حرية نقل المعلومات. في الوقت الذي تمسكت الدول الأخرى بالفقرة 3/ب من نفس المادة التي قيدت هذا الحق بمقتضيات الأمن القومي والنظام العام والصحة العامة والأخلاقيات. ومن ثم تبلور الخلاف بين فريقين: الأول: ويضم الدول الصناعية المتقدمة؛ والثاني: ويضم الدول التي تدافع عن النظام الإقتصادي الدولي الجديد، الذي نص عليه قرار منظمة الأمم المتحدة عام 1974. وبمعنى آخر الخلاف بين دول الشمال، ودول الجنوب.

وقد توصلت المناقشات التي تمت بين أعضاء اللجان الفرعية الفنية إلى ضرورة أن يكون هناك تنسيق بين الدول في حالات الكوارث الطبيعية، وبضرورة إبلاغ الدول المعنية بأية معلومات قد تتوافر في هذا الشأن. أما بالنسبة للمعلومات الأخرى التي يتم الحصول عليها بواسطة الأقمار الصناعية، فكان هناك نوع من الإتفاق على بعض الموضوعات الخلافية، ومنها: - أن تمتنع الدولة التي تقوم بالإستشعار عن بعد دون موافقة الدول التي يتم تصوير أراضيها، عن تقديم المعلومات لدولة أخرى، أو منظمة دولية أو المؤسسات العامة أو الخاصة. وقد أيدت غالبية الدول النامية هذا الإتجاه في حين عارضته الدول المتقدمة؛ - وأن يكون الإستشعار عن بعد بما يتفق مع حق الدولة المعنية في التصرف بمواردها الطبيعية، بما في ذلك المعلومات المتاحة عنها.

ولايزال المجتمع الدولي في ظل قواعد قانونية دولية غير واضحة، ولم يزل بعيداً عن وضع مثل تلك القواعد، لتنظيم الحصول على المعلومات ونقلها عن طريق الأقمار الصناعية أو الإستشعار عن بعد. وهذا يدعو المجتمع الدولي ودول العالم داخل المنظمة الدولية إلى وضع بعض القواعد العامة التي يمكن أن يسترشد بها في هذا المجال: وأولها: تقييد حرية الفضاء الخارجي باعتبارات الأمن للدولة صاحبة الشأن؛ وثانيها: حق جميع الدول في الحصول على المعلومات التي تتعلق بأراضيها وثرواتها؛ وثالثها: ضرورة التعاون الدولي من أجل مساعدة جميع الدول على الحصول والإستفادة من المعلومات التي يتوصل إليها. مع الإبقاء على حق الدولة المعنية في إثارة المسؤولية الدولية ضد الدولة التي تحصل على معلومات عنها، وأن تطالبها بتقديم تلك المعلومات مع إعتبار أن ما قامت به يشكل عملاً غير مشروع.

والحل يبقى في التعاون الدولي، وفي النوايا الحسنة بين الدول. لأن الصراع غير ملائم لعالم اليوم، ويؤدي إلى تشتيت الجهود الدولية التي يمكن أن توجه إلى ما فيه صالح المجتمع الدولي نفسه، وإلى حل المشاكل التي تهدد البيئة البشرية بأسرها، وخاصة في ظل التقدم العلمي والتكنولوجي الهائل في مجال النقل والإتصال والمعلوماتية، التي عملت على إلغاء الحواجز الجغرافية وتقريب المسافات بين أجزاء العالم المختلفة، ليصبح العالم معها اليوم أكثر إرتباطاً من ذي قبل، وهو ما يؤكد على أن تحقيق الأمن القومي لا يتم من خلال الصراع بين الدول، بل من خلال التعاون الوثيق بينها.

ولا ريب في أن تخلي الدول عن سياسة استخدام القوة أو التهديد باستخدامها، والتزامها بمبادئ القانون الدولي وقواعده، بروح من التضامن والإخاء والثقة المتبادلة، لن يؤتي ثماره بتحقيق الأمن لدولة بعينها فحسب، بل سوف يحقق الأمن لكافة دول العالم. ويجنب البشرية ويلات الحروب المدمرة، التي ضاعف من خطورتها التطور العلمي والتكنولوجي الهائل في كل ميادين الحياة، ومن بينها ميدان صناعة وإنتاج أسلحة التدمير الشامل الفتاكة والمدمرة.

ولا بد من أن تصب جهود التعاون الدولي في مجال مواجهة الآثار الناجمة عن المخاطر الإقتصادية داخل الدولة، وأن تسعى الدول إلى توفير الغذاء ورفع المستوى الثقافي والعلمي والإقتصادي لمواطنيها، وأن تعيد البناء الإجتماعي داخل الدولة، بما يحقق تنمية شاملة حقيقية، بدلاً من إضاعة الوقت والجهود في الصراع من أجل تركيز القوة للمواجهة مع الغير.

خاصة وأن الإكتشافات العلمية في مجال النقل والإتصالات والمعلوماتية ونقل المعلومات عبر الأقمار الصناعية وقنوات الإتصال ونقل المعلومات الأخرى، قد أحدثت تغييراً شاملاً في مفهوم سيادة الدولة، وأصبحت الممارسة الفعلية لمظاهر السيادة، تتحقق بقدر ما تحوزه الدولة، أو يتيسر لها من إمكانيات يوفرها التقدم العلمي في شتى مجالات الحياة.

وأصبحت ممارسة السيادة كاملة لدى بعض الدول، ومحدودة لدى البعض الآخر، وأصبح كمال السيادة ونقصانها من الناحية السياسية مرتبط بما لدى الدولة من إمكانيات علمية وتقنية متقدمة، تتيح لها فرصة معرفة ما يدور حولها في منطقتها وفي مناطق العالم الأخرى. وأصبح لبعض الدول معلومات تزيد كثيراً في بعض الأحيان عما يتوفر من معلومات لدى الدولة صاحبة الشأن. ولم تعد الحدود السياسية والموانع الجغرافية صعبة الإختراق، بل أصبحت أقل صموداً أمام التقدم التكنولوجي، وعلى سبيل المثال: موجات الإذاعتين المسموعة والمرئية، أصبحت تدخل حدود الدولة السياسية دون إذن منها، ولا تستطيع أية

دولة حيالها شيئاً، إلا من خلال سن التشريعات التي تحظر ذلك أو ذاك، أو بث موجات مضادة، أو الدخول في منافسة تكون غير متكافئة في أكثر الأحيان.

وأن الإطار الجديد للتنافس بين دول العالم، أصبح إقتصادياً، وأصبح التفوق أو التقدم الإقتصادي يعادل القوة العسكرية، كما أن التقدم الإنتاجي يعادل تطوير الأسلحة الفتاكة. وأن إقتحام الأسواق العالمية بساندة الدولة لا يقل أهمية عن القواعد العسكرية في أراضي الدول الأجنبية، ولا يقل عن النفوذ الدبلوماسي في تلك الدول.

التبادل الإعلامي الدولي من وظائف الدبلوماسية الرسمية

يعد العمل الدبلوماسي أحد الوسائل الأساسية لتنفيذ السياسات الخارجية للدول .

ومن مهام وزارات الخارجية، مزاولة الوظيفة الدبلوماسية، من خلال إداراتها المركزية، وهي إدارات: جغرافية: كإدارات غرب وشرق أوروبا، وأمريكا الشمالية، والشرق الأوسط ... إلخ؛ ووظيفية: كإقتصادية، وثقافية، وإعلامية ... إلخ؛ وإدارية: كالشؤون القنصلية، والبعثات الدبلوماسية ... إلخ .

وتزود السفارات والقنصليات في الخارج عادة بمستشارين أو ملحقين مختصين في الشؤون الإعلامية والعسكرية والإقتصادية،يشرف عليهم رئيس البعثة الدبلوماسية (السفير)، ولكنهم يتبعون عملياً الجهة الرسمية التي أوفدتهم في الدولة.

وفي السابق كانت الدبلوماسية سرية، إلى أن تحولت إلى دبلوماسية مفتوحة وعلنية أكثر، بعد الأحداث الهامة في تاريخ العمل الدبلوماسي التي اقدمت عليها السلطة البلشفية بعد استيلائها على السلطة في الإمبراطورية الروسية عام 1917، وكشفها على الملأ عن كل الإلتزامات السرية لروسيا القيصرية. وإعلان الرئيس الأمريكي ويلسونلمبادئه الأربعة عشر عام 1918. وقيام عصبة الأمم بمطالبة الدول الأعضاء فيها بتسجيل معاهداتها والتزاماتها الدولية، لتقوم عصبة الأمم بعد ذلك بتوثيقها. وهو الدور الذي تقوم به منظمة الأمم المتحدة بعد تأسيسها إثر الحرب العالمية الثانية، بنشر تلك المعاهدات والإلتزامات ضمن إطار الدبلوماسية المفتوحة. ورغم ذلك فهناك جوانب كثيرة في العمل الدبلوماسي، لم تزل تحمل طابع السرية، كالمفاوضات الخاصة بالمعاهدات والإتفاقيات، واتفاق الأطراف المعنية على بعض البنود السرية، تمشياً مع ضرورات الأمن القومي والمصلحة القومية العليا، وضرورات السياسة الخارجية لتلك الدول.

وينقسم العمل الدبلوماسي إلى: الدبلوماسية التقليدية: التي تتم من خلال محادثات ثنائية تجري بين طرفين، ولم تزل متبعة حتى الآن؛ ودبلوماسية المؤتمرات: وهي الدبلوماسية الجماعية التي تمارس من خلال المؤتمرات الدولية، وتشمل كل الجوانب السياسية والإقتصادية والقانونية والإجتماعية والمهنية والعلمية والثقافية، ... إلخ. وتحتمالدبلوماسية الجماعية أن يكون المندوب المشارك، على إطلاع ودراية بموضوع أو موضوعات المؤتمر، وأن يتمتع بقدرات إعلامية من خلال ما يدلي به داخل المؤتمر أو خارجه من تصريحات لوسائل الإعلام الجماهيرية؛ والدبلوماسية البرلمانية: وهي دبلوماسية المنظمات الدولية، وتمارس من خلال إلقاء البيانات، والمناورات الدبلوماسية، والإتصالات من وراء الكواليس. وهنا يظهر واضحاً الدور القوي الذي تلعبه التكتلات السياسية والإقتصادية الدولية والإقليمية. كما ويؤثر النظام الدولي على العمل الدبلوماسي، في إدارة الصراع بين الدول والسياسات الخارجية المتعلقة بها، والمواقف السياسية المتعددة في العلاقات الدولية، وخير مثال على ذلك: الدبلوماسية التي تدور في إطار منظمة الأمم المتحدة (نفس المصدر السابق)؛ ودبلوماسية القمة: وهي سمة أساسية من سمات العصر الراهن، وتتميز بالسرعة في اتخاذ القرارات الهامة، بعد التطور الهائل في وسائل المعلوماتية والإتصال والمواصلات، الذي أثر بدوره على العمل الدبلوماسي الذي كان في السابق يعتمد على الدبلوماسي نفسه، ليتحول إلى تنفيذ تعليمات دولته في أكثر الأحيان. وأصبح من المعتاد اليوم أن يجتمع رؤساء الدول والحكومات لبحث الأمور الهامة. ويسبقها العمل الدبلوماسي الذي يمهد لتلك اللقاءآت، والأشكال الأخرى للعمل الدبلوماسي الذي يؤمن استمرارية العمل الدبلوماسي، كالدبلوماسية الثقافية والإقتصادية ... إلخ؛ والدبلوماسية الشعبية: وتدخل ضمن إطار العلاقات العامة الدولية، والدبلوماسية الإعلامية، ودبلوماسية المنظمات المهنية والشعبية والمؤسسات العلمية والثقافية والإقتصادية والإجتماعية، من خلال الإتصالات التي تتم مع مثيلاتها في مختلف دول العالم. وتسعى الدبلوماسية الشعبية دائماً لخدمة أهداف الدولة، وأهداف سياستيها الداخلية والخارجية.

فإذاً فالعمل الدبلوماسي هو الوسيلة التي تنفذ من خلالها السياسة الخارجية للدولة، وهي إدارة العلاقات الدولية من خلال التفاوض (نفس المصدر السابق. و- Ibid., p. 147.)، كما وتعرف بفن التفاوض من أجل تحقيق الحد الأقصى للأهداف، بالحد الأدنى من للنفقات، من خلال نظام سياسي يمكن أن يؤدي إلى نشوب الحرب (نفس المصدر السابق). ولو افترضنا بأنه هناك دبلوماسية إعلامية بحد ذاتها، فإننا نستطيع القول بأن تطور وظيفة العمل الدبلوماسي، قد جعل الدبلوماسي يقوم بمهام إعلامية من خلال إلقاء البيانات، وإطلاق التصريحات،

ونشر الأخبار، وإجراء الإتصالات، وإقامة علاقات مع صانعي القرار السياسي، والصفوة الإجتماعية وقادة الرأي.

وعملية الإتصال بالجماهير اليوم أصبحت من المهام المرتبطة بالعمل الدبلوماسي. وهكذا نرى أن العمل الدبلوماسي أصبح مرتبطاً بالعمل الإعلامي، وهذا يفسر الأسباب التي دعت بعض فروع العلوم السياسية لتعتبر الإتصال والإعلام، والعلاقات العامة الدولية فرعاً من فروعها الدراسية التي يتحتم على الطالب دراستها. حتى أن مظاهر العمل الدبلوماسي خلال القرن العشرين قد اتخذ منحى الرغبة في نشر ثقافة الدولة التي يمثلها الدبلوماسي، بالإضافة لممارسته الوظيفة الإعلامية الدولية.

المستشارون والملحقون الإعلاميون

بعد التطور الكبير الذي شمل عمل البعثات الدبلوماسية المعتمدة خلال القرن العشرين، وتزويدها بالمستشارين والملحقين الثقافيين والتجاريين والإعلاميين والعسكريين وغيرهم، تمشياً مع وزن الدول التي يمثلونها. والرغبة بزيادة عدد أعضاء البعثة الدبلوماسية العاملة في الخارج بمختلف التخصصات لرعاية مصالحها في الدول المعتمدة فيها، وتنفيذ المهام المطلوبة منهم ضمن إطار سياستها الخارجية. بدأت بعض الدول بتعيين مستشارين وملحقين إعلاميين، ضمن بعثاتها الدبلوماسية المعتمدة في الخارج.

ونرى أن المستشار والملحق الإعلامي، يمارسون الوظيفة الإعلامية الدولية، أو وظيفة التبادل الإعلامي الدولي من خلال الإتصال بالجماعات المؤثرة في الدول المعتمدين لديها، كالمسؤولين في الدولة، وأعضاء البرلمان، والأحزاب السياسية، وجماعات الضغط، وقادة الرأي وغيرهم من المؤثرين في صناعة القرارات السياسية بشكل عام.

كما يمارسون وظيفة الإتصال الجماهيري من خلال وسائل الاتصال والإعلام الجماهيرية في البلد المعتمدين فيه، وكتابة المقالات ومتابعة والرد على ما تنشره وسائل الإتصال والإعلام الجماهيرية، وإلقاء المحاضرات، وعقد المؤتمرات الصحفية، والمشاركة في البرامج التلفزيونية والإذاعية، وإصدار المطبوعات، وإقامة المعارض الإعلامية والإقتصادية، والأسابيع الثقافية والفنية والسياحية، وتشجيع السياحة، وتبادل الوفود الإطلاعية ... إلخ. ويخطرون دولهم بأوجه نشاطاتهم الإعلامية، وتطور الإعلام المضاد ويقترحون طرق مواجهته، والأوضاع السياسية والإقتصادية والإجتماعية، ومواقف الرأي العام الرسمي والشعبي في الدولة المعتمدون فيها من القضايا التي تهم دولهم.

ولكن من الملاحظ أن الدول المستقلة حديثاً، والدول الأقل تطوراً، والدول النامية والفقيرة تعاني من انخفاض في مستوى كفاءة مستشاريها وملحقيها الإعلاميين، واختيارهم في أكثر الأحيان انطلاقاً من اعتبارات أخرى خاصة بتلك الدول، خارجة عن إطار الكفاءة المطلوبة للوظيفة التي اختيروا من أجلها. ولهذا نعتقد بأن تلك الدول بحاجة دائماً لتطوير أجهزتها وكوادرها الإعلامية لتتماشى مع احتياجات العمل المطلوب في عصر تكنولوجيا الإتصال والإعلام المتطورة. وفي هذا المجال يمكن أن تسهم المنظمات الدولية والدول المتقدمة في العالم، بتقديم المساعدة لتلك الدول للولوج في عملية الحوار الثقافي العالمي.

ومن الخبرة العالمية لوظيفة المستشار أو الملحق الصحفي في البعثات الدبلوماسية المعتمدة في الخارج للولايات المتحدة الأمريكية، نرى أنهم يتبعون لوحدة خدمات الإعلام الأمريكية U.S. Information Service (USIS)، وهي الجهة المسؤولة عن العمل الإعلامي الأمريكي في الخارج، وتتبع وكالة الإستعلامات الأمريكية U.S. Information Agency (U.S.I.A.)، وإن كانوا خاضعين لإشراف رؤساء البعثات الدبلوماسية للولايات المتحدة الأمريكية المعتمدة في الخارج. ويشرفون على مراكز الإعلام Information Centers التي تتوفر فيها المواد الإعلامية عن الولايات المتحدة الأمريكية اللازمة للإطلاع عليها في الدول الأجنبية.

وقد تطور الإعلام الدولي في الولايات المتحدة الأمريكية بعد موافقة الرئيس السابق جيمي كارتر، على إنشاء وكالة جديدة للإعلام الدولي International Communication Agency لتحل مكان وحدة خدمات الإعلام الأمريكية، ومارست الوكالة الجديدة مهامها الإعلامية رسمياً في 1978/4/1، ومهمتها العمل على زيادة التفاهم بين شعوب الولايات المتحدة الأمريكية والدول الأخرى في العالم، وتوضيح معالم المجتمع الأمريكي، وسياسات الولايات المتحدة الأمريكية على المستوى الدولي، وخاصة ما يتعلق منها بالجانب الثقافي والحريات الفردية، وتوضيح صورة العالم للولايات المتحدة الأمريكية بغية إثراء الثقافة الأمريكية، وتمكين الولايات المتحدة الأمريكية من تفهم القضايا العالمية والتفاعل معها بشكل فعال.

بينما يتبع ضباط الإعلام في البعثات الدبلوماسية البريطانية المعتمدة في الخارج وزارة الشؤون الخارجية والكومنولث The Foreign and Commonwealth Omce. ويركزون في عملهم على إقامة علاقات شخصية مع كبار المحررين والصحفيين وغيرهم من رجال الإعلام. وفي هذا الصدد قال السير هارولد بيليالسفير السابق في الخارجية البريطانية "أنه لحد معين، فإن هذا

يبين العودة للمفهوم التقليدي للملحق الصحفي، الذي يعمل بشكل وثيق مع القسم السياسي لسفارته... ويهتم بتوثيق العلاقات مع الصحف" .

بينما حددت لجنة بلودين البريطانية عام 1964 مواصفات الملحق الصحفي، من حيث المستوى السياسي، بالمواصفات الفنية من الدرجة الأولى، وأن الملحق الصحفي يحتاج بالدرجة الأولى لتعاون وثيق مع زملائه في البعثة الدبلوماسية في الشؤون السياسية والتجارية، وتقدير ما يحاولون القيام به، كعضو في السفارة، وأن حصوله على موافقة رؤسائه وزملائه في السفارة سيزيد من وزنه وتأثيره في العمل.

ومع ذلك فهو يحتاج إلى قدر كبير من المواد الإعلامية التي تساعده على أداء وظيفته الإعلامية، والتي يمده بها المكتب المركزي للإعلام في لندن The Central of Information in London وهو مؤسسة مهنية تتولى تزويد الإدارات الحكومية داخل وخارج بريطانيا بالمواد الإعلامية.

وعملت جمهورية أوزبكستان منذ استقلالها عام 1991 وحتى اليوم، على تدعيم بعثاتها الدبلوماسية المعتمدة في الخارج بالملحقين الإعلاميين، بعد أن أحدثت وكالة أنباء "جهان" التابعة لوزارة الخارجية، والتي يتبع لها الملحقون الإعلاميون في الخارج، ويتلقون تعليماتهم منها، ويرسلون تقاريرهم الإعلامية لها، عن أوجه نشاطاتهم الإعلامية، وتطور الرأي العام في الدول المعتمدين لديها، وفي القضايا التي تهم أوزبكستان، والتي كثيراً ما تنشر بعضها، وسائل الإتصال والإعلام الجماهيرية الأوزبكستانية. ويخضع أولئك الملحقون الإعلاميون في الوقت نفسه لإشراف رؤساء البعثات الدبلوماسية الأوزبكستانية في الدول المعتمدين لديها.

الوظيفة الدولية للتبادل الإعلامي الدولي

تعتبر الوظيفة الدولية للتبادل الإعلامي الدولي، من أشكال وظائف العلاقات الدولية. وبدأ الإعلام بالظهور كوظيفة للعلاقات الدولية إثر قيام عصبة الأمم. وتأصل هذا المفهوم بعد إنشاء منظمة الأمم المتحدة، والمنظمات الدولية الأخرى في التاريخ المعاصر. حيث يقوم الموظفون الدوليون العاملون في الجوانب الإعلامية، بخدمة أهداف المنظمة التي يعملون في إطارها، ولا يتلقون أية تعليمات من مصادر أخرى، متمتعين بالموضوعية والحياد، من خلال الإدلاء بالتصريحات الصحفية، وإصدار البيانات، ونشر الوثائق، وإلقاء المحاضرات،

والعمل في المكاتب الإعلامية التابعة للمنظمة الدولية المعنية في مختلف دول العالم.

وتعتبر المراكز الإعلامية لمنظمة الأمم المتحدة في مختلف دول العالم، أداة لنشر ولإبراز نشاطات المنظمة. وقد أصدرت الجمعية العامة لمنظمة الأمم المتحدة قراراً في 1946/2/1 تضمن قيام الأمين العام للأمم المتحدة، بوضع تنظيم إداري يمكنه من أداء المهام الموكولة إليه، وكانت إدارة الإعلام واحدة من بين ثماني إدارات شملها ذلك التنظيم. وأشار القرار المذكور إلى إنشاء مكاتب فرعية للإعلام. وبالفعل تم إنشاء مركز للإعلام تابع لمنظمة الأمم المتحدة في واشنطن عام 1946، وفي موسكو عام 1947، وتزايد عدد تلك المكاتب تباعاً في مختلف العواصم العالمية.

كما أصدرت الجمعية العامة لمنظمة الأمم المتحدة قرارها رقم 595 (6) بتاريخ 1952/2/4، طالبت فيه إدارة الإعلام بالمنظمة بوضع برنامج لعمل المنظمة في المجال الإعلامي، مع الأخذ بعين الإعتبار النواحي الإقليمية واللغوية. وكلفت الإدارة بإنشاء شبكة من المراكز الإعلامية في مختلف دول العالم، للوصول إلى شعوب الأمم المتحدة، لتقوم:

- بنشر رسالة منظمة الأمم المتحدة؛
- وتغطية نشاطاتها ومنجزاتها إعلامياً؛
- وتسليط الأضواء على دور منظمة الأمم المتحدة في حل القضايا الدولية. من خلال:
  - المواد الإعلامية التي يمكن توزيعها؛
  - وتوفير المراجع الخاصة بمنظمة الأمم المتحدة في مكتباتها؛
  - والتنسيق مع وسائل الإعلام الجماهيرية في العواصم الموجودة فيها.

ووافقت الجمعية العامة لمنظمة الأمم المتحدة عام 1962، على برنامج منظمة اليونسكو الخاص بتقديم المساعدة لوسائل الإتصال والإعلام الجماهيرية في الدول النامية، تأكيداً لدورها في مجال التبادل الإعلامي الدولي. بعد أن كان دورها محصوراً بتقديم المساعدة لوسائل الإتصال والإعلام الجماهيرية في الدول التي دمرتها الحرب العالمية الثانية، وتدعيم التدفق الحر للمعلومات والأفكار، والتعليم، بعد مؤتمر لندن الذي انعقد خلال الفترة من 1 إلى 1945/11/16، وحضره مندوبون عن 45 دولة، وأسفر عن قيام "منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة UNESCO" المتخصصة بمسائل التعاون الدولي بين الحكومات، في ميادين الثقافة والفكر.

وقامت منظمة اليونيسكو في أواخر الأربعينات من القرن العشرين، باستطلاع الإحتياجات التكنولوجية والتعليمية لوسائل الإتصال والإعلام الجماهيرية، بعد أن أوفدت لهذا الغرض 29 باحثاً ميدانياً، تجولوا في 126 دولة من دول العالم، وتبادل المسؤولون في منظمة اليونيسكو الرسائل مع شخصيات في 31 دولة. ظهرت بالنتيجة الحاجة للإهتمام بتدريس مادة الصحافة، وتوفير الوسائل السمعية والبصرية اللازمة لها، وضرورة قيام الحكومات بحل مشاكل الإتصال، وتقديم المساعدة لعدد من الدول لتطوير وسائل الإتصال والإعلام الجماهيرية فيها، والإهتمام بربط حرية الإعلام بالتشريعات الإعلامية في دول العالم.

كما وقامت منظمة اليونيسكو بتشكيل لجنة مكونة من ستة عشر خبيراً دولياً بارزاً، ينتمون إلى أقاليم جغرافية وثقافية مختلفة، لدراسة مشكلات الإعلام. ورأس اللجنة العالم الايرلندي ماكبرايد، الحائز على جائزة نوبل للسلام. ونشرت منظمة اليونيسكو تقرير هذه اللجنة بخمس عشرة لغة، تحت عنوان: "أصوات متعددة، وعالم واحد". وقد بحث التقرير بشكل مستفيض العلاقة بين عملية الإتصال والمجتمع، ببعديها التاريخي والمعاصر. وكذلك في إطارها الدولي. كما وبحث التقرير وضع عملية الإتصال في عالم أواسط القرن العشرين، من حيث سماتها والإشكاليات التي تطرحها، وهموم مهنة الإعلام وإطارها المؤسسي والحرفي ... إلخ.

وناقش التقرير ضمن العديد من القضايا، قضية احتكار بعض وكالات الأنباء العالمية للرسائل الإعلامية، وما تمارسه من سيطرة إعلامية تحمل في طياتها، خطر غزو ثقافي من نوع جديد، وتشويه مضمون الرسائل الإعلامية ذاتها، وسريانها في إتجاه واحد، قد لا يعبر عن الحقائق الموضوعية بالضرورة. كما حدد التقرير الأسس والقواعد التي يتعين أن يقوم عليها نظام إعلامي جديد أكثر عدلاً وقدرة على خدمة السلام والتنمية البشرية والتقدم في العالم، ومن أهمها:

استئصال أوجه الخلل وعدم التوازن أو التكافؤ التي يتميز بها الوضع القائم في ذلك الوقت؛

والقضاء على الآثار السلبية للإحتكارات العامة والخاصة والتركيز الزائد في وسائل الإتصال والإعلام الجماهيري؛

وضمان تعدد مصادر الإعلام، وحرمة الإعلاميين ... إلخ؛

وإحترام الذاتية الثقافية، وحق كل أمة في إعلام الرأي العام العالمي بوجهة نظرها، وبمصالحها وطموحاتها وقيمها الإجتماعية والثقافية؛

وإحترام حق كل الشعوب في المشاركة في عملية التبادل الإعلامي الدولي، على أساس من التوازن والتكافؤ والمصالح المتبادلة؛

وحق الجمهور والفئات الإجتماعية والإثنية، في الوصول إلى مصادر المعلومات، والمساهمة النشيطة في عملية الإتصال.

وقد أثار هذا التقرير عند مناقشته في كل من المجلس التنفيذي، والمؤتمر العام لمنظمة اليونيسكو جدلاً صاخباً، وخصوصاً عندما حاولت الدول النامية أن تترجمه إلى برامج وسياسات تضطلع بها منظمة اليونيسكو، أو إلى قواعد واجبة الإحترام من جانب الإحتكارات العالمية. ورأت فيه بعض الدول، وخاصة الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا ومعظم وكالات الأنباء العالمية، محاولة لتقويض حرية الإعلام والإعلاميين. لكن أياً كان الأمر فإن ما يهمنا هنا هو التأكيد على أن الخصوصيات والذاتيات الثقافية والحضارية، أصبحت في صلب المسألة الإعلامية أيضاً، التي يتوجب التوقف عندها طويلاً.

وقامت منظمة اليونيسكو أيضاً بإصدار العديد من المطبوعات عن حرية الإتصال والإعلام، والتبادل الإعلامي الدولي، ووسائل الإتصال والإعلام الجماهيرية في العالم. فأصدرت عام 1952 سلسلة "تقارير وأراق الإعلام الجماهيري"، وحتى عام 1970 أصدرت المنظمة 600 دراسة عن وسائل الإتصال والإعلام الجماهيرية في المناطق الريفية والنامية، وعن دور وسائل الإتصال والإعلام الجماهيرية في التعليم، وإعداد الكوادر الصحفية، ومعلومات إحصائية عن وسائل الإتصال والإعلام الجماهيرية، ووسائل الإتصال، والإتصال عبر الأقمار الصناعية.

وفي عام 1955 شكل الأمين العام للأمم المتحدة، لجنة من الخبراء لدراسة أنشطة منظمة الأمم المتحدة خارج مقرها، بما فيها النشاطات الإعلامية. ودعت تلك اللجنة منظمة الأمم المتحدة لتوجيه إهتمام أكبر لمراكز الإعلام التابعة لمنظمة الأمم المتحدة في الخارج.

ومن منتصف ستينات القرن العشرين، بدأت منظمة اليونيسكو بصب إهتمامها نحو استخدام وسائل الإتصال والإعلام الجماهيرية في المجالات التعليمية، وأقرت عام 1964 لهذا الغرض برنامجاً مدته ست سنوات في السنيغال، وجه نحو استخدام الوسائل السمعية والبصرية وغيرها من الوسائل في مجال تعليم الكبار. وشجعت على استخدام الأفلام والوسائل الإلكترونية الحديثة في التعليم.

ولم تزل منظمة اليونيسكو تتابع جهودها لزيادة فعالية مساعداتها لمختلف دول العالم المحتاجة للمساعدة في مجال الإعلام، وتشارك في المؤتمرات

واللقاءآت الدولية الخاصة بوسائل الإتصال والإعلام الجماهيرية، والإتصال عبر الأقمار الصناعية، وتدعوا دائماً لإستخدام الأقمار الصناعية لأغراض التعليم ونشر المعلومات العلمية والثقافية. وبعد إنهيار المنظومة الإشتراكية والإتحاد السوفييتي السابق، برزت مشكلات جديدة أمام منظمة اليونيسكو، في مجال تقديم المساعدة للدول المستقلة حديثاً، لتحديث أطرها الإعلامية، وللولوج في عالم الأسرة الإعلامية الدولية، بشكل يضمن التدفق الحر للمعلومات، ويدعم حرية الإعلام في تلك الدول.

وتظل اليونيسكو، المنظمة الحكومية الرئيسية في العالم، التي يمكن أن تسهم بدور فعال في تهيئة أفضل الشروط لمتابعة الحوار الثقافي بين الحضارات في القرن الحادي والعشرين، على ضوء ما تفرضه ثورة الإتصال والمعلومات، التي لابد وأن تؤدي في النهاية إلى مزيد من العولمة، التي قد تؤدي إلى نجاح دول الشمال المتطورة التي تحتكر اليوم أحدث وسائل الإتصال والإعلام الجماهيرية في العالم، في فرض نوع من الهيمنة السياسية والثقافية والإقتصادية، ترجح كفة سيطرتها ونموذها الثقافي والحضاري، وتجعل من الثقافات القومية، ثقافات مغلوب على أمرها، لا طائل لها، ولا صوت لها للدفاع عن نفسها، وعن بقائها واستمرارها في الحياة على الأرض.

العلاقات في المجتمعات البدائية كانت تتسم بالمباشرة والبساطة، وأخذت تلك العلاقات بالتعقد مع التقدم الحضاري والإجتماعي. وأدت التغييرات التقنية والعلمية والإقتصادية والسياسية والإجتماعية في العالم، وخاصة مع نهاية ثمانينات القرن العشرين، إلى تداخل المصالح الدولية، بسبب سهولة الإتصال التي اتاحتها وسائل الإتصال الحديثة. مما زاد من أهمية دور وفاعلية العلاقات العامة في العلاقات الدولية.

وتعتبر العلاقات العامة حلقة وصل بين مؤسسات المجتمع الواحد، وبين المجتمعات الأخرى. عن طريق تقديم خدمات معينة لها مبنية على الثقة المتبادلة، وإنطلاقاً من أهمية الفرد والشرائح الإجتماعية المختلفة، وقوة وتأثير الرأي العام في المجتمعات على مختلف المؤسسات الإقتصادية والسياسية والإجتماعية. وللعلاقات العامة تعريفين أساسيين، هما:

التعريف المهني المتخصص: ويقصد به إقامة علاقات حسنة في المؤسسات داخلياً وبين المؤسسات خارجياً، مبنية على التفاهم والثقة المتبادلة. من خلال إبراز والإهتمام بالوظائف الأساسية التي تضطلع بها إدارة العلاقات العامة، في مؤسسة أو منظمة حكومية كانت أم خاصة، لتكون وظيفتها بذلك إدارية بحتة؛ وتبلور هذا التعريف مع ظهور جماعة من المتخصصين في العلاقات العامة مع

بداية القرن العشرين، أمثالإيفي لي، وإدوارد بيرنيز، وجون هيل. وتبع ذلك قيام جمعيات واتحادات علمية ومهنية ضمت المتخصصين في العلاقات العامة في القارتين الأوروبية والأمريكية، خلال أربعينات وخمسينات القرن العشرين.
وساهمت تلك الجمعيات والمنظمات بدورها في زيادة تعريف العلاقات العامة، وساعدت على تحديد مهامها ووظائفها. وفي عام 1947 نشرت مجلة أخبار العلاقات العامة Public Relation News خلاصة لتعريف العلاقات العامة، أخذته من نتائج الإستقصاء الذي أجرته بين مشتركيها، والعاملين في مجال العلاقات العامة. جاء فيها أن: "العلاقات العامة: هي وظيفة الإدارة التي تقوم بتقويم اتجاهات الجمهور وربط سياسات وأعمال فرد أو منشأة مع الصالح العام، وتنفيذ برنامج لكسب تأييد الجمهور وتفهمه". بينما اعتبر إيفي لي أحد رواد العلاقات العامة في الولايات المتحدة الأمريكية، أن مهمتها مزدوجة، وتبدأ من دراسة إتجاهات الرأي العام، ونصح المؤسسات بتغيير خططها، وتعديل سياساتها لخدمة المصالح العامة، ثم إعلام الجمهور بما تقوم به المؤسسات من أعمال تهمهم وتخدم مصالحهم.

أما إدوارد بيرنيز خبير العلاقات العامة الأمريكي، فاعتبر العلاقات العامة: محاولة لكسب تأييد الرأي العام لنشاط أو قضية أو حركة أو مؤسسة، عن طريق الإتصال والإعلام والإقناع والتكيف. أي إيجاد التكيف والتكامل والتوافق بين مواقف مؤسسة معينة وسلوكها، مع مواقف جماهيرها ورغباتهم، بحيث لا يطغى أحدهما على الآخر. أماجمعية العلاقات العامة الأمريكية فقد عرفتها بأنها: نشاط أي صناعة أو إتحاد أو هيئة أو مهنة أو حكومة أو أي منشأة أخرى، في بناء وتدعيم علاقات سليمة منتجة بينها وبين فئة من الجمهور: كالعملاء والموظفين والمساهمين والجمهور بشكل عام، والعمل على تكييف أهداف المؤسسة مع الظروف المحيطة بها، وشرح أهدافها للمجتمع. وعرف معهد العلاقات العامة البريطاني، العلاقات العامة بأنها: الجهود الإدارية المرسومة، والمستمرة التي تهدف إلى إقامة وتدعيم التفاهم المتبادل بين المنظمة وجمهورها. وجاء تعريف جمعية العلاقات العامة الفرنسية، بأن العلاقات العامة هي: طريقة للسلوك، وأسلوب للإتصال والإعلام ، يهدفان إلى إقامة علاقات مفعمة بالثقة، والمحافظة عليها. وتقوم هذه العلاقات على المعرفة والفهم المتبادلين، بين المنشأة ذات الشخصية الإعتبارية، وتمارس وظائف وأنشطة، وبين الجماهير الداخلية والخارجية التي تتأثر بتلك الأنشطة والخدمات. وعرفت جمعية العلاقات العامة الدولية، العلاقات العامة بأنها: وظيفة الإدارة المستمرة والمخططة، التي تسعى بها المؤسسات والمنظمات الخاصة والعامة، إلى كسب التفاهم والتعاطف مع

سياساتها وأنشطتها. وكسب المزيد من التعاون الخلاق، والأداء الفعال للمصالح المشتركة، باستخدام الإعلام الشامل والمخطط .

التعريف الإجتماعي الشامل: وهو الإتجاه الإجتماعي للعلاقات العامة، الذي ظهر خلال ثلاثينات القرن العشرين، إثر الأزمة الإقتصادية التي عانى منها الإقتصاد العالمي عام 1929، وعرفه د. محمد البادي، بأنه: الإتجاه الإجتماعي للعلاقات العامة، كمهنة ذات طابع خاص، ويشمل كل ما يصدر عن المؤسسة من أعمال وتصرفات وقرارات، وكل ما يتصل بها من مظاهر واستعدادات وتكوينات مادية. لأن ما يصدر عن المؤسسة أو يتصل بها له تأثيراته، المعنوية على الجماهير، التي ترتبط مصالحها بها. وهذه التأثيرات هي التي تعطي لهذه العناصر طبيعتها، كأنشطة للعلاقات العامة، وهي أيضاً التي تعطي لاتجاه العلاقات العامة صفتها الإجتماعية.

وهو نشاط يشترك فيه كل أفراد المؤسسة من خلال تكوين علاقات عامة مرنة في سلوكهم واتصالاتهم ومعاملاتهم مع الجماهير داخل المؤسسة وخارجها. وأن لا يكون الهدف من النشاط السعي لتحقيق الربح فقط، بل إلى تقديم خدمات للمجتمع، عن طريق إنتاج سلع وخدمات جيدة ومتطورة تناسب الأذواق، وأداء الوظيفة المسندة إليهم بشكل جيد، مراعين الظروف الإقتصادية والإجتماعية، التي تفرضها المسؤولية الإجتماعية، في مشاركة المجتمع المحلي همومه وأفراحه وأحزانه، والعمل على تقليل الأضرار الناجمة عن نشاطاتهم، والمحافظة على البيئة، والعمل على النهوض بالمجتمع ثقافياً وعلمياً وحضارياً ومادياً.
وعرف كانفيلد العلاقات العامة، بأنها: الفلسفة الإجتماعية للإدارة، التي ترغب من خلال أنشطتها وسياساتها المعلنة للجمهور كسب ثقته وتفهمه (د. محمد علي العويني: الإعلام الدولي بين النظرية والتطبيق.

أما نولت فقد عرف العلاقات العامة، بأنها: مسؤولية الإدارة التي تهدف إلى تكييف المنظمة مع بيئتها الإجتماعية والسياسية والإقتصادية تماماً. كما تهدف إلى تكييف البيئة المحيطة لخدمة المنظمة لتحقيق مصلحة الطرفين.

ومما سبق نستطيع إستنتاج أن دور خبير العلاقات العامة ينحصر في:

- إقناع الإدارة العليا للقيام بالنشاطات التي تجعل الجمهور راضياً عن المؤسسة؛
- إقناع الجمهور بأن المؤسسة تستحق بالفعل تأييده ودعمه المعنوي والمادي.
- أن دور العلاقات العامة ينحصر في: تبني مصلحة الجمهور والمصلحة العامة؛
- وضع السياسات الملائمة لها؛

- السعي لإيصال المعلومات عن نشاطات المؤسسة وسياساتها للجمهور؛
- وخلق رأي عام مؤيد للمؤسسة، لدى الجمهور؛
- إنشاء مواقف محددة ومطلوبة اتجاه المؤسسة؛
- تقييم مواقف الرأي العام من قبل المتخصصين في العلاقات العامة؛
- إيصال المعلومات عن تلك المواقف لإدارة المؤسسة.

بينما يشمل نشاط العلاقات العامة اليوم:

في المجال الحكومي: - التوعية والإرشاد والإعلام، في جميع المجالات الإقتصادية والسياسية والإجتماعية والثقافية والدبلوماسية، للوصول إلى مساندة الجماهير لها، ومشاركتهم المعنوية والمادية في البرامج التنموية الشاملة التي تخطط لهاالحكومة؛

وكسب الرأي العام للسياسات الحكومية الداخلية والخارجية؛ والتعرف على توجهات الرأي العام، وتقييم الخدمات العامة لوظائفها المحددة، ومدى تلبيتها لرغبات الجمهور؛ والعمل على دحض الشائعات، والتصدي للحملات الإعلامية المضادة، وإبراز الحقائق عن طريق مصارحة الجماهير؛والإهتمام بشؤون والمستخدمين الحكوميين.

في مجال المنظمات والهيئات الحكومية: التعريف بأهدافها وسياساتها، وتوثيق الصلة والتعاون بين المواطن والمنظمة أو الهيئة الحكومية للوصول إلى الهدف المطلوب؛ ودراسة مواقف الرأي العام، ونقل رغبات ومطالب الجماهير للمسؤولين فيها، تمهيداً لإيجاد الحلول لهل، وتلبيتها وفق الظروف المتاحة؛ والإهتمام بشؤون العاملين في تلك المنظمات والهيئات الحكومية؛ والإتصال بالهيئات والمنظمات الحكومية المشابهة، لتحقيق أفضل صورة من التعاون بينها في الداخل والخارج؛ وإصدار المواد الإعلامية المطبوعة والمرئية والمسموعة، عن نشاطات المنظمة أوالهيئة الحكومية، وتبادلها وتوزيعها في الداخل والخارج؛ وتوثيق كل ما ينشر في وسائل الإتصال والإعلام الجماهيرية وغيرها من الوسائل في الداخل والخارج؛وتنظيم الزيارات الرسمية والخاصة. كما وهناك مجالات أخرى كالمؤسسات الإقتصادية والإنتاجية والخيرية، والمنظمات المهنية والسياسية وغيرها، ولا تختلف من حيث نشاطات العلاقات العامة عما تم تفصيله أعلاه.

ومن الملاحظ اليوم أن العلاقات العامة "الدبلوماسية الشعبية" في القارة الأوروبية، تستخدم كوسيلة من وسائل تدعيم الوحدة الأوروبية، وزيادة التلاحم والتفاهم بين مختلف شعوب القارة الأوروبية. لأنه من المعروف أنه كلما زاد التقدم الثقافي والعلمي والتقني في أي دولة من دول العالم، زاد دور الدبلوماسية

الشعبية فيها، وتوجهت تلك الدولة نحو تأسيس جمعيات وهيئات تعنى بالعلاقات العامة، وإلى تدعيم المؤسسات الحكومية بأقسام خاصة تعنى بهذا المجال الهام، يطلق عليها تسمية "أقسام العلاقات العامة". وقد تطورت العلاقات العامة في الولايات المتحدة الأمريكية، حتى أصبحت تضاهي مثيلاتها في دول العالم الأخرى، وشهدت الدول الأوروبية كفرنسا وبريطانيا وبلجيكا وغيرها من دول العالم، تطوراً خاصاً لمفهوم العلاقات العامة. ليصبح ممارسة العلاقات ذو مفهوم دولي ويمارس فعلاً في العلاقات الدولية.

ففي الولايات المتحدة الأمريكية مثلاً: تتحمل وكالة الإستعلامات الأمريكية، التي تم إنشاؤها عام 1953، مسؤولية العلاقات العامة الدولية، وغيرها من المسؤوليات، من أجل تحقيق أهداف السياسة الأمريكية، عن طريق شرح وتفسير ونشر تلك السياسة، ومواجهة الدعاية المضادة الموجهة ضد سياسة الولايات المتحدة الأمريكية في العالم. ويقدم مدير الوكالة تقاريره عن سير العمل في الوكالة للرئيس الأمريكي مباشرة، من خلال مجلس الأمن القومي.

وفي بريطانيا تم في عام 1948 تأسيس المعهد البريطاني للعلاقات العامة، بهدف تجميع جهود ممارسي وظيفة العلاقات العامة في بريطانيا. ويصب إهتمامه على العلاقات العامة في أجهزة الدولة المركزية والمحلية، وفي القوات المسلحة البريطانية، والمؤسسات الإقتصادية والإستشارية.

كما ويمارس ضباط الإعلام في البعثات الدبلوماسية البريطانية المعتمدة في دول العالم، وظيفة العلاقات العامة الدولية من خلال وظيفتهم الإعلامية الأساسية. وفي فرنسا تطورت العلاقات العامة كوظيفة هامة من وظائف المشروعات الإقتصادية والتجارية والصناعية، بعد إنشاء الجمعية الفرنسة للعلاقات العامة عام 1955، بهدف تطوير العلاقات العامة الفرنسية. بينما تزايد الإهتمام بالعلاقات العامة، في إيطاليا إثر إنشاء جمعية تطوير العلاقات العامة الإيطالية في روما عام 1954، ورافق ذلك تزايد إهتمام الشركات الإيطالية بوظيفة العلاقات العامة. وفي بلجيكا ظهر الإهتمام بالعلاقات العامة مع تأسيس جمعية العلاقات العامة عام 1953، لتطوير دور العلاقات العامة في بلجيكا.

أما في أوزبكستان، فقد بدأ الإهتمام الجدي بالعلاقات العامة الدولية بعد الإستقلال عام 1991، حيث تم في 1995/11/8 تأسيس وكالة أنباء "جهان" التابعة لوزارة الخارجية: لتوزيع الأخبار الإيجابية عن سير الإصلاحات الإجتماعية والإقتصادية والسياسية في أوزبكستان؛ ووتطوير الصلات مع وكالات الأنباء والمراكز الإعلامية الدولية؛ وتسريع عملية دخول الجمهورية للساحة الإعلامية الدولية؛وجمع وتوزيع الأخبار داخل الجمهورية عن: الأوضاع

السياسية والحقوقية وغيرها في الدول الأجنبية؛واحتياجات السوق العالمية؛ونشاطات المنظمات الدولية؛وكبريات المؤسسات والشركات الأجنبية المهتمة بالتعاون مع جمهورية أوزبكستان. وفي 11/21 1996 تم إحداث المركز الإعلامي التابع لجهاز رئيس الجمهورية، لتعريف الرأي العام بالإصلاحات الديمقراطية الجارية في الجمهورية، والتجاوب مع التفاعلات الإجتماعية والسياسية المحلية والدولية، عبر شبكة الإنترنيت (وسائل الإعلام الجماهيرية في جمهورية أوزبكستان. وكالة أنباء "جهان"، طشقند 1997. ص 81-86). والمجلس الأوزبكي لجمعيات الصداقة والعلاقات الثقافية والتربوية مع الدول الأجنبية الذي تأسس في عام 1997 كهيئة تطوعية غير حكومية لتنسيق العلاقات مع الهيئات الأجنبية غير الحكومية من ضمن الدبلوماسية الشعبية.

ومع إنتشار مفهوم العلاقات العامة في العالم، سارعت مؤسسات التعليم العالي في مختلف دول العالم لافتتاح أقسام العلاقات العامة في معاهدها وكلياتها المتخصصة، وتدريس هذه المادة للدارسين فيها.

وتعد العلاقات العامة الدولية اليوم وظيفة من وظائف المنظمات الدولية، ويمارسها في منظمة الأمم المتحدة، مكتب الإعلام في نيويورك من خلال العلاقات الخارجية والصحافة والمطبوعات والخدمات العامة، التي يعرض من خلالها المشاكل التي تواجه منظمة الأمم المتحدة، وخلق فهم أفضل لأهداف المنظمة.

كما تمارس مكاتب منظمة الأمم المتحدة في العالم، العلاقات العامة الدولية من خلال الإتصال بالمنظمات غير الحكومية في الدول المعتمدة فيها، في جميع المجالات الثقافية والفنية والعلمية والتعليم والصحة والعمل ... إلخ، وتوزع الأفلام والبرامج الإذاعية المسموعة والمرئية والمطبوعات، وتدلي بالتصريحات الصحفية في إطار مساعيها لحلق تفهم أفضل عن منظمة الأمم المتحدة.

ومما زاد من دور العلاقات العامة الدولية، دخول شبكات الكمبيوتر العالمية، عالم الإتصال والإعلام المعاصر، واهتمام الشركات متعددة الجنسية بالعلاقات العامة الدولية عبر شبكات الإتصال الدولية، واعتمادها عليها في العلاقات التجارية والمصرفية والنقل والتأمين، وتبادل المعلومات على الصعيد الدولي. وقد ساعدت العلاقات العامة وسائل الإتصال والإعلام الجماهيرية في الحصول على المعلومات والمواد الإعلامية، وزادت من إمكانية إنتشارها على الصعيد العالمي. ولعل منافذ وكالات الأنباء والصحف والمجلات والإذاعات المسموعة والمرئية، والمراكز الإعلامية الدولية عبر شبكة الإنترنيت، خير مثال على تحول العالم في المجال الإعلامي بالفعل إلى قرية كونية. ولم تستثنى

العلاقات العامة الدولية، كوظيفة من وظائف السلك الدبلوماسي، حيث أصبحت من المهام الأساسية للبعثات الدبلوماسية المعتمدة في الخارج، بما تسمح به إمكانيات كل دولة من دول العالم.

يعتمد الإعلان الدولي على أسس يسعى من خلالها إلى خلق المناخ الملائم لترويج السلع والبضائع والخدمات والأفكار. ومهمته الأولى الوصول إلى الأسواق الخارجية والجمهور الإعلامي الأجنبي. ولكن يجب التنبيه إلى أن أساليب الإعلان المحلي تختلف تماماً عن أساليب الإعلان الدولي، بسبب تباين خصائص مستقبل الرسالة الإعلانية في الخارج عنها في الداخل.

والإعلان الدولي يجب أن يراعي بدقة الخصائص المحلية لكل منطقة جغرافية وثقافية يتوجه إليها في العالم. بحيث لا يتعرض بالسوء لمشاعر ومقدسات أي شعب من شعوب العالم، سواء في النصوص أم في الصور الإعلانية. كما ويجب مراعاة المعاني التي ترمز إليها الألوان عند شعوب العالم المختلفة، فاللون الأبيض هو لون الحداد، واللون الأزرق هو رمز لقلة السعادة لدى الصينيين. واللون الأسود هو لون الحداد لدى شعوب الشرق الأوسط، واللون الأحمر هو رمزالسعادة لدى شعوب القارة الإفريقية والشرقين الأدنى والأوسط.

كما ويجب تجنب استخدام الرموز الدينية المقدسة لمختلف الأديان في الإعلان الدولي، كالهلال لدى المسلمين، والصليب المقدس لدى المسيحيين، ونجمة داوود السداسية لدى اليهود، والبقرة المقدسة لدى الهندوس، وغيرها من الرموز الدينية المقدسة لدى شعوب العالم، كي لا ينقلب الإعلان الدولي رأساً على عقب، ويأتي بنتائج عكسية غير الأهداف التي صدر من أجلها.

ويجب التنويه أيضاً إلى ضرورة الإنتباه إلى الخصائص اللغوية عند ترجمة النصوص الإعلانية الدولية، من لغة إلى أخرى. وقدر الإمكان محاولة أن يتضمن النص المترجم، نفس المعاني التي يحملها النص الأصلي، حتى ولو تطلب الأمر إجراء بعض التعديلات على كلمات النص الأصلي، من أجل مراعات الخصائص الثقافية واللغوية لكل شعب من شعوب العالم. كما هي الحال مثلاً للناطقين بالإنجليزية التي تختلف عنها في أمريكا وأستراليا، والعامية السائدة في كل منطقة من مناطق انتشار اللغة الإنجليزية.

والإعلان الدولي ظهر في البداية على صفحات الصحف والمجلات المنتشرة دولياً، خدمة للمنتجين والتجار وأصحاب المهن الذين أرادوا من خلال إعلاناتهم في الصحف والمجلات إختصار الطريق إلى المستهلكين والأسواق التجارية في العالم. وتطور استخدام الإعلان الدولي فيما بعد ليشمل الإعلان على شاشات السينما، ومن خلال البرامج الإعلانية الإذاعية المسموعة والمرئية.

وبالتدريج أصبحت المعارض والأسواق التجارية من أهم منابر الإعلان الدولي لأنها أفسحت المجال واسعاً ليس أمام الإعلان فقط، بل ووفرت الفرصة ليلتقي من خلالها المنتج والمستهلك وجهاً لوجه حول نماذج من السلع المنتجة أو الخدمات المعروضة أمام المستهلك. وهو الدور الذي تلعبه اليوم أيضاً شبكات الحاسب الآلي الدولية التي ألغت المسافة والزمن الذان يفصلان بين المعلن والمستهلك.

وشهدت العقود الأخيرة من القرن العشرين، تطوراً ملحوظاً في مجال الإعلان الدولي وأساليبه، عندما أصبح يستخدم قنوات الإتصال الحديثة، وشبكات الحاسب الآلي العالمية، التي وفرت الفرصة الذهبية للمعلن والمستهلك لإجراء حوار بينهما عن بعد، وعقد الصفقات التجارية، وإبرام العقود ومتابعة تنفيذها خلال دقائق فقط، بعد أن كانت في السابق تتطلب فترة زمنية طويلة ومشقة وعناء. وهذا بدوره ساعد على تطوير أساليب وطرق الإعلان الدولي وزاد من فاعليته.

ولم يقف التطور الهائل لوسائل الإتصال والإعلام الجماهيرية عند هذا الحد، بل ساعد على إنتشار الثقافات المختلفة، وتقريبها من بعضها البعض، من خلال الحوار الثقافي العالمي المفتوح عبر وسائل الإتصال والإعلام الدولية الحديثة. مما ساعد على خلق قيم إنسانية مشتركة بين مختلف الشعوب، رافقتها عادات إستهلاكية مشتركة، سهلت للإعلان الطريق للوصول إلى أهدافه المرجوة. وأدخلت أفكاراً قريبة يمكن ترجمتها بسهولة ويسر من لغة إلى لغة أخرى دون صعوبة تذكر.

ومع ذلك فلم تزل الحاجة ماسة وملحة لمتابعة دراسة تأثير الإعلان الدولي، والتخطيط له من قبل الحكومات والمنظمات الدولية، بهدف حماية الثقافات الوطنية في الدول الأقل تطوراً والدول النامية والدول الفقيرة من إحتواء ثقافات الدول المتطورة والغنية لها، وبالتالي إندثارها إلى اللاعودة. كذلك بهدف حماية الأجيال الصاعدة من الإنحراف عن الخط القويم للمجتمع الذين ينتمون إليه، وحماية المستهلكين بصورة عامة من الإعلانات المنحرفة والمضللة، وتوخي الدقة عند اختيار وكالات الإعلان الدولية، وتسجيلها في المنظمات الحكومية الدولية، والزامها بمراعات الخصائص الثقافية المحلية للمناطق التي يتوجه إليها الإعلان الدولي.

ولابد من أن تتحمل الحكومات، والمنظمات الدولية، ووكالات الإعلان الدولي، المسؤولية الإنسانية بصورة مشتركة، أمام البشرية جمعاء، لأن المعلن لا يهمه سوى: - تصريف بضاعته أو خدماته؛ - والتأثير على منافسيه في السوق الإستهلاكية الدولية. ولهذا نعتقد أن للدراسة الدقيقة لمشاكل الإعلان الدولي فائدة

للجميع، دون أن تقتصر الفائدة على المعلن ووكالة الإعلان فقط. خاصة في العصر الراهن، عصر العولمة، بعد أن أصبح للمستهلك دوراً يلعبه ويضغط من خلاله عبر وسائل الإتصال والإعلام الحديثة على المنتج، والمعلن، ووكالة الإعلان، وحتى على وسيلة الإتصال الناقلة لمضمون الإعلان الدولي. ويدخل ضمن هذا الإطار التخطيط السليم للإعلان وللإعلام والحملات الإعلامية الدولية.

التخطيط والحملات الإعلامية الدولية

أحدث التقدم العلمي والتكنولوجي الهائل في مجال وسائل الإتصال والإعلام الجماهيرية، تغييرات جوهرية في العلاقات الدولية. أثرت بدورها على دور الدولة التي كانت تحتكر في السابق السياسة الدولية. وأضعفت من دورها، عندما تخلت الدولة عن بعض وظائفها لمؤسسات أخرى في المجتمع. ولم يعد هناك مجال للتحدث عن السيادة الإعلامية للدولة، أو التحكم شبه الكامل أو شبه المطلق بعملية التدفق الإعلامي إلى داخل وخارج الدول خلال العقود الإخيرة من القرن العشرين. وأصبح أشبه بالمستحيل السيطرة التامة على نوع وكمية المعلومات التي تتدفق إلى عقول الناس، بعد ظهور شبكة شبكات المعلومات العالمية "الإنترنيت" وغيرها من قنوات وتقنيات الإتصال والإعلام الحديثة.

وقد ساهمت شبكات الإتصال والإعلام الجماهيرية الحديثة إلى حد كبير في تخطي حاجزي الزمان والمكان. بعد أن أصبح عدد هائل من الأشخاص مرتبطين فيما بينهم، من خلال أجهزة الكمبيوتر الشخصية المرتبطة بشبكة إتصال عالمية عبر الأقمار الصناعية. مما زاد من تفاعل المجتمع الدولي، وأصبحت عملية التبادل الإعلامي الدولية أكثر يسراً وسهولة، مما زاد من أهمية تخطيط العمل الإعلامي، والتنسيق بين جهود مختلف الجهات على الساحتين المحلية والدولية.

ويعتبر تخطيط العمل الإعلامي من أساسيات التبادل الإعلامي الدولي، ويتم من خلاله تحديد الأهداف العامة للخطة الإعلامية التي يجب أن تراعي السياستين الداخلية والخارجية للدولة، وحشد الإمكانيات المادية والتقنية والبشرية وتصنيفها، وتحديد الوسائل والفترة الزمنية اللازمة لتنفيذها، مع المراعات الدقيقة للتكاليف الإقتصادية، والجدوى الإقتصادية والسياسية للخطة الإعلامية.

ولتخطيط العمل الإعلامي إطارين أساسيين، هما: الإطار النظري للخطة الإعلامية، ويشمل: الأهداف المحددة، والغايات الواضحة، والعناصر؛ والأهداف المرنة، التي لا تحتوي على درجة كبيرة من التحديد ويمكن تطويرها وتكييفها مع الظروف أثناء التطبيق العملي.

وتشمل عملية التخطيط بشكل عام: مشاكل إختيار الوسائل لتحقيق أهداف الخطة الإعلامية من بين البدائل المتعددة؛ومشاكل التدابير والإجراءآت اللازمة

لتحقيق أهداف الخطة؛ومشاكل التطبيق والتنفيذ الفعلي، للوصول إلى أهداف الخطة المرسومة. كما هو موضح على الشكل التالي:الأهداف؛ الأهداف محددة؛ الأهداف المرنة؛الوسائل؛ مشكلات الخيارات والتدابير والتنفيذ.

وعند وضع أي خطة إعلامية لابد من تحديد إطارها العام من أرقام ومؤشرات، ليتم معالجتها مع المشاكل المحتملة عند التنفيذ الفعلي للخطة المرسومة. وبعد الإنتهاء من تحديد الإطار العام للخطة الإعلامية، تبدأ عملية تحديد الإطار التفصيلي للخطة الإعلامية، عن طريق دراسة تفاصيل الخطة، وتحويل الأهداف العامة، إلى أهداف تفصيلية، مع تحديد الوسائل إنطلاقاً من الإمكانيات المتاحة، والمدة الزمنية اللازمة للتنفيذ بدقة.

وكما هو متعارف عليه من الناحية الزمنية للخطة الإعلامية، فهناك خططاً: - سنوية؛ - وخططاً متوسطة الأمد، تتراوح عادة ما بين الأربع والسبع سنين، ولكنها في أكثر الحالات هي خطط خمسية، أي لمدة خمس سنوات؛ - وخطط طويلة الأمد، وهي الخطط التي تزيد عن السبع سنوات (د. محمد علي العويني: الإعلام الدولي بين النظرية والتطبيق.

وعادة ما تقسم الخطط متوسطة المدى، والخطط طويلة المدى إلى خطط سنوية متكاملة، للإستفادة من إمكانية التجربة، وإجراء الإصلاحات على الخطط للسنوات اللاحقة لزيادة فاعليتها. وفقاً لمعطيات تنفيذ خطط السنوات السابقة. والمتعارف عليه أيضاً في الخطط الإعلامية تقسيم الخطط السنوية إلى خطط ربع سنوية، يطلق عليها عادة في وسائل الإتصال والإعلام المسموعة والمرئية تسمية الدورة الإذاعية أو التلفزيونية، وهكذا. وهنا يجب على المخططون الإعلاميون أن يدركوا دائماً، أن تخطيط العمل الإعلامي الدولي، هو شكل من أشكال التخطيط السياسي، ويدخل في إطار العلاقات الدولية ولتحقيق أهداف السياستين الداخلية والخارجية للدولة، اللتان لا يجوز تخطيهما أبداً.

كما ويجب على المخططين الإعلاميين إدراك أن ضمان التنفيذ الناجح لأي خطة كانت مرتبط بمدى تحديد الأساليب الممكنة والملائمة لتحقيق الأهداف الموضوعة إنطلاقاً من الإمكانيات الفعلية والمتاحة. وأن الأهداف الواقعية والواضحة تسهل عملية التنفيذ وبالتالي الوصول للأهداف المرتقبة. ومن عوامل النجاح الأخرى، التقدير السليم للوسائل والإمكانيات والغايات، وبقدر ما تكون متناسقة، وتكون الغايات متوافقة مع الإمكانيات، بقدر ما يكون التنفيذ أكثر نجاحاً. ولا بد من دراسة صلاحية الأهداف، من وجهة نظر إحتمالات تحقيقها من خلال الإمكانيات المتاحة، وتقييم احتمالات تحقيق الهدف مع متغيرات الإمكانيات المتاحة، والذي يمكن من خلال دراسة: - الإحتياجات اللازمة؛ - ومقارنة

الإحتياجات والإمكانيات المتاحة؛ - وتحديد الهدف؛ - وتحديد الإمكانيات المتاحة؛ - وتقييم صلاحية الهدف.

وبعد الإنتهاء من دراسة صلاحية الأهداف، يتم الإنتقال إلى عملية إختيار الأساليب من خلال البدائل المتاحة، وبعد دراسة تلك البدائل من كافة الجوانب، يتم إختيار الأساليب الناجعة والملائمة من بين تلك البدائل، تمهيداً للإنتقال إلى المرحلة التالية، وهي وضع تفاصيل الخطة الإعلامية. والتي يجب أن تراعى فيها الخطوات التالية:تحديد أهداف الخطة؛ وتحديد مضمون الرسائل الإعلامية؛ وتحديد مجالات التنفيذ؛ وتحديد أساليب التنفيذ؛ وتحديد مستقبل الرسالة الإعلامية؛ وتحديد الإمكانيات المادية والبشرية؛وتحديد المدة الزمنية؛وتحديد المسؤول عن التنفيذ؛ وتحديد المسؤول عن متابعة التنفيذ؛ وضع نظام لمتابعة التنفيذ؛ وضع نظام لتقييم الفاعلية..

وعلى المخططين الإعلاميين أن يأخذوا في إعتبارهم: قوة وإمكانيات الإعلام المضاد، ومحاولة الإحتفاظ بزمام المبادرة قدر الإمكان؛ وأن يبنوا خططهم على قدر كبير من المعلومات عن المستهدفين في الخطة الإعلامية الدولية؛ والإستعانة بفريق عمل من المتخصصين في مجالات التخطيط، وخبراء في الإقتصاد والسياسة الخارجية، والعلاقات الدولية، والتبادل الإعلامي الدولي، ووسائل الإتصال والإعلام الجماهيرية الدولية، والنظم السياسية، وتكنولوجيا وسائل الإتصال الدولية، وغيرها من التخصصات حسبما تقتضي الظروف؛ توخي نتائج الخطط السابقة، والتجارب المحلية والإقليمية والعالمية في موضوع الخطة الإعلامية التي يعدونها؛ الأخذ بآراء الممارسين للعمل الإعلامي الدولي فعلاً، لأنه في ملاحظاتهم الكثير مما يمكن أن يفيد في نجاح تنفيذ الخطة الإعلامية، ووصولها لأهدافها المرسومة.

الإطار التطبيقي للخطة الإعلامية: ويأتي تلبية للمبادئ والأهداف التي تضمنتها خطة العمل الإعلامي الدولي، ومن أهم مبادئه التنسيق بين الأجهزة والوسائل المختلفة، للوصول إلى أفضل تنفيذ للخطة الإعلامية، وأعلى درجة من الفاعلية. من خلال المعادلة التالية: {من يخاطب من ؟} فالدبلوماسية الرسمية المعتمدة في الخارج، والدبلوماسية الشعبية (العلاقات العامة الدولية)، والزيارات الرسمية والشخصية والإطلاعية والسياحية، والمعارض والمهرجانات الثقافية والفنية والرياضية، واللقاءآت والمؤتمرات الدولية، ووسائل الإتصال والإعلام الجماهيرية وغيرها، تعتبر من كلها من وسائل تنفيذ الخطة الإعلامية. من خلال مخاطبتها للقطاعات المستهدفة في الخطة الإعلامية الدولية، والتي يمكن أن تكون: قيادات حاكمة؛ وقيادات وأعضاء في البرلمان، والمعارضة البرلمانية؛ وقيادات الأحزاب السياسية، سواء أكانت داخل السلطة أم في صفوف المعارضة؛

وقيادات المنظمات الجماهيرية والمهنية والإجتماعية؛وقيادات إعلامية؛ ورجال أعمال؛ وأقليات أو تجمعات دينية، أو عرقية، أو ثقافية، أو قومية؛ والجاليات المقيمة في الخارج؛ وهيئات ثقافية، ودينية؛ والمشاركين في المهرجانات الثقافية والفنية؛ والمشاركين في اللقاءآت الرياضية؛والمشاركين في المؤتمرات واللقاءآت السياسية والإقتصادية والعلمية الدولية؛ وزوار المعارض الإقتصادية والتجارية والصناعية والسياحية والإعلامية والفنية الدولية؛ والجماهير العريضة من خلال وسائل الإتصال والإعلام الجماهيرية.

ومن خلال متابعة مراحل تنفيذ الخطة الإعلامية الدولية، من المفيد جداً دراسة المتغيرات على الساحة التي ينشطون فيها. وتشمل: الوجود الإعلامي الصديق والمحايد والمضاد في تلك الساحة؛ ومجال التأثير الإعلامي على الفئات والقطاعات المستهدفة، من خلال المفاهيم المتكونة مسبقاً لديها؛وتزويد الجهات المسؤولة بالمعلومات عن تنفيذ مراحل الخطة الإعلامية الدولية.

ومتابعة تلك المعلومات تباعاً، من أجل: المساعدة على تحديد المجموعات والفئات والقطاعات التي يجب مخاطبتها أكثر من غيرها؛ - وتكييف القواعد التي يجب أن يلتزم بها كل المشاركين في تنفيذ الخطة الإعلامية الدولية؛وإعداد المواد الإعلامية الرئيسية من معلومات وأخبار وملفات إعلامية تفيد في إنجاح تنفيذ الخطة الإعلامية الدولية، وتساعد على الوصول لأقصى قدر ممكن من الفاعلية والتأثير.

الإعلام الدولي ...على خطى العولمة

اولاً :العولمة وأدواتها في الاختراق

(المعرفة قوة) هذه الصرخة التي أطلقها فرنسيس بيكون* (1561-1626) إذ بين هذا الفيلسوف الى ان المعرفة هي التي ستكون الفاصل الأساس في صراع الأمم والشعوب، وانطلاقا من (المعرفة قوة) كانت العولمة تجسد هذا المنحى في ابتلاع العالم في كف واحدة.

والعولمة مصطلح تم تداوله في الدراسات والبحوث الاجتماعية والسياسية والاقتصادية على انه الظاهرة التي ستقود العالم وتربطه بنطاق الأثير التكنولوجي وبذلك فأن العولمة تحتاج إلى وقفة وتأمل تأريخي.

وللعولمة (Globalization) أبعاد ومظاهر سياسية واقتصادية وفكرية وثقافية، وثمة من يقول ان العولمة كشعار ليست جديدة، لكن الظاهرة ترجع جذورها إلى أول يوم بدأ منه الغرب الاستعماري بغزو أسواق العالم بسلعه، وبضائعه، ونتاجا ته الفكرية بقصد الاستحواذ والهيمنة والاستعلاء الحضاري على الشعوب والأمم الأخرى.

والعولمة ليست ظاهرة جديدة من مستحدثات وآليات القرن العشرين، بل هي مصطلح جديد للتعبير عن واقع قديم كان ملازما لجميع الأمم والقوى العظمى التي استخدمت جيوشها للهيمنة على غيرها من الدول والممالك، فالإمبراطورية الرومانية مثلا بسطت نفوذها على العالم المعروف والمحسوس في زمانها، ونشرت أنظمة حكمها وأنماط حياتها السياسية والاجتماعية والثقافية، ممارسة بذلك ضربا من ضروب العولمة، وهناك من يرى إنها ممتدة عبر التاريخ ومن قرون خلت، معللا ذلك لارتباطها بالنزعة الإنسانية في التملك والسيطرة والمصلحة وحب الذات، وتم التعبير عنها بشكل اعتداءات فردية وجماعية وحروب وغزوات لم تسلم منها نقطة على وجه الارض ماضيا وحاضرا، ويبدو ان النشأة الفعلية والمحسوسة للعولمة قد تصنف مع وجود النمط الرأسمالي منذ نشأته الاوربية كموقع خصب لدعواتها. وكما يقول ناعوم تشومسكي (لا جديد في النظام الدولي فالقواعد الأساسية مازالت كما هي قواعد القانون للضعفاء أو سطوة القوة للاقوياء، والعقلانية الاقتصادية والإصلاح الاقتصادي للضعفاء وقوة الدولة وحق التدخل والسيطرة للأقوياء).
بينما يرى باحثون عرب ان تاريخ العولمة يرجع الى عام (1492م) وهي تاريخ سقوط غر ناطة وطرد اليهود من إسبانيا، عندها تم قطع التواصل الجغرافي المهم للعطاء الثقافي والحضاري للثقافة العربية الإسلامية، مما أتاح المجال لأوربا ان تظهر وتحتل الساحة التجارية والثقافية على العالم. ويرى آخرون ان العولمة

ظهرت بهذا الشكل من خلال مراحل متعددة ابتدأت بالجنينية والنشؤ (التكوين) ثم الانطلاق وبالتالي الانتروبي (Entropy) أي عدم اليقين الكلي ثم الظهور المادي.

بينما يرى إحدى باحثي العولمة الغرب من العولمة ارتبطت جدليا باختراع السكك الحديدية والسفينة التجارية والسيارة، ومن ثم ان حقيقة العولمة اليوم قامت على أساس تكاليف واختراعات لاسلكية تتخصص بصورة مستمرة بفضل حسب ما سمي (بشذرات الكومبيوتر) الدقيقة (microchips) والأقمار الصناعية وبصريات الألياف والانترنيت.

أما مفهوم العولمة والمشكلات التي رافقتها وترافقها فأن الباحث سيورد قسما للمفهوم تبعا لآراء الدارسين لهذا الموضوع ومن ثم صياغة المفهوم الإجرائي (العملي) الذي سيخدم الدراسة. فالعولمة (Globalization) مصطلح مشتق من الإنكليزية والذي يعني في صفات متعددة، العالمية، الكونية، النطاقية، الكوكبية وما الى ذلك. وانه اشتق عربيا من (عالم) على صيغة فاعل وعولم على صيغة (فوعل) و(عولم) فعل يراد به ان يشيعه ويستخدمه عالميا وهو فعل قصدي يختلف عن (العالمية) والتي تعني في أغلب الأحيان بالاتفاق والتفاهم حول بعض الأنشطة التي تستدعي العالمية، كالألعاب الرياضية، المؤتمرات، الفرق الصحية والبرامج الغذائية والمنظمات الإنسانية أما معجم ويبسترز(Webster's) فهي تعني إكساب الشيء طابع العالمية وبخاصة جعل نطاق الشيء أو تطبيقه عالميا وكالآتي:

To globalize: to make global: to make world wide in scope or application

وفي هذا المعنى فأن المصطلح شديد البراءة والحيدة، وقد لا ينسجم في عمقه وآلياته مع ما يظهر اليوم من استلاب شامل للآخر.وقد تم تعريف العولمة تعريفات متعددة سنورد بعضا منها، فالعولمة لفظا واصطلاحا تستخدم لوصف ما يحدث في العالم اليوم من تضاؤل سريع في المسافات الفاصلة بين المجتمعات الإنسانية سواء فيما يتعلق بانتقال السلع أو الأشخاص أم رؤوس الأموال والاستثمارات أم المعلومات أم الأفكار أم القيم والعادات.

فيما يرى برهان غليون هو (الدخول بسبب تطور ثورة المعلوماتية والتقنية والاقتصادية معا في طور من التطور الحضاري، يصبح منه مصير الإنسانية موحدا او نازعا الى التوحد) ويستدرك في هذا غليون في معنى الوحدة ويشير الى انها تعني درجة عالية من (التفاعل Interaction)) بين مناطق وتجمعات بشرية مختلفة وليست معنى التجانس والتساوي.

وعلى ذلك تتباين وجهات النظر المختلفة حول العولمة ليس فقط في جانبها التاريخي، إنما في معناها ومقاصدها الاصطلاحية والوظيفية وما تبعته من أهداف

وتداعيات، وقد اختلفت الزوايا المختلفة لمفهوم العولمة بين معارض لها ومرحب بها وبين ما يجعلها ظاهرة اقتصادية، أم حضارية، أم اتصالية، وطبعا الجميع يرحّل المصطلح على مايراه قريبا من مرجعيا ته واختصاصه، ذلك انه ليس من السهل ان نحدد مفهوما نهائيا وثابتا عن العولمة، فهي عدا كونها لاتزال مشروعا ألان، فأنها متعددة المعاني والدلالات والمواقف حيث تعكس مقدارا في المواقف والمصالح والأهداف، فالاقتصاديون والسياسيون وعلماء الاجتماع والإعلام والفن من مختلف الاتجاهات يتحدثون عنها بزوايا مختلفة، لكن ذلك في كل الحالات لا يشمل افقها المترامي الانتشار والتأثير.

ونرى ان أجمل واقرب تعريف لدراستها هي ما حددها كتاب عربي اتساقا مع ما أشار لها المفكر الفرنسي روجيه غارودي على ان (العولمة هي اخر مراحل الرأسمالية، وانها نهب منظم وقاس لثروات الشعوب فضلا عن تهديدها للهوية الثقافية والقومية).

وعلى الرغم من هذا التباين في التناول والرؤية تجاه العولمة إلا أنها مازالت في طور التبلور والتكوين والصراع، ولازالت في طور النماء والتكوين ولذلك يمكن وصفها بالضابية وعدم الركود والمعرفي والتاثيري المحسوس، إذ ان الظواهر حتى يمكن قياسها ودراستها عليها ان تخضع للتكميم والضبط حتى يمكن استخراج محددات تأثيراتها وتجلياتها.

ويعد غموض المفاهيم وعدم الاتفاق على تعريفات محددة لها، من ابرز المشكلات التي تؤثر ايضا في أساليب دراسة الظاهرات العلمية ومعالجتها وتطور البحث العلمي في المجالات العلمية، ولذلك يعتبر التعريف (definition) أمرا ضروريا وملازما للمفهوم حيث يتم من خلاله الاتفاق على المحددات الخاصة بكل مفهوم، لتأكيد الاتفاق على التعميمات والتفسيرات العلمية التي تقوم على بناء المفاهيم. وعليه لزاما على الباحث بعد هذه المسوحات لمفهوم العولمة ان ينطلق بتحديد او تعريف يخدمه في متن البحث وانطلق بذلك من تعريف العولمة إجرائيا بمايلي:(هي ظاهرة أساسها السيطرة الثقافية والاقتصادية والسياسية تعمقت في العقد الاخير من خلال التطورات المتلاحقة لتكنولوجيا الاتصال واتساع المصالح الرأسمالية الممثلة بشركات متعددة الجنسية، والمنظمات الدولية الاقتصادية، من شأنها إلغاء الحدود الجغرافية، وشيوع الثقافة الواحدة –الانكلوسكسونية- من خلال تذويب وسحق الثقافات الوطنية والمحلية للدول، والعمل على تصدير وانتقال رؤوس الأموال والمعلومات والأشخاص عبر النطاق العالمي اعتمادا بشكل أساس على الوسائل الإلكترونية الفضائية).

سمات الاتصال والإعلام الدولي

في "عصر العولمة"

إن تكنولوجيا الاتصال و الإعلام الدولي في القرن الواحد و العشرين و هو ما يسمى *عصر العولمة* ، تتميز بالسرعة و اللحظية و" التفاعلية ", وتسعى إلى تحقيق القدرة على تبادل الأدوار بين المرسل و المستقبل , والخروج من نطاق العمومية إلى الخصوصية قي توجيه الرسالة.

كما يتميز الإتصال و الإعلام الدولي ب :

-التخلص من قيود الزمان والمكان , حيث أصبح بالإمكان إرسال أو استقبال أية رسالة في أي وقت، وهو ما يؤدي إلى ما يعرف ب Borderless Nations .
-انتشار وسائل الإعلام , واتساع مجال استخدامها .
-الفاعلية المتزايدة لوسائل الإعلام.
-توسيع نطاق التغطية الإخبارية , وانتشار المراسلين في مناطق الحدث ونقله مباشرة.
-ارتفاع عدد قنوات الأخبار.
-توظيف بنوك المعلومات مما يؤدي إلى تحسين الأداء المهني للوظيفة الإخبارية .

وقد أدى ذلك إلى ما يسمى ب " القرية العالمية " على المثال أصبحت الأحداث التي تحدث في اليمن يستطيع المواطن الذي يقطن في السويد أن يعرف بها في لحظتها بل و التعليق على الخبر الذي يقرأه و يقترح الحلول في ذات الوقت ، و قد استطاع المصريين الذين يقيمون في لندن أو الولايات المتحدة المساعدة في نشر أماكن تجمع النشطاء المصريين ليستفيد بها مصريين آخرين داخل مصر قبل توجههم إليها و التجمع جميعاً ثم التوجه إلى ميدان التحرير للمشاركة في الإعتصامات و التظاهرات التي أدت إلى ثورة 25 يناير و التي أدت بدورها إلى خلع الرئيس السابق محمد حسني مبارك .

نتطرق الآن إلى تعريف "العولمة" ، وقد حاول الكثيرون تعريفها من عدة أوجه و لكن في مجملها هي محاولة تعميم و توسيع و نشر و من ثم فرض نمط ثقافي و فكري معين على باقي الدول مع إقصاء للهوية الثقافية الخاصة لكل دولة .

والعولمة هي فعل قصدي يقصد به أن يعمم انتشار هذا الفعل أو هذه الثقافة ، ولكن مصطلح "العالمية"مختلف لأنه يعني الاتفاق العالمي حول بعض الأنشطة التي تستدعي العالمية مثل الألعاب الرياضية أو المنظمات الإنسانية أو المؤتمرات وهذا ما يؤكده معجم Webster's في تعريفه لمصطلح العالمية وهو إكساب الشيء طابع العالمية أي جعل نطاق تطبيقه عالمياً .

و يمكننا القول أن السعي وراء " عالم بلا حدود " أو السعي وراء تحقيق "القرية العالمية" ، إنما يأتي من الدول الشمالية في الأساس ، الدول الرأسمالية لدعم اقتصادها أو لنقول لزيادة الأموال والدولارات المتدفقة في حسابات الشركات متعددة الجنسيات (MNC: Multi National Corporations) فهي تسعى لخلق وعي عالمي ومواطنة عالمية و من ثم مستهلك عالمي .

إن بعض المبشرين بفكرة العولمة مثل الصحفي الاقتصادي المخضرم في صحيفة الفاينانشيال تايمزمارتين وولفس في كتابه" لماذا العولمة هي الحل Why Globalization Works "عرف العولمة بأنها :

(تبادل شامل إجمالي بين مختلف أطراف الكون يتحول العالم على أساسه إلى محطة تفاعلية للإنسانية كلها... وان العولمة هي نموذج القرية الكونية التي ترتبط بين الناس والأماكن ملغية المسافات ومقدمة المعارف من دون قيود).

وأشار وولفس في مقال له نشر في 9 فبراير 2000 أن مستوي الدخل للفرد الواحد قد ارتفع منذ بدء حركة تحرير التجارة على مستوى الدول في حقبة الثمانينات و عليه فإن الدول النامية مثل جمهورية الكونجو الديمقراطية و رواندا عليها أن تسعى أكثر في إتجاه العولمة و أن تسعى لأن تفتح أسواقها للتجارة و الاستثمار العالميين لكي تلحق بركب الدول الغنية المتقدمة.

بينما يذهب بعض المنتقدين للعولمة مثل ناعوم تشومسكي الكاتب و المفكر الأمريكي أنه "لا جديد في النظام الدولي فالقواعد الأساسية مازالت كما هي قواعد القانون للضعفاء أو سطوة القوة للأقوياء، والعقلانية الاقتصادية والإصلاح الاقتصادي للضعفاء وقوة الدولة وحق التدخل والسيطرة للأقوياء".

وقد أكدت لويز تشيلي - الأستاذة في كلية الخدمات الدولية في الجامعة الأميركية، ومؤسسة ومديرة لمركز الجريمة والفساد عبر الدول في الجامعة الأميركية في واشنطن، العاصمة – ذلك في مقال لها نشر في مجلة "إي جورنال ، يو إس إيه " و هي مطبوعة يشرف عليها مكتب برامج الإعلام الخارجي التابع لوزارة الخارجية الأميركية.

حيث قالت:

في نهاية القرن العشرين، برزت ظاهرة جديدة تمثلت في قيام العولمة المتزامنة مع الجريمة، والإرهاب، والفساد، ذلك "الثالوث غير المقدس" الذي أصبح يظهر في كافة أنحاء العالم.

وأضافت : لكن هذا الثالوث غير المقدس أكثر تعقيداً من مجرد توجّه الإرهابيين نحو الجريمة لدعم نشاطاتهم، أو من مجرد الزيادة الدولية لتدفق السلع الممنوعة. فهو بالأحرى ظاهرة مميزة بذاتها تعمل فيها شبكات الجريمة المعولمة مع الإرهابيين، ويتمكن كلاهما من تنفيذ نشاطاتهما بنجاح يساعدهما في ذلك الفساد المستوطن.

وحيث أنها كاتبة أمريكية فبالطبع لن تزم أو تنتقد فكرة العولمة التي تصدرها وترعاها الولايات المتحدة وهي أحد مواطنيها و تكتب في مطبوعة صادرة عن وزارة الخارجية الأمريكية و لذلك أكدت قائلة:

بعكس الرأي القائل أن كل ذلك نتج عن العولمة، فإن الجريمة المنظمة والإرهاب كان لهما نشاط تاريخياً عابراً لحدود الدول. في الثلاثينات من القرن الماضي، كان أعضاء عصابات المافيا الإيطالية في الولايات المتحدة يسافرون إلى كوبيه في اليابان والى شنغهاي في الصين للحصول على المخدرات، وكان يلجأ أعضاء من مختلف عصابات الإجرام الأميركية إلى الصين لتجنّب وصول السلطات الأميركية المختصة بفرض تطبيق القانون إليهم. كما وجد أعضاء منظمة الجيش الجمهوري الأيرلندي ملجأ آمناً في كنف الجاليات الأيرلندية في الخارج التي وفرت كذلك الدعم المالي لهذه المنظمة في أيرلندا ،إلاّ أن الجديد اليوم، هو سرعة وتكرار تفاعلاتهم المتبادلة، وكثافة التعاون بين هذين الشكلين من الجريمة العابرة للحدود القومية.

ولكن الكاتبة تشيلي رجعت و ناقضت الفكرة قائلة :

اتجهت الجريمة المنظمة الدولية للعولمة في نشاطاتها لنفس الأسباب الذي تدفع شركات مشروعة متعددة الجنسيات إلى عولمت أعمالها. وتماماً كما تُنتج شركات متعددة الجنسيات فروعاً لها حول العالم للاستفادة من الأيدي العاملة الرخيصة أو من أسواق المواد الأولية، كذلك تفعل مؤسسات الأعمال غير المشروعة.

ويذهب البعض في تحليل هذه الظاهرة إلى أنه ليس فقط السبب في بسط الهيمنة الثقافية والإقتصادية للدول الرأسمالية يأتي من قوتها و لكن السبب أيضاً في ضعف الدول النامية أو الدول المستقبلة لهذه الثقافة في التشبث بهويتها الثقافية وبسط سيطرتها على وسائل الإعلام لديها وما يتطلبه ذلك من تكنولوجيا الإتصال .

و يذهب البعض الآخر إلى أن من سمات العولمة الأساسية هو أن يصبح العالم يتبع شبكات الإتصال المعلوماتية التي تخدم الشركات الرأسمالية من أجل جعله عالم واحد بدون دولة و بدون وطن وهو الذي يؤدي بدوره لخلق مستهلكين متجانسين عالميين مما يساعد الشركات المتعددة الجنسيات في نشر منتجاتها و تسويقها بشكل أفضل.

إن إستخدام هذه الإستراتيجية من " العولمة " من قبل الدول المتقدمة يعتبر من سياسات القوة الناعمة ، وقد عبر عنها الكاتب الصحفي الشهير توماس فريدمان أبلغ تعبير حين قال :

هناك استحالة نشوب نزاع مُسلح بين دولتين بهما فروع لماكدونالد ماثلة حتى اللحظة، ولم يتحقق ما يُبطلها؛ حيث توقع أنْ تنشأ نزاعات مسلحة في الدُّول التي لم تفتتح بعدُ فروعًا لماكدونالدز بها (وهي العراق، وسوريا، وإيران).

العولمة

منذ بداية عقد التسعينات من القرن الماضي والفكر العربي مشغول بالظاهرة الجديدة التي لم يتفق الكتاب العرب على تسمية واحدة لهذه الظاهرة رغم كثرة حديثهم عنها، فقد أسماها بعضهم (العولمة) وأطلق عليها البعض الآخر الكونية، وقسم ثالث سماها (الكوكبة) وما يهمنا في هذا الصدد هو طرح مجموعة من التساؤلات عن حقيقةالعولمة ما هي؟ وكيف يمكن تعريفها؟ هل هي مفهوم اقتصادي أم ثقافي أم اجتماعي؟ وهل تعني العولمة بروز عالم بلا حدود اقتصادية وثقافية واجتماعية ؟ وهل تعني العولمةظهور نظام اقتصادي واحد أم قيام حكومة عالمية واحدة يذوب المحلى في العالمي ؟ وبروز العامل الخارجي كعامل مؤثر في مواقف وسلوكيات الأفراد على المستوى العالمي ؟

الواقع أنه لا توجد إجابات حاسمة لمثل هذه التساؤلات وبالتالي يصبح تعريف العولمة أمر بالغ الصعوبة. ونجد أن مفهوم العولمة في الأدبيات السياسية والثقافية العربية المعاصرة لا يساهم في ضبط وتحديد الظاهرة وأبعادها الأساسية، فالعولمة مفهوم يراد منه في كثير من الكتابات العربية الراهنة أن يكون مرادفا لمعنى العالمية فتختلط المفاهيم لتتحول من أدوات للتواصل المعرفي، إلى أدوات للتشويش الفكري الذي لا يسعفنا في تحديد الظاهرة أو يجعلنا نستوعبها.

وثارت في الفترة الأخيرة من دخول السنة الأولى من الألفية الثالثة تساؤلات أكثر جدية من سابقتها، هذه التساؤلات تدور حول الفرص والمخاطر التي تفرزها العولمة وعن أساليب التعامل مع هذه الافرازات و مرتكزاتها وأصبح من غير الممكن فهم عقد التسعينات من القرن الماضي وما حدث فيه من تطورات متلاحقة دون الرجوع إلى ظاهرة العولمة التي أصبحت الآن الإطار المرجعي لكل الدراسات الاجتماعية والإنسانية.

ورغم ارتباط مفهوم العولمة بالتحولات الخارقة للعادة التي تعيشها المجتمعات المعاصرة، بما يشبه الثورات الكبرى التي قادت العالم الحديث نحو المجتمع الصناعي، على أنها ثورات وتحولات تحدث على مستوى العالم في أوقات متقاربة، وتعمم من خلالها مفاهيم وتوجهات وأذواق، إلا أن مصطلح العولمة لم يكن له أي وجود قبل منتصف الثمانينات من القرن العشرين، وقد أصبح اليوم من المفاهيم والمصطلحات تداولا على مستوى العالم.

إن الحديث عن العولمة قد تزامن مع بروز مجموعة من الظواهر السياسية والحياتية والمستجدات الفكرية والتطورات التكنولوجية التي تدفع في اتجاه ترابط العالم وتشابكه وتقاربه وزيادة انكماشه.

وقد ارتبط مصطلح العولمة أشد الارتباط بالثورة العلمية والمعلوماتية الجديدة والتي تكتسح العالم منذ بداية التسعينات أصبحت القوة الأساسية المسؤولة عن بروز العولمة وإن لم تكن الوحيدة .فالثورة العلمية والتكنولوجية هي التي جعلت العالم أكثر اندماجا وهي التي سهلت وعجلت حركة الأفراد ورؤوس الأموال والسلع والمعلومات والخدمات، وهي التي جعلت المسافات تتقلص والزمان والمكان في حالة انكماش.

وتمثل العولمة نوع من التداخل الكثيف في العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية بين مختلف دول العالم والذي من الصعب إن لم يكن من المستحيل ضبط تأثيراته والتحكم في بالإجراءات التقليدية كإغلاق الحدود وقطع العلاقات الدبلوماسية مثلا. فالعلاقات الدولية اليوم لم تعد تقتصر فقط كما عليه الحال من قبل على العلاقات التجارية (استيراد وتصدير) والدبلوماسية (تبادل البعثات) إي تلك العلاقات التي كانت تقررها الدول بكامل إرادتها في إطار ممارستها لسيادتها على شعوبها وبلدانها، بل أصبحت اليوم بفضل التقدم الهائل لوسائل المواصلات وثورة المعلومات وتكنولوجيا الاتصال تتخطى كل الحدود وتحطم كل القيود لتفرض نفسها على كل المستويات المهمة الحساسة بعيدا عن أية مراقبة من أي نوع كانت هذه المراقبة.

العرب وتحديات العولمة

عولمة الإعلام العربي هي مجموعة من التحديات أمام النظام الإعلامي العربي الذي يمثل نطاقا إقليميا فرعيا يتفاعل مع بقية الأنظمة الإعلامية الإقليمية ومع النظام الإعلامي الدولي- لتأثيرات عدة من خلال العولمة الإعلامية بدءا من التكنولوجيا المستخدمة مرورا بالمضمون وانتهاء بالأهداف التي تسعى العولمة إلى تحقيقها. وإذا تأملنا عناصر وأشكال الاتصال بين النظام الإعلامي العربي والنظام الإعلامي الدولي الذي تملك الولايات المتحدة قصب السبق فيه تبرز الآتي:

1. أن معظم المواد والتجهيزات الصناعية التقليدية وصناعة الإعلام أغلبها أن لم تكن كلها في يد الدول المصنعة وفي مقدمتها الولايات المتحدة.
2. جميع وسائل التجهيزات الاتصالية الحديثة نقع في حوزة المجموعة ذاتها وتسيطر عليها كليا الولايات المتحدة.

3. جميع تجهيزات المعلومات وغزو الفضاء وبنوك المعلومات تحت السيطرة الأمريكية.
4. معظم مصادر المعلومات والبث الإعلامي عبر الأقمار الصناعية ومواد تصنيعها وطرق تجارتها والآليات القانونية في يد الولايات المتحدة.

كل هذه المظاهر للعولمة الإعلامية تجعل الولايات المتحدة تمارس عولمة اتصالية تكون ابرز آلياتها القنوات الفضائية وإلكترونيات والحواسب والإنترنت...الخ. وهي آليات تزيد من خطورتها الأيديولوجية الرأسمالية الإمبريالية التي تحملها. فالبث التلفزيوني عبر الأقمار الصناعية يتم الآن بطريق مباشر دون الحاجة إلى المحطات الأرضية وكذلك دمج التلفزيون مع تكنولوجيا الحاسبات. ومن المتوقع استخدام التليفزيون في التحول عبر الانترنت. وسعيا وراء الاحتكار والربح اتجهت بعض الشركات متعددة الجنسية للعمل في المجال الإتصالي المعلوماتي الترفيهي حيث تسيطر على محتوى وتوجيهات المضامين والأشكال للبرامج المنتجة. وتبرز من هذه الشركات حاليا خمس عملاقة هي ردبراني وبرتلسمان وتايم وازنر وفاكم.. وشركات الأخبار باستثناء الشركة الثانية أي برتلسمان ملكيتها ألمانية، لكنها أكبر شركة نشر في الولايات المتحدة. وبم أن هدف هذه الشركات هو الاحتكار والربح فإنها لا تراعي القيمة الفكرية أو الثقافية للمضامين والبرامج المنتجة.

وفي هذا السياق فإن تفوق صناعة الإعلام والترفيه الأمريكية على مثيلاتها الأوروبية و اليابانية في إنتاج وترويج المنتجات الإعلامية والترفيهية، مكنها من أن تصبح النموذج الذي تسعى إلى تقليده صناعات الإعلام والترفيه في بقية أنحاء العالم بما فيه أوروبا ذاتها .

إذا من يمتلك (الثلاثي التكنولوجي) المكون من وسائل الإعلام السمعبصرية ، وشبكات المعلومات والطريق المعلوماتي السريع بفرض سيطرته الكاملة على صناعة الاتصال والمعلومات الفضائية المصدر الجديد لإنتاج وصناعة القيم والرموز والذوق حيث تبرز الصورة الآن كأحد أهم آليات العولمة في المجال الإعلامي بعد التراجع الحاد للثقافة المكتوبة وبروز ما اصطلح عليه ثقافة ما بعد المكتوب.

وبما أن الإعلام والثقافة كل لا يتجزأ فإنما تمارسه العولمة وما تتركه من آثار في المجال الإعلامي العربي يمارسه في المجال الثقافي العربي، ابتداء من التعليم والدين والعادات والتقاليد وسائر مكونات المنظومة الحضارية إذ تسعى للتأثير على منظومة القيم الكلية وهو أمر يؤثر بشدة على الثقافة العربية التي تعاني منذ ما يقرب من قرنين وضعا متوترا نتيجة احتكاكها مع الثقافة الغربية

بتقنياتها وعلومها وقيمها الحضارية التي تعد نتاج تطور خاص قوامه التحديث والحداثة وهو تطور لم تعايشه الثقافة العربية. حيث تصبح الثقافة منتجا اجتماعيا تتوسع في ظل ما تحقق من إنجازات، إذ أصبح في وسع البث المباشر أن ينقل كل المنتج الثقافي في كل العالم بسرعة فائقة .

العولمة في الإعلام

أمر الإعلام في عصرنا الحاضر ودوره المؤثر والفعّال على الأمم والمجتمعات وعلى الدول والمؤسسات ، والكبار والصغار ، والنساء والرجال أمر لا يخفى على ذي بال.

فإن لكن الطور الذي دخله الإعلام في سنيه الأخيرة ليس مجرد طور عادي ، وليس مجرد وسيلة جديدة أو أسلوب متطور فحسب ؛ بل الأمر هو التوجه العالمي للإعلام ؛ بمعنى أن الإعلام لم يعد محصورًا في مكان أو حدود سياسية أو بقعة جغرافية.. بل أصبح يتخطى الحدود وربما يجاوز كل وسائل الرقابة.

كذلك فإن الأمر لا يقف عند هذا الحد.. بل تعداه إلى تكوين مجموعات أو شركات إعلامية أخطبوطية لها أذرع في كل مكان ، ولها وجود في كل صنف من الإعلام.. تشارك في القرار السياسي وتؤثر في النشاط الاقتصادي.. توجّه المجتمعات وتقود الأمم في الفكر والثقافة ، في الفن والرياضة ، في الدين والأخلاق.

مفهوم العولمة

العولمة مصطلح حادث مترجم عن الكلمة الإنجليزية Global ومعناها : عالمي أو دولي ، وغالبًا ما تذكر مرتبطة بمصطلح القرية Village Global بمعنى القرية الكونية أو العالمية . ويدور مفهوم العولمة حول الوجود العالمي أو الانتشار الكوني ، وغالبًا ما استخدم في السياسة والاقتصاد بمعنى النفوذ السياسي العالمي والمؤسسات الاقتصادية الدولية (الأخطبوطية) المتواجدة في أنحاء كثيرة من العالم ولها تأثير قوي ونافذ سواء في الشأن الاقتصادي أو السياسي المحلي (أي في البلدان المتواجدة فيها) . ثم تطور في جانب جديد وهو العولمة الإعلامية ، عن طريق إنشاء مؤسسات إعلامية دولية ضخمة لها قاعدة أساسية في بلد وتنطلق منه إلى كثير من البلدان ، ولها أثر فاعل في الإعلام المحلي لتلك البلدان

أهداف العولمة الإعلامية

من المعلوم أن الربحية غرض رئيس للرأسمالية الغربية ، وأي نشاط اقتصادي يكون وسيلة لزيادة الدخل والربحية فإنه مُحبّب ومرغوب.. هذا هو منطلق العولمة الإعلامية.. ربح وربح وربح

لكن لا ننسى أن القائمين على هذه المؤسسات والعاملين فيها لهم خلفيات وعقائد ومبادئ ينقلونها إلى العالم من خلال أنشطة مؤسساتهم الإعلامية مثلما تنقل السفينة البضائع ، فلا يُستغرب أن نرى مضامين هذه العولمة الإعلامية مترافقة تمامًا مع ما درج عليه أصحابها ، فالعنف يستشري في دمائهم ، والجنس قضية بيولوجية ، أما العقيدة فهي مجموعة من الخزعبلات والخرافات والشعوذات تتوافق أحيانًا مع تربيتهم الدينية (النصرانية) وتصادمها أخرى

من المستهدف ؟

ليس هناك مجتمع محدد مستهدف بالعولمة ولا قطاع معين أو دولة محددة ، لكن أينما وجدت التسهيلات الفنية والإمكانات المالية فتجدهم هناك ، لذلك نجد توجهًا قويًا للمجموعات الإعلامية الدولية تجاه المراهقين والأطفال ، نظرًا للوقت الطويل الذي يقضونه أمام شاشات التلفاز ، الإنترنت ، الكمبيوتروالمجتمعات العربية والإسلامية مستهدفة بهذه العولمة ضمن هذا الميدان ، فحيثما شُرعت الأبواب لهم فإنهم داخلون ، لا يعتّدون غالبًا بالبيئات وثقافتها وتقاليدها فضلًا عن دينها ومبادئها

من يقود العولمة الإعلامية ؟

المتابع لوسائل الإعلام بكافة أنواعها - والتلفاز والسينما والإنترنت على وجه الخصوص - لا يخفى عليه الحضور الأمريكي الطاغي ؛ لدرجة أن أصواتًا عدة ارتفعت في أوروبا (فرنسا على وجه الخصوص) لمقاومة المد الإعلامي الأمريكي الغازي.

وفي الوقت نفسه بدأ السعي الحثيث لدى بعض المؤسسات الإعلامية الأوروبية نحو العولمة ، بدءًا بالإنتشار الواسع داخل أوروبا نفسها ثم الإنطلاق نحو الأسواق الخارجية خصوصًا ذات الثقافة واللغة المتشابهة.

تطور العولمة الإعلامية

بدأ التحول الضخم في اتجاه العولمة في مجال الإعلام بدءًا من الثمانينيات ، وكانت البداية أفرعًا لمؤسسات وموزعين لمنتجات إعلامية ، ثم تطورت الأمور مع التوسع الاقتصادي ، والنمو السكاني ، والإنفتاح السياسي والاقتصادي بين الدول.

استطاعت مجموعة من المؤسسات الإعلامية أن تفهم حاجات المجتمعات المختلفة للمواد الإعلامية مما ساعدها على تطوير أدوات إيصال لهذه المواد مستفيدة من التطور التقني الواسع في ميدان الاتصالات.

بدأت المؤسسات الإعلامية الأمريكية القوية في موطنها في تكوين شركات متعددة الجنسيات وشراء أنشطة ومؤسسات إعلامية في البلدان الخارجية المختلفة.

واكب ذلك تحالفات استراتيجية مع الجهات المحلية القوية مستفيدة بدرجة كبيرة من النفوذ الأمريكي السياسي في العالم وتهاوي أدوات المنع أو الرقابة ووسائلهما في البلدان المختلفة

وتطورت الأمور تجاه العولمة بسرعة بالتواكب مع العولمة الاقتصادية ؛ حيث يمكن إدراج الإعلام جزءًا من الأنشطة الاقتصادية.

وصل عدد المؤسسات الإعلامية الدولية إلى 80 مؤسسة نصفها تقريبًا أمريكي

ويتوقع الاستمرار نحو هذا الاتجاه وزيادة التكتلات والمجموعات الإعلامية الدولية وذلك في المدى القريب والمتوسط.

مستقبل العولمة الإعلامية:

تعتبر أمريكا أكبر دولة في العالم اقتصاديًا وسياسيًا ، وفي جانب الاتصالات هي الأولى وكذلك في جانب الكمبيوتر . أما الإعلام فلا يوجد لها منافس حقيقي في الساحة . هذه الحقيقة تعطي تصورًا واضحًا للمستقبل الإعلامي العالمي ؛ فقيادة أمريكا له ظاهرة

وتداخل الإعلام مع التقنية في الكمبيوتر والاتصالات تجعل القدرة الأمريكية في استمرار الهيمنة الإعلامية مؤكدة ؛ خصوصًا إذا انتبهنا إلى الأسلوب المستخدم في الإعلام (المرئي على وجه الخصوص) والذي يعتمد على الإيحاء والخيال الواسع والصورة والحركة لإيصال الرسالة الإعلامية بعيدًا عن الكلام الكثير والحشو المطوّل.

ومما هو مشاهد أن التوسع الإعلامي (الأمريكي على وجه الخصوص) أفقي وعمودي ؛ وقد استفاد من التحالفات المحلية (في المناطق القوية) والسيطرة والاحتكار في البلدان الضعيفة.

كذلك فإن النظرة للعولمة من جهة الشركات الإعلامية الغربية والأمريكية على وجه الخصوص يزداد مع الأيام ، والقناعة به بدأت تسري حتى في المؤسسات المتوسطة والصغيرة فضلاً عن الكبيرة.

هذا الأمر (العولمة الإعلامية) سيتجذر مع مرور الأيام ، وسيصبح جزءًا مفهومًا من الواقع العالمي ، وبالطبع سيتأثر هذا الأمر بمدى المقاومة السياسية للبلدان المستهدفة وبمدى قدرتها على المقاومة أصلاً أو حتى برغبتها في ذلك أو عدم الرغبة.

كذلك سوف تتعرض البلدان المتخلفة لضغوط سياسية واقتصادية للقبول بها الواقع الإعلامي الجديد من باب : حرية الناس ، وحقوق الإنسان ، الإعلام الحر ، تبادل الثقافات ، وحوار الحضارات.

ولا ننسى أيضًا أن الشركات الإعلامية تتحرك بمساعدة حكومية من بلدانها الأم وهي تنظر إلى الناس (في كل مكان) أنهم مستهلكون لسلع هم ينتجونها ، ولا ينظـرون إليهم بصفتهم مواطنين في بلدانهم لهم ثقافاتهم الخاصة وعقائدهم المتميزة.

ما (العولمة) وهل للإعلام دور فيها؟

وسائل الإعلام العلوم السياسية الصحف والجرائد الثقافة والأدب

كثيراً ما نسمع اليوم عن ظاهرة «العولمة» ونتائجها وآثارها في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية. ولا يمكننا أن نغض النظر عما يجري تحت مظلة هذه الظاهرة العالمية حتى وان كنا ممن يخالفون اوممن لا يؤمنون بالعولمة كظاهرة أخذت تضع بصماتها حتى على ما يمارسه الافراد يومياً ناهيك عن المجتمعات التي انجرّت وراء هذه الظاهرة العالمية.

أما عن الاعلام، فما هي العلاقة بين العولمة والاعلام؟ هل ان الاعلام العالمي تأثر بالعولمة؟ أم ان العولمة هوانعكاس لظاهرة الاعلام العالمي الذي حمل الرسالة السياسية والاقتصادية والثقافية عبر وسائله التقنية؟

الحقيقة هي ان كلا الظاهرتين متلازمتان لا يمكن أن ينفكّ احدهما عن الاخر على الاقل في عالمنا المعاصر الذي طوى شوطا من الزمن توسعت فيه دائرة العولمة من ناحية وكثرت وتشعّبت وسائل الاعلام فيه من ناحية اخرى

العولمة أثّرت وبحد كبير على الانشطة الاعلامية في عالمنا المعاصر ولا تخلو اليوم أية ظاهرة من ظواهر الحياة السياسية والاقتصادية والاجتماعية الاّ ولعبت فيها وسائل الاعلام دوراً يكاد أن يكون الاهم حتى بالنسبة لما تحتويه هذه الظواهر من معنا في المجتمعات المختلفة.

والدكتور ابو العينين يحمل شهادة الدكتوراه في الاعلام من جامعة الازهر عام 1986 وهو الان عميد كلية الالسن والاعلام في جامعة مصر العربية ورئيس

قسم الصحافة ومستشار التدريب الاعلامي بمعهد الاهرام الاقليمي للصحافة. وقد انتج بجانب الابحاث المختلفة والكثيرة في المجال الاعلامي، كتبا منها:

مقدمة في وسائل واساليب الاتصال (1987)»، «الوظيفة الاخبارية لوسائل الاعلام (1991)»، «الاتصال وبحوث التأثير (1995)»، «الصحافة العالمية: مسح لوسائل الاعلام في العالم (1993)، «قوانين الصحافة في الانظمة الاعلامية المعاصر 1996في مقدمة كتابه أكّد البروفيسور ابو العينين ان الكثير من الباحثين يعتقد بأن عولمة الانشطة الاعلامية «تمثل أهم تطور أعلامي في العقدين الاخيرين من القرن الماضي. وأن هذا التطور سوف يحدد مسار هذه الانشطة طوال سنوات القرن الحالي، فضلاً عما يمثله ذلك من أهمية وتأثير في انظمة الاعلام الوطنية في دول العالم». ولكن هناك ايضا ملاحظات مهمة في هذا المجال لا بد أن تؤخذ بعين الاعتبار وهي:

- اولاً: ان عولمة النشاط الاعلامي لم تتحقق بعد بالصيغة التي ربما تكون قد استقرت لدى الكثيرين.
- ثانياً: ان ما تحقق عينياً هوعولمة الرسالة الاعلامية بفضل سقوط الحواجز وهي ظاهرة «تقنية» اكثر من كونها ظاهرة سياسية أو ثقافية على الرغم من تأثيراتها السياسية والثقافية.
- ثالثاً: ان درجات استجابة الانظمة الاعلامية الوطنية للتغييرات التي تفرضها عولمة صناعة الاعلام متفاوتة الى حدود بعيدة، الامر الذي ينفي بشدة حقيقة أن تكون العولمة سمة أساسية لانشطة وسائل الاعلام عبر مناطق العالم المختلفة في الوقت الراهن.
- رابعاً: ان عولمة النشاط الاعلامي، حيث توجد الان، ليست ظاهرة حديثة تنتمي للعقدين الاخيرين من القرن الماضي، ولكنها تعبير عن تطور تاريخي تمتدّ جذوره الى القرن التاسع عشر، وان كانت خطاها قد تسارعت في الربع الاخير من القرن العشرين.

وقد كشفت الممارسات المختلفة في سنوات الثمانينيات والتسعينيات من القرن العشرين عن دورين اساسيين قامت بهما وسائل الاعلام في المنظومة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية العالمية، وهوالدور الاقتصادي حيث تلعب فيه وسائل الاعلام دوراً مهماً. فقد أصبحت العولمة الاعلامية تمثل قيمة اقتصادية هائلة ومتنامية وبخاصة في ظل اقتصاد المعلومات الذي أصبح ألسمة الاساسية للاقتصاد العالمي، حيث بلغت استثمارات صناعة المعلومات تريليوني دولار عام 1995، وفي نهاية القرن (عام 2000) بلغت 3 تريليونات دولار سنوياً بعد ان كانت هذه الاستثمارات لا تتجاوز 350 مليار دولار عام 1980، وثانياً الدور الايديولوجي الذي يوفر بيئة معلوماتية وايديولوجية لدعم الاسس السياسية

والاقتصادية والمعنوية لتسويق السلع والخدمات وتطوير نظام اجتماعي قائم على تحقيق الربح عبر الثقافات الوطنية المختلفة. والكتاب يحتوي على اربعة فصول اساسية. في الفصل الاول حاول المؤلف أن يستوعب مفهوم العولمة في بحوث الاعلام. فهذا المفهوم باعتقاد توسوفي كتابه المعروف «الامبراطورية الاكترونية: الاعلام العالمي والمقاومه المحلية» (1998) يمثل أحد المفاهيم الحديثة في الدراسات الاجتماعية بوجه عام بالرغم من كونه مفهوماً اقدم بكثير في مجالي الدراسات الاعلامية والتجارة الدولية والدراسات الاجتماعية .

وبصورة عامة فان دراسات العولمة في العلوم الاجتماعية تتسم بالتركيز على ظاهرتين اساسيتين، تحتل وسائل الاعلام ـ وخاصة التلفزيون ـ فيهما مكانة متميزة:

اولاً: الوسائل التي يسّرت بها الشركات متعددة الجنسيات عولمة رأس المال والانتاج.

ثانياً: الثقافة العالمية الناتجة عن ظهور نمط من الشركات متعددة الجنسيات يمتلك ويهيمن على وسائل الاعلام الجماهيرية مما سبب ظهور نمط من الثقافات والايديولوجيات ذات التوجه الاستهلاكي.

وتخضع أدبيات البحث في ظاهرة العولمة ايضاً للعديد من التصنيفات تؤكد بعضها على انها أحادية السبب mono-causual والاخرى متعددة الأسباب-multi causualويرى المؤلف ان هناك تصنيفاً آخر اكثر ملائمة لتقديم شروح أفضل لظاهرة شديدة التعقيد مثل العولمة وهو تصنيف رباعي يرتكز على تمايز الاتجاهات التالية:

- اولاً: مدخل النظم العالمية The World System Approach وهويبنى على التمييز بين دول المركز وشبه المحيط والمحيط من حيث طبيعة دور هذه الدول في تقسيم العمل الدولي الخاضع لسيطرة النظام الرأسمالي العالمي.
- ثانيا: النموذج الثقافي العالمي Global Culture Model ونشأ هذا النموذج من البحوث التي تناولت عولمة الثقافة. ويهتم هذا المدخل بالمشكلات التي تسببها ثقافة متجانسة مرتكزة على وسائل الاعلام، وبخاصة التلفزيون، للهويات الوطنية.
- ثالثا: نماذج المجتمع الدولي Global Society Models :ويعتقد اصحاب هذه النماذج بأن المجتمع العالمي ـ تاريخيا ـ قد اصبح حقيقة في العصر الحديث فقط، وأن العلم والتقنية والصناعة والقيم العالمية المتنامية أوجدت عالما مختلفاً عن اي عصر من عصورالانسان السابقة.
- رابعاً: مدخل الاقتصاد السياسي Political Economy :ويرتكز هذا المدخل على افتراض ان ديناميكيات الصناعات المنتجة للثقافة يمكن فهمها في ضوء

الحتمية الاقتصادية. وينتمي هذا التوجه الى الغلاة من الماركسيين اللذين يعتقدون بأن ظاهرة العولمة هي نتاج هيمنة القوى الرأسمالية على التطور الاجتماعي والثقافي السائد عالمياً. وفي هذا المجال تمثل وسائل الاعلام ركناً اساسياً في تفسير هذا المدخل لظاهرة العولمة.

وفي الفصل الثاني حاول المؤلف أن يعكس رؤية تاريخية لمراحل عولمة النشاط الاعلامي كمحاولة لفهم الواقع الذي تنطوي عليه هذه الظاهرة ودلالاتها الاقتصادية والسياسية وتأثيراتها المستقبلية.

وينطلق نقاش المؤلف من افتراض اساسي في هذا المجال وهوأن هناك «ثمة علاقة وثيقة ربطت بين عولمة النشاط الاعلامي وتصدير الرأسمالية التجارية عبر تطورهما التاريخي، وأن تلك العلاقة هي التي تحكم التطورات الراهنة والمستقبلية في صناعة الاعلام من دون أن ينفي ذلك تدخل عوامل اخرى».
ويدعم هذا الافتراض العوامل التالية:

1) التزامن بين ظهور النشاط الاعلامي خارج الاسواق الوطنية الرأسمالية وتصدير الرأسمالية الصناعية والتمدد التجاري في الاسواق الخارجية.
2) الاختلاف الموجود في عولمة الانشطة الاعلامية التي تطرح على الصعيد العالمي وتنعكس في الانظمة الاعلامية الوطنية الغربية.
3) خضوع اكبر نسبة من الانشطة الاعلامية الدولية لعدد من الشركات العالمية العملاقة ونموالشركات الاعلامية العالمية تبعاً لنموتلك الشركات.
4) وحدة العمل والمنشأ للشركات العالمية العملاقة مما يشير على انسجامها في الاصعدة المختلفة.
5) تماثل التوزيع الجغرافي للمستوى الذي تحقق من عولمة الانشطة الاعلامية مع توزيع الاستثمارات التجارية والصناعية للشركات العالمية متعددة الجنسيات مما يدل علىانهما حقيقة واحدة.
6) الاختلاف في تأثير النشاط الاعلامي عبر الوسائل الاعلامية المختلفة. فصناعة التلفزيون مثلاً هي الاكثر تأثراً بسياسات العولمة.

ويستخلص الدكتور ابوالعينين من هذا الافتراض نتيجة مهمة وهي «ان الطابع التاريخي لظاهرة العولمة ينفي عنها صفة الاستمرار باعتبارها مرحلة تاريخية مرتبطة بالقوى الداعمة لها مما يفسح المجال امام العوامل الوطنية سياسية كانت ام اقتصادية ام ثقافية، للتعامل مع هذه الظاهرة» وهذا يعني من جهة اخرى ان عولمة النشاط الإعلامي ستزول اوستتغير اذا تغييرت معالم التجارة العالمية وان تكامل الاقتصاد الوطني سيلعب دوره في تعديل الانشطة الاعلامية لصالح الشعوب خلافاً لما تريده الشركات العالمية المتعددة الجنسيات.

وفي الفصل الثالث يستخلص المؤلف حقيقة مهمة في تجارب الثمانينيات والتسعينيات حول الاعتبارات الجيوبوليتيكية المؤثرة على عولمة النشاط الاعلامي، ويرى بأن قوى السوق قد أصبحت الوسيلة العالمية الاساس لتنظيم الانشطة الاتصالية، وأن المبادئ والقيم غير المرتبطة بقوى السوق يتناقض دورها في تنظيم صناعة الاتصال. وبالرغم من أهمية هذه الحقيقة في تنظيم العلاقة بين السوق العالمية وعولمة الاعلام فان الاعتبارات الجيوبوليتيكية تؤثر تأثيراً جاداً في تنظيم هذه العلاقة. فهذه العلاقة لا تعمل بدرجة واحدة عبر مناطق العالم المختلفة متأثرة بالاعتبارات الجيوبوليتيكية وآثارها في المراحل المختلفة. ولأهمية هذه الحقيقة فان الاستراتيجية الجديدة للشركات العالمية هي أن تصل الى قطاعات معينة من السكان داخل الاسواق الوطنية، أن الوصول الى هذه القطاعات تبدو وكأنها المسؤولية الحقيقية لوسائل الاعلام العالمية.

ففي الاقطار العربية على سبيل المثال، يعتقد المؤلف بأن العوامل السياسية هي المحدد الرئيسي لمدى استجابة الاعلام العربي للتحديات التي تفرضها عولمة الانشطة الاعلامية. فلا يخلواي قطر من هذه الاقطار من هيمنة الدولة على واقع الاعلام ومستقبله مما تحدّ كثيراً من خطى الاعلام العربي للتفاعل مع الانشطة الاعلاميةالعالمية.

وبحث المؤلف في الفصل الرابع والأخير تأثير العولمة على اتجاهات البحث الإعلامي وصنّف بحوث الاعلام المرتبطة بقضايا العولمة الى تيارين اساسيين:

- تيار يحاول رصد التغييرات التي جاءت بها الانشطة الهادفة الى عولمة صناعة الاعلام وتأثيراتها.
- تيار يحاول رصد تأثيرات تقنية الاتصال الحديثة على صناعة الاعلام . فعلى الرغم من اهتمام بحوث الاعلام برصد الخطوات التي قطعتها صناعة الاعلام في سبيل تحقيق سوق عالمية للانشطة الاعلامية المختلفة، ولكنه يمكن رصد العديد من الدراسات خلال سنوات التسعينيات التي تمثل تياراً مناهضاً لظاهرة عولمة الانشطة الاعلامية وتقسيم هذه الدراسات الى اتجاهين:

الاتجاه الاول: وهو اتجاه يبدي الكثير من التحفظات على عولمة الانشطة الاعلامية التي يتم من خلالها تجاهل المصالح الوطنية، وانهاك اقتصادات الطبقات الوسطى في المجتمع، واضعاف قدرات المجتمعات المحلية على الابداع والابتكار في ظل المنتجات الثقافية الجاهزة التي تقدمها وسائل الاعلام الى

الجمهور. ولكن المؤلف يؤكد على ان تأثير هذا الاتجاه ضعيف في مواجهة قوى العولمة وما تحققه يوماً بعد يوم على أرض الواقع.

الاتجاه الثاني: وهو الاتجاه الذي يقبل بوجود عولمة الانشطة الاعلامية مدفوعة بدوافع الربح المادي.

وهذا الاتجاه هو أقوى الاتجاهات المناهضة لعولمة الانشطة الاعلامية سواء في مجال البحوث أم في مجال التحركات الاجتماعية الفعلية.

البعد الإعلامي للعولمة

ارتبطت العولمة كحتمية حضارية وضرورة إنسانية فرضها التطور الحضاري العلمي والتقني والاقتصادي والسياسي والعسكري- كما يرى الكثير- وهيمنت على الحياة عامة في العالم المعاصر بالتطور الهائل الذي عرفته تقنيات وأساليب الإعلام والاتصال، والاعتماد على تقنية الإعلام الآلي وشبكة المعلوماتية في الاتصالات المختلفة وفي إنجاز مختلف النشاطات من خلال استعمال الوسائل والبرامج الالكترونية، واستخدام وسائل وأساليب وآليات الاتصال المتطورة من أقمار صناعية ومحطات إذاعية وتليفزيونية وغيرها، والحرص الشديد على تطوير تقنية الإعلام والاتصال والمعلوماتية والإنفاق الهائل على ذلك، "لقد أنفقت أكبر ثلاثمائة شركة تقانة معلوماتية في العام 1997، ما قيمته 216 مليار دولار على البحث والتطوير وهذا المبلغ أكثر بثلاثمائة مرة مما يخصصه الوطن العربي بأجمعه لكل أنواع البحث وفي عام 1998 زادت هذه الشركات الثلاثمائة نفقاتها على البحث والتطوير بنسبة 13 بالمائة عن نفقات عام1997، وإنفاق العرب على البحث والتطوير مستقر منذ سنوات عديدة على حوالي 750 مليون دولار في العام...لقد أصبحت ثورة الاتصالات وثورة الالكترونيات الحاسبات العمود الفقري لظاهرة العولمة وإن هذه التقنيات هي الأذرع التنفيذية للعولمة كما أنّ هذه التطورات الحاصلة في العالم اليوم لا تحدث أو تعمل على تحول من حقبة إلى حقبة وإنّها توجد عالما خاصا بها عالم العولمة بجميع جوانبه"

إنّ عصر العولمة هو عصر التقنية بصفة عامة وعصر تقنية الإعلام والاتصال بصفة خاصة، والتقدم العلمي والتكنولوجي الهائل الذي عرفه ويعرفه عالمنا المعاصر لا يسلم من كونه أداة تُستغل لممارسة الظلم والاستبداد والقهر وكل أنواع الاستغلال في جميع مجالات الحياة الثقافية والسياسية والاقتصادية والعسكرية والاجتماعية عامة، وعبّر عن هذا الوضع المرحوم محمد عابد الجابري بقوله:"إنّ تأثير الإنتاج السمعي البصري العابر للحدود في ثقافات بقية المناطق في العالم كان موضوع كتابات كثيرة اشتكت كلها من مخاطر انحلال

الشخصيات الثقافية لتلك المناطق المتأثرة وتسطيح التقاليد الثقافية العالمية". لأنّ "أي تقدم في التكنولوجيا لابد من أن ينطوي على زيادة قدرة الإنسان على تحقيق تفرده والتعبير عن نفسه، فلماذا تفترض أن من الممكن أن ينشأ تضاد أو تعارض بين التكنولوجيا والهوية أليست التكنولوجيا هي وسيلة تحقيق الهوية وطريقة التعبير عنها؟...أنّ التكنولوجيا يمكن أن تتحول بكل سهولة من أداة لخدمة الإنسان إلى أداة لقهره. إن هناك عد تفسيرات ممكنة لانطواء أي تقدم تكنولوجي على إمكانية القهر. هناك مثلا ما أشار إليه "لويس ممفورد" من أن الإنسان معرض دائما لأن يعتبر شيئا ما مرغوبا فيه لمجرد أنّه قد أصبح ممكنا...وقد يكون التفسير هو حاجة الإنسان الدفينة إلى إثبات تفوقه على غيره، فإذا به يحاول أن يستأثر دون غيره بالأدوات المتاحة (سواء أكانت سلاحا أم أداة إنتاج أم أداة من أدوات الاستهلاك) لمجرد الاستمتاع بتفوقه على غيره عن طريق قهره له...أيا كان السبب فإن من المؤكد أن التكنولوجيا الحديثة، أي ما طوره الإنسان من وسائل للإنتاج والاستهلاك خلال القرنين الماضيين وعلى الأخص نصف القرن الأخير، كانت تحمل خطر إخضاع الإنسان للقهر، وتهديدا لهويته وآدميته أكبر مما تعرض له الإنسان طوال تاريخه الطويل، إنّ إغراء الممكن تكنولوجيا، والظن بأنه لمجرد أنه قد أصبح ممكنا، هو أيضا مرغوب فيه، أكبر الآن، في ما يبدو من أي إغراء من النوع نفسه تعرض له الإنسان من قبل. كما أن خطر هذا الظن أكبر بكثير منه في أي وقت مضى، ذلك أن تطوير الإنسان لتكنولوجيا تتجاوز استعداداته وقدراته الطبيعية على التحمل، وتهدد توازنه المادي والنفسي، تزداد احتمالاته كلما زاد التطور التكنولوجي". وتزداد مع حجم تطور التقانة درجة حب السيطرة والتملك، وقوة السطوة ونماء شهوة الشهرة والرغبة في إخضاع الآخر وقهره، وهو السائد في جو العولمة.

هذا الاستعمال التقني المتطور باستمرار في الاتصال والإعلام في مجال الحياة الاقتصادية أو في ميدان الحياة السياسية والاجتماعية أوفي الجانب العسكري واللوجيستيقي أو في حقل الفكر والثقافة والبحث العلمي وإنتاج المعرفة العلمية وغيرها، اختزل المسافات الكبرى والأوقات الطويلة كما حوّل الطاقة إلى مادة يستغلها الإنسان المعاصر حيثما كان، فتغير حال المكان وتبدّل حال الزمان وتحوّل دور الطاقة ومجال استعمالها، والمؤكد أنّ المظهر الإعلامي والبعد الاتصالي في العولمة شرط لازم لكل مظاهرها وأبعادها وتداعياتها بل هو شرط وجودها وتحقيق نفوذها وهيمنتها ولولاه ما تجسدت إرادة هيمنة القوى الكبرى، فهو وراء الانفجار العلمي والتقني والثورة الصناعية وتطور وسائل وأساليب العمل والتأثير في الطبيعة وفي الفرد والمجتمع ووراء الازدهار الاقتصادي والتطور السياسي والاجتماعي والثقافي والعسكري وغيره، لأنّ أيّ ميدان من

الميادين المذكورة لا يمكنه أن يستقيم ويستقر ويزدهر في غياب تحكمه في مجال الإعلام والاتصال داخل هذا الميدان من جهة وبينه وبين الميادين الأخرى في المجتمع المتواجد فيه وخارج هذا المجتمع من جهة ثانية أي في الحياة عامة.

لا يختص كل من مجال الاتصال ومجال الإعلام بالحياة الثقافية والفكرية ويقتصر عليها، فهي إذا كانت مظهرا من مظاهر الحياة الإنسانية عامة، فحقل الإعلام والاتصال هو الآخر مظهر من مظاهر الحياة وبعد من أبعاد العولمة بل شرط وجودها ونفوذها وهيمنتها، لأنّ انتشار ثقافة العولمة والترويج لها، ثقافة الغرب والأمريكان، الفكر الليبرالي وثقافة الحداثة والتحديث وسائر قيّم ودلالات النظر والعمل والممارسة في الغرب الحديث والمعاصر، وتغلغل الفكر الليبرالي السياسي والنهج الديمقراطي في حياة الناس عبر كل مناطق العالم، وانتشار اقتصاد السوق فلسفة ونظاما وإنتاجا واستهلاكا وتجارة في كافة جهات المعمورة، وبسط النفوذ العسكري للمركز على كافة الأطراف وفي كل جهات الأرض، كل هذا من صنيع التطور والازدهار الذي عرفته تقنيات وأساليب ووسائل الاتصال والإعلام، بالإضافة إلى ما حققته هذه التقنية من تطور وازدهار في جانب نقل الأخبار وبثها والدعاية والإشهار، وفي تقديم أنشطة التسلية والترفيه واللهو واللعب وكافة أنشطة المتعة والراحة، حتى أن الإنسان غرق في بحر قطاع الإعلام والمعلوماتية، لما فيه من تنوع هائل في أجهزة البث والإرسال، وتعدد كبير في قنوات التواصل الإذاعي والتليفزيوني والمحطات والأقمار الاصطناعية وغيرها، كما يشهد القطاع الإعلامي ظاهرة التخصص الضيق، مما زاد في تطويره وتوسيعه، فهناك الإعلام السياسي والاقتصادي والرياضي والخاص بالمرأة وبالطفل وبالصحة وبغيرها.

أصبحت في هذا الجو الصورة الإعلامية أكثر وقعا على المشاهد من غيرها، لما تضعه من تعدد في البدائل للاختيار، ولما تسمح به من تقليص المسافات الزمنية والمكانية بين سكان المعمورة، فالعالم بات قرية صغيرة ومؤسسة تديرها الأمركة وتقدم صورتها العولمة الإعلامية، لكن الصورة الإعلامية المنقولة إلينا بأي وسيلة كانت فإنها تترك فجوات وآثار على حياتنا هذه الفجوات والآثار مرتبطة بالمرسل والمرسل إليه، ففجوة الصورة "التي تظهر على الشاشة والصورة التي يتلقاها المشاهدون في مقامات مختلفة كما يقول "امبرتوإيكو" فالرسالة التلفازية رسالة هدفها تحقيق إغلاق إيديولوجي يتعلق بمقصدية المرسل الذي يسعى إلى أن نرى العالم من خلال أعين السلطة وعندما يطلب ذلك، فأن المطلوب منا أن نؤمن بدون جدال بأننا نرى الواقع الموضوعي الذي يماثل الحقيقة الرسمية للسلطة...فالفضاء الصوري التلفازي فضاء استبدال يعمل على استبدال صورنا الشخصية عن العالم والمتولدة داخليا بالصورة

المتجسدة لنا بواسطة وسائل الصور المتحركة فحين تشاهد التلفاز تكون جميع قدراتك العقلية لتكوين الصورة ساكنة هاجعة مغمورة بالصورة التلفازية على نحو مؤثر بينك وبين الصورة الشخصية، يستبدل نفسه، أي يحل محل غيره، حسبما يشير "جيري ماندر". وتزداد خطورة ذلك دعائيا في أن فضاءات الصور التي تختزن في ذاكرة المتلقي لعن أحداث في أماكن لم يشاهدها ولن يصلها منقاة من الصور التلفازية وبالتالي فإن سلوكه أو مواقفه اللاحقة مبنية إيديولوجيا على خزينة من هذه الفضاءات الصورية". ولما كانت الشركات الإعلامية العالمية المتعددة الجنسيات تشرف على التسويق والاتجار بالصور التلفازية، تكون الصور بالضرورة موظفة في الأداء والمردود والتأثير حسب التوجهات الإيديولوجية وسائر انتماءات أصحاب الشركات المتعددة الجنسيات، فشبكة CNN الأمريكية على سبيل المثال لا الحصر حسب خطابها الإيديولوجي تعمل على أمركة العالم، ولا تقدم إلاّ ما يخدم مصالح الأمركة المتصهينة، مثل تعتيمها الإعلامي في نقل أحداث حرب الخليج الأولى والثانية، ومثل التعتيم الإعلامي عما يجري في حرب أفغانستان، ولا تنقل من صور الأحداث والوقائع إلاّ ما يروق للأمريكيين قادة وغيرهم، كما تنقل كل الصور عن العمليات الفدائية التي ينفذها المقاومون في فلسطين وفي العراق وفي غيره، ولا تنقل البتة صور الجرائم التي يرتكبها الصهاينة في الأراضي الفلسطينية المحتلة، والتي ارتكبها ويرتكبها هؤلاء في غزّة وفي العراق، وفي حق المدنيين العزل، وفي حق النساء والأطفال والشيوخ، وقد نجد من الباحثين في العالم العربي من يشيد بدور شبكة CNNوبثقة الناس بها، فهذا صاحب كتاب "الإعلام الدولي والعولمة الجديدة" يقول:"لقد تميزتCNN باختراقها للبث الإذاعي والتليفزيوني العالمي بسرعة إلى درجة أنّها حصلت على ثقة العالم وكانت هي الشبكة الوحيدة المعتمدة في تغطية أخبار حروب الخليج سواء من أمريكا وحلفائها أو من القادة العراقيين، وكانت لها نشاطات واسعة في الصين وغطت أحداثا هامة هناك مما حدا بالحكومة الصينية في طلب وقف نقلها لأخبار الصين وذلك عندما قامت شبكة CNN بتغطية أحداث الميدان في الصين على الهواء مما أثار حفيظة الحكومة الصينية". والحقيقة أن الاختراق الإعلامي العالمي للشبكة لا يعود البتة إلى موضوعيتها أو حرفيتها العالية بل إلى احتكارها لتقنية الإعلام والاتصال المتطورة على الأرض وفي الفضاء، وبالتالي احتكارها لنقل الصورة الإعلامية، ولم تحظى مطلقا بثقة العالم بل حظيت بثقة خمس العالم الذي يعيش في العالم المتقدم وينعم بأكثر من 80 بالمائة من الناتج الاقتصادي الإجمالي العالمي، أما باقي شعوب العالم فلم تلق منها ومازالت سوى التعتيم الإعلامي ونشر إيديولوجيا الغرب الأمريكي والترويج

لسياسة العولمة ومساندة سياسة الحلف الأطلسي والجيش الأمريكي الذي يزداد قهره للشعوب يوما بعد يوم.

ومن جانب آخر فإنّه منذ ابتكار الوسائل والأجهزة السمعية البصرية وتطورها وازدهارها إلى اليوم والمعركة تدور رحاها بين الفكر والعقل والنخبة من جهة وبين الصورة والصوت والجماهير من جهة ثانية، وإذا كانت "ثقافة الصورة هي ثقافة الجمهور أو العمود الفقري للثقافة الجماهيرية، كما أنها ثقافة الوجدان والانفعال والغرائز. ومبدئيا نقول إنّ ثقافة الكلمة هي امتداد للاستدلال العقلي، وإنّ ثقافة الصورة امتداد للإدراك البصري...الصورة هي الغاية والمنتهى، هي البديل عن العالة أو القائم مقام العالم العيني، بل إن الصورة توهمنا بأنها هي الواقع العيني، هذا العالم بخدعة خادع، هو الذي ينتقل إلينا في بيوتنا...ولا تكتفي الصورة بأن توحي لنا بأنّها هي الواقع الحق...بل إنها على المستوى المعرفي تخدعنا عندما توحي لنا بأنها هي العلم عينه والمعرفة عينها والثقافة ذاتها...أما الكلمة فهي تنتمي وجوديا ومعرفيا إلى نظام آخر. الكلمة على العموم أداة ووسيلة أو رمز دال، وهذا الدال عند تآلفه مع مجموعة دوال أخرى يطلق في ذهننا آلية التفكير: أي آلة مقارنة وحكم واستخلاص، ولنقل آلية تأويل...يكون وقع الصورة أقوى من وقع الكلمات". تراجعت ثقافة الكلمة وتنامت وتعاظمت ثقافة الصورة المسموعة والمرئية، وأقبلت المؤسسات الإعلامية الأمريكية والغربية على فرض الثقافة الليبرالية والنموذج الثقافي والاقتصادي والسياسي الأمريكي على العالم، باستخدام آلية الصورة السمعية البصرية، والحرص على نشر ثقافة الاستهلاك الواسع لما هو ثقافي ولما هو مادي، ومن وراء ذلك تمرير نمط العيش الأمريكي ونقله إلى كافة شعوب العالم، على أنّه النمط الوحيد الذي يلبي كافة حاجات ومطالب الإنسان.

كان لجانب الدعاية والإشهار الأثر البارز في التعريف بالعولمة وبمظاهرها وأبعادها وآثارها وتداعياتها المختلفة السلبية والإيجابية، والتعريف بالشعوب وبثقافاتها وبتراثها وتاريخها وأفكارها وأنماط عيشها، والتعريف بجغرافيا العالم وبأفلاكه وما في ذلك من تنوع واتساع، والتعريف بالتطور الحاصل وباستمرار في جميع مجالات الحياة، كل هذا يصدر عن تقنية الإعلام والاتصال التي هي بحوزة المركز ينتجها ويديرها بحسب مصالحه وتطلعاته وبحسب توجه العولمة لديه من دون اعتبار مصالح وحاجات الأطراف، والمظهر الإعلامي الاتصالي يصب في تعميم تكنولوجيا الإعلام والاتصال، وتعميم الأنماط الثقافية للمركز عن طريق وسائل الإعلام وبواسطة وسائط وأدوات الاتصال، من خلال المظاهر السابقة الفكرية والسياسية والاقتصادية وغيرها، خاصة بعد انهيار المنظومة الاشتراكية وغياب بديل حقيقي عملي عن الفكر الليبرالي، أما المظهر العسكري

فلا وجود لوضع مختلف عما هو عليه، أما المظهر الإعلامي فالأمر فيه يختلف وصعب لأن التوحيد ممكن على المستوى السياسي والاقتصادي والعسكري بينما التنوع الثقافي والتعدد الفكري مستمر غير قابل للتوحيد، فلكل مجتمع تراثه يوجهه وثقافته تحكمه وتحدد سلوكه، ولا تسمح له بالانخراط في فضاء ثقافي آخر والاندماج والذوبان فيه كليا ووفقا لما يجري في الحياة السياسية والاقتصادية والعسكرية، لأنّ الكثير من شعوب العالم التي تعرّضت ومازالت تتعرّض لمحاولات الاختراق الثقافي، لكن هذه المحاولات باءت بالفشل وزادت تلك الشعوب تمسكا وارتباطا بانتماءاتها الثقافية والتاريخية والحضارية.

يقدم العالم، وهو يتأهب للدخول في الألف الثالث، مجموعة هائلة من التحوّلات الكبرى التاريخية، في مختلف المجالات العسكرية والسياسية والاقتصادية والثقافية، تفوق التوقع واحياناً الخيال. وتفرز هذه التحولات نسقاً من التغيير يستلزم، كما هو ملاحظ، إعادة النظر الشاملة في عدد كبير من المفاهيم والأفكار والمعاني والقيم التي رسخت في الذهن البشري ولأزمان طويلة.

وتكاد تبرز هذه المتغيرات الجذرية في النسق الجديد الذي يتخذه الفكر الستراتيجي العسكري المتلازم في التوجه والمضمون مع حقائق السياسة الدولية. "وإذا كانت المحصلة المنطقية لهذا التلازم بين المتغيرات السياسية و الستراتيجية، انبثاق علم الستراتيجية الدولية"الذي كان يُعتبر جديداً في تأهيل مفاهيمه ونظرياته، وتحديد المرتكزات التي تبنى عليها اقتراحاته وتوقعاته، وبلورة التصورات التي تتحدد في إطارها قضايا الحرب والسلم، فإنه علم يتجه إلى غربلة مجمل هذه المفاهيم على وقع الظاهرة الكبرى التي تؤطر مجمل هذه التصورات في إطارها الكوني "المعروف بالعولمة."

وتُعبر العولمة التي شاع استخدامها في السنوات العشر الأخيرة، عن هذا التحول الكوني الجديد والصاخب الذي سينهي العمل في الكثير من التصورات والمعارف التي انجبتها لحظات تاريخية مختلفة منصرمة، ويفترض أن تجري مراجعة شاملة لرصيد هائل من المعتقدات التي دانت بهاالبشرية منذ ميلاد الدولة الحديثة قبل قرون خلت. وسيكون ثمة متسع من التفكير لتنمية اسئلة عن المرحلة من نوع جديد. وأول تلك الأسئلة جميعاً، السؤال عمّا إذا كان العالم قد ولج حقاً حقبةً نوعية من التطور تمثّل قطيعة مع سابقاتها على صعيد المناهج، والبرامج، والآليات، والمؤسسات ... الخ. وربّما تناسلت من هذا السؤال حول العولمة اسئلة فرعية عن مصير السيادة، والدولة الوطنية، والاقتصاد الوطني، والثقافة القومية ... وسائر ما يتّصل بالهوية وبالشخصية الوطنية والقومية لمجتمع من المجتمعات المغلوبة في ميادين المنافسة العالمية العلمية والتقنية والاقتصادية، مثل المجتمع العربي المعاصر.

وتفترض هذه الشمولية للعولمة، كإطار قابل لصياغة مجمل هذه الإسئلة المتفرعة، مبالغةً أو تهويلاً يجعلنا نتصور ونردد كل يوم "أننا على أعقاب ولوج عالم جديد هو في حساب التحليل العلمي محض فرضية تحتاج إلى إثبات حتى تستقر حقيقةً". نعم فرضية لأن الإتساع في تناول العولمة وأصلها وتعميمها أو تعميم ما قد ينتج منها أمر غير مستقر علميّاً، وهنا إقرار على عدم وضوح العولمة والإحاطة النظرية والعملية بها، خصوصاً أنها "ما زالت في طور التكوين والتبلور... وغير مكتملة الملامح والنتائج" .

ماذا نعني بالتهويل؟ هل أنه من صلب الظاهرة فتغدو وهماً ومخيفةً أم أنها حقيقة تضغط على الأفكار؟ أليس من المبكر الإطمئنان إلى أننا على أبواب عالم جديد ينهي مجالات السيادة والوطن على المستويات السياسية والاقتصادية والثقافية؟ هل هو نوع من تجاوز قطوع الألفين، أم أن العولمة من محصلات الدولة القومية عند لحظة من لحظات تضخم قوّتها وفيضها على العالم من حولها كما يظهر في المثال الأميركي.

إنه هذا وذاك . فبالإضافة إلى الخروج من الثنائية في العالم إلى حد كبير إلى أميركا كقوة عظمى تكاد تكون وحيدة كما نرى، هناك مسألة أن العولمة لا تتجاوز الفكرة الجديدة من ضمن مجموعات افكار تبرز وتذوي على أنها فكرة مطبوعة بطابع يكاد يتّسم بالخرافة. كيف؟

يفترض اللاوعي الجماعي البشري توحداً لولوج المخاطر، لأنه نوعاً من تذليل المجهول منها. وإذا كانت البشرية قد خطت أو قفزت على مستوى الثورات التكنولوجية قفزات نوعية، وخصوصاً في مجالي الاتصالات، جعلت الإنسان يُعيد النظر فيها أحياناً كثيرة، أو أنها غذّت خياله فجنح بإختراعاته نحو تشغيل لاوعيه في أعمال فنّية رائعة (أفلام وكتابات حول سيطرة الآلة على مخترعها وتمرّدها عليه) أعادت توازنه إليه، فأن غزو الفضاء والأسلحة النووية وعالم المعلومات جعل نوعاً من الذعر والجنوح نحو الأساطير يكتنف الفكر البشري بالمعنى الفلسفي على الأقل.

وساعد أن هذه التداعيات والمتغيرات جاءت قوية ومفاجئة مما منحها لوناً أسطورياً أو خرافياً عاد يستيقظ في أذهان العامة، وخصوصاً في البلدان غير المتقدمة. في تعليقات مثل أننا في "آخر الدنيا"، وهذه "نهاية الكون" أو "تؤلّف ولا تؤلّفان". أي أن الدنيا لن تتعدى العام ألفين حيث "صراع الحضارات" و "نهاية العالم" و "حكومة العالم".

هل "يتعولم" الكون ليتمكّن البشر من تجاوز عتبة الألفين؟

ربما يبدو الاستنتاج الإيجابي مقبولاً، خصوصاً إذا عرفنا أن عالماً مشابهاً ساد البشرية مع وصولها إلى نهاية الألف الأول ، فرضت نوعاً من التهيب الفلسفي الذي يفترض في اللاوعي الجماعي نوعاً من إعادة النظر في التساوق الزمني الرتيب(ماضٍ، حاضر، مستقبل) الذي ابتدعه اليونان. وما الخرافة في الرقم الحافة أو الرقم المدّور chiffre rond إلاّ خيال ألصقه الإنسان به وراح يتفاعل معه نفسياً.

لذا يحمل الكلام عن العولمة شيئاً من المبالغة والخوف من المستقبل وأعاصير التغيير المنتظرة، ويجوز القول إفتراضاً أن أفكاراً مهتزّة تفصح عن صعوبة في اجتياز عتبة الألفين بالمعنى النفسي. إنها المشاعر التي تصاحب البشرية عندما تودع سنة لتستقبل سنة جديدة مضاعفة بعض الشيء بالطبع. أليست هي مظهر من مظاهر العولمة بالمعنى الإجتماعي؟

وتصبح العولمة في الإطار الواقعي الآخر المجتمع الليبرالي الوحيد حيث " نهاية التاريخ والإنسان الأخير" . (الأميركي بالطبع) الذي يستهويه أن يجد نظامه الاقتصادي ودولته يرتفعان فجأة إلى مصاف الكمال التاريخي، أو أنهما يجسدان الاختيار الوحيد المتبقي أمام الإنسانية جمعاء ... "وكلما اقتربت الإنسانية من نهاية الألف الثاني فإنه يلاحظ أن إيديولوجية عالمية واحدة محتملة ذات طابع شمولي هي الديمقراطية الليبرالية، عقيدة الحرية الفردية والسيادة الشعبية..." .

وإذا كانت الكتل الاجتماعية الكبرى أو التكتلات البشرية عبر التاريخ نتائج حتمية لشبكات من الروابط السياسية والاقتصادية والدينية، فإنه من قبيل الخرافة تصور العالم موضوعياً يتّجه نحو هذه الأشكال الواحدة وبشكل نهائي. وإذا كان للدين حظوظ وافرة عبر التاريخ في تكتيل البشر وتوحّدهم حول حظوظ واحدة، مما ترك آثاراً فعالة على تحديد مسارات الدول والحضارات، فإن للسياسة أيضاً كما للاقتصاد النتائج نفسها، وكلها مجتمعة أسباب أساسية على تراجع وتنام في قوتها ستمثل ما يعرف بالعولمة على أن الاقتصاد مرهون في أشكاله المختلَفة بالمعلومات أو التقنيات الهائلة في وسائط الاتصال التي تشكّل التعريف الأوسع للاقتصاد الراهن، وعبره يبدو الإعلام كصيغة إخبارية عنواناً بارزاً للقرن المقبل.

مقاربة العولمة وتجلياتها

هناك اعتراف بصعوبة إيجاد تعريف شامل للعولمة كونها ظاهرة منتشرة على مستوى العالم، وتكاد تجمع البشر في مواقف وسلوك استهلاكي متقارب. إنها ظاهرة تنسج مزيجاً غير محدود من العلاقات بين مستويات متعددة في التحليل والاقتصاد والثقافة والإيديولوجيا "وتشمل إعادة تنظيم الإنتاج وتداخل الصناعات

عبر الحدود بين الدول، وانتشار أسواق التمويل، وفلش الأسواق المتخمة بالسلع الاستهلاكية المتشابهة لدول العالم".

وإذا كانت البشرية قد تعولمت وفق أنساق من القيم والأفكار الكبرى وفي مظاهر تمثل تجليات العولمة كعولمة ليست جديدة على الإطلاق، فإن العولمة كمفهوم أخذت حدودها وانخرطت في مجالات العلوم الاجتماعية واعتبرت عملية مستمرة يمكن ملامستها والتعرف إلى مؤشراتها بشكل نوعي وآني في مجالات الإعلام والاتصال كما في مجالات السياسة والاقتصاد.

وإذا كانت العولمة كمفهوم قد قفزت إلى أدبيات العصر وجامعات العالم بحيث تبدو مصطلحاً مرناً شديد الاتساع والتوصيف، لم يستقر على ملامح محددة، نفهم معنى التناقض في تناول ما يحصل بالنسبة لمجمل المفاهيم غير المتكاملة في النهج. فنحن كباحثين ومثقفين وسياسيين، ومن مختلف الدول، ما زلنا في مرحلة فهم ظاهرة العولمة واستكشاف القوانين الخفية التي تحكم مسيرتها، والتي تسهم في الوقت الراهن في تشكيلها".هكذا تعاملنا أساساً مع حزمة واسعة من المفاهيم الستراتيجية وغيرها من المفاهيم التي شغلت الجامعيين والفكر البشري من قبل مثل الحداثة أو ما بعد الحداثة والتحديث والديمقراطية والوجودية والحرية والعديد من الفلسفات والافكار التي مضت وكنا لا نزال في حال من النقاش حولها.

في ضوء ما تقدم نستطيع تفسير التضارب بين من يهاجم العولمة ويدينها ويدعو إلى محاربتها لأنها وجه آخر "للفكر" الامبريالي.حيث تبدو "العقيدة الجامعة من أجل النظام العالمي الجديد الذي يكتسح العالم" أو أنها "ظاهرة مخيفة حقيقية تفسد الأدمغة في الدنيا"، وبين من يراها مسألة محسومة لا تدعو إلى القلق، تؤدي إلى مساندة الدول والشعوب الفقيرة النامية وتخلق فرصاً جديدة للعمل فتحد بالتالي من الأزمات الاقتصادية وفي رأسها البطالة والحاجة.

وإذا تساءلنا عن الاسباب التي أدت إلى بروز العولمة الحاد في هذا العصر وربطناه بمصير القوميات ومفاهيم الاستقلال الذاتي للدول والخصوصيات الثقافية ومعنى زيادة التجانس بين الشعوب أو تعميق الفوارق وأوجه التباين بينها، نفهم معنى القلق الذي ينتاب الفكر من جراء شيوع العولمة كمفهوم أو ملامح احادية التوجه والأبعاد.

إن مقاربة التعريف المحيط بالعولمة تفترض تقديم ملامح أساسية كبرى تكشف عن جوهرها أولها وأوسعها مشاعية المعلومات عبر وسائل الاتصال الهائلة السرعة في تطورها، ويرتبط به المسألة الثانية المرتبطة بازالة الفواصل المصطنعة بين الدول والشعوب، مما يؤول إلى العملية الثالثة التي تدفع باضطراد

في طبع الزمان والمكان البشري بازدياد ملفت لهامش التشابه بين الجماعات البشرية والمجتمعات والمؤسسات.

سنقتصر من مئات التعريفات التي وقعنا عليها على ثلاثة منها تكاد تطال ما نحن في صدده من تجليت للعولمة:

-انها التفاعل الاقتصادي المتنامي لمجموع دول العالم الناتج من تزايد حجم تبادل البضائع والخدمات والرساميل وتنوع التعامل عبر الحدود، ويرافق ذلك انتشار واسع ومتنوع للتكنولوجيا الإعلامية.
-العولمة هي وصول نمط الإنتاج الرأسمالي عند منتصف هذا القرن تقريباً، إلى نقطة الانتقال من عامية دائرة التبادل والتوزيع والسوق والتجارة والتداول، إلى عالمية دائرة الإنتاج، واعادة الإنتاج ذاتها. إن ظاهرة العولمة هي بداية عولمة الإنتاج الرأسمالية ... ونشرها في كل مكان مناسب وملائم خارج مجتمعات المركز الأصلي (الولايات المتحدة) ودوله. العولمة بهذا المعنى هي رسملة العالم على مستوى العمق ... إنها حقبة التحول الرأسمالي العميق للإنسانية جمعاء في ظل هيمنة دول المركز وبقيادتها وتحت سيطرتها وفي ظل سيادة نظام عالمي للتبادل غير المتكافئ".
-لا يمكن فهم العولمة وتحديدها بتدويل الاقتصاديات الوطنية الكبرى وتجديد الرأسماليـة، وتقدم النظرة الليبرالية في الاقتصاد والسياسة إلا بفهم ثورة العلم والمعرفة وانفجار تكنولوجيا الإعلام والاتصال الذي يدفع إلى عملية التدويل القسرية ويمنح هذه العولمة تجلياتها الملموسة..

أدوات العولمة

وفق هذه التجليات الثلاثة التي أبرزت في محاولة تأخير العولمة المتمثلة بالسياسة والإيديولوجيا والاقتصاد وتقنيات الإعلام كعناوين كبرى تتناقض أحياناً بين مختلف المدارس والاتجاهات الاقتصادية والسياسية والإعلامية، إلا أنها تعود فتلتقي حول مقولة واحدة تشكل ما يعرف بالعولمة.

على أن التجليات التفصيلية للعولمة تبدو في سهولة وسرعة انتقال البشر والسلع والمعلومات بين الدول ذات الحدود المتساقطة وعلى النطاق الكوني. وإذا كانت الشمولية هي صفة ما يتنقل في أنحاء المعمورة بحيث أنه يطال كل شيء ويصعب حصره، إلا أن "روزناو"جعل هذه المواد والنشاطات المتنقلة في ست فئات أساسية:

- الافراد.
- البضائع والخدمات.

- الأفكار والمعلومات.
- الأموال والنقود.
- المؤسسات وخصوصاً النتعددة الجنسيات.
- الاشكال من السلوك والتطبيقات الثقافية العائدة لها.

وتتمحور هذه الفئات والمجموعات التفصيلية التي تشكل مادة الحركة لما يسمى بالعولمة عبر ادوات معروفة تقليدية منها:

- الدول السبع الكبرى بقيادة الولايات المتحدة الاميركية.
- المؤسسات النقدية العالمية الخاصة.
- صندوق النقد الدولي.
- البنك الدولي للإنشاء والتعمير.
- منظمة التجارة العالمية.
- الشركات العملاقة المتعددة الجنسيات.

وإذا كانت مجمل هذه الأدوات التي تشكل عصر العولمة ليست جديدة، فإن عصر العولمة يصبح متنقلاً من عصر إلى آخر حيث يصح القول(20)أننا في مرحلة ماضية كنا نعيش في إطار السلام البريطاني، وفي مرحلة أخرى كنا في إطار عولمة السلام الفرنسي ثم الالماني ثم سلام التحالفات البريطانية - الفرنسية، وبعدها كانت عولمة الحرب الباردة بين الولايات المتحدة الأميركية والاتحاد السوفياتي، وثمة الآن عولمة من نوع مختلف لكنها استمرار أكثر توسعاً لما سبق وعرفته البشرية من حيث التوجهات الرئيسية.

يقابل هذه النظرة التبسيطية والواقعية في آن إلى العولمة التي تؤكد على وجود قطب مركزي واحد متحكم بالعالم، نظرة أخرى تنفي المركزية وترى أن هذه المسألة تعني العالم غير المحدد.

في الاقتصاد والمال

ولعل أوضح الإشارات إلى العولمة على أنها قطب واحد متحكم هو الرأسمالية الأميركية من دون أن يكون هناك أي إثبات واضح لأن العولمة تعني انتفاء سيادة الدول، هي جواب وزير مالية أميركا روبرت روبن على رئيس حكومة ماليزيا مهاتير محمد: فخلال الاجتماع السنوي لمجلس المصرف الدولي وممثلي صندوق النقد الدولي في هونغ كونغ، هاجم مهاتير محمد العولمة والانحدار الأخلاقي العائد للمضاربة في أسواق المال ومصير الاسهم المالية، وركّز هجومه على هذه الضبابية الهائلة في المضاربة التي كانت وراء الأزمات المالية التي اهتزت وعانت منها بلدان جنوبي وشرقي آسيا، ثم انتقد قوى العولمة الكبرى لإجبارها بعض البلدان الآسيوية على فتح أسواقها للمتاجرين بالعملات

والأسهم والسندات بهدف تدمير اقتصادياتها وامكاناتها التناسقية في الأسواق العالمية. ولقد تضمن الردّ الأميركي لوزير ماليتها ما يلي:

اعذرني يا محمد. ولكن على أي كوكب أنت تعيش؟ انك تتكلم عن المشاركة في العولمة كأن ذلك يتضمن خياراً متاحاً لك. فالعولمة ليست خياراً وإنما حقيقة واقعة. يوجد اليوم سوق عولمة واحدة والطريقة الوحيدة الممكن أن تنمو فيها هي اللجوء إلى أسواق السندات والأسهم للحصول على الاستثمارات وبيع ما تنتجه مصانعك في أسواق العولمة التجارية. كما أن أهم حقيقة حول العولمة هي أن لا أحد يسيطر أيها الأبله. أسواق العولمة تشبه الإنترنت . . . لا يوجد أحد في مركز السيطرة، لا أميركا ولا القوى الكبر ولا أنا.

ويعتبر سوق العولمة اليوم عبارة عن قطيع الكتروني من متاجرين مجهولين بالعملات والأسهم والسندات وكل ما خطر لهم يجلسون وراء أجهزة الكومبيوتر... وهم لا يعترفون بالظروف الخاصة لأية دولة . . . وإنما بقواعدهم فقط، وهي منسقة إلى حدٍّ بعيد. انهم يحددون نسبة الادخار، والتي يفترض أن تحققها دولتك، ومستوى عجز ميزان المدفوعات التجاري.

ويرعى هذا القطيع في 180 دولة في العالم، لذا لا وقت لديه كافياً لأن ينظر إلى مواقفك وأحكامك ومخاوفك بالتفصيل. إنه يتوصل إلى أحكامه بصورة خاطفة جداً عما كنت تعيش استناداً إلى قواعده ونظمه ليس إلا.

في السياسة:

هذا التناقض في النظرة إلى العولمة من زواياها الاقتصادية المختلفة ينعكس بالطبع على سياسة دول العالم إذ نجد منظومة كبرى من الدول تدخل عصر العمولة أو تقر بأنها دخلته فعلاً وتشير إليه وكأنه القدر. وتسعى هذه للسيطرة على التطورات الاقتصادية الحالية في البلدان النامية، وتبدو الشركات الاقتصادية الكبرى تهمش دور الدول بالمعنى السياسي وتفرض قراراتها على الاقتصاد الوطني. فالاقتصاد أصبح سيد السياسة في العالم، وستبرز نتائجه بشكل هائل بعد سنين من الآن عندما تدخل الأسواق العالمية المنافسة الحرة، خصوصاً وأن عدداً هائلاً من الاتفاقات التجارية الإقليمية والعالمية وفي رأسها "الغات" ومناطق التبادل التجاري الحر ستطبع السنوات المقبلة وتحكم السيطرة على الاقتصاد الدولي والتجارة العالمية.

هناك شركات عالمية تقعد مقابل الدول في الترتيبات الاقتصادية وتوسم العصر بحاجة ماسة خلقتها لضرورة نمو الدول واستمرارها ونعني بها التخصصية. إنها شركات عابرة القارات، ويفوق نفوذها نفوذ الدولة ولها أسواقها الخاصة الممتدة وأمنها وقوانينها الخاصة.

بهذا المعنى نفهم كيف أن الأوروبيين وخصوصاً الفرنسيين منهم ينعتون العولمة بأنها "أمركة" العالم بينما يصر الأميركيون على أنها النظام العالمي الجديد. وإذا كان النظام السائد هو نظام السوق الذي يروج له على أنه المؤهل لقيام الأنظمة السياسية والاجتماعية وليس العكس "أي تحكم السياسة بالاقتصاد والنظم الاجتماعية، فإن الواقع الحاصل يبرز غلبة الملامح الاقتصادية عن طريق الازدياد في التحرير الاقتصادي، ورفع القيود الجمركية وغيرها عن السلع المحلية والبضائع والأيدي العاملة والأسواق المالية، مع انخفاض حضور وحصص القطاع العام في الإنتاج. وبهذا المعنى نشهد تهافتاً من الدول النامية على دفع عجلة الإصلاحات وتأهيل البنى التحتية، وتشجيع المؤسسات القائمة على السوق، المواكبة التحول الاقتصادي الموجه مركزياً نحو النظام السوقي.كما تشهد سياسة هذه البلدان إعادة نظر شاملة وتسارعاً لعمليات الانفتاح على التجارة الدولية وفق إصلاحات تبدأ من أسواق العمل حتى آخر مرافق الدول وإداراتها.

في الصحافة

إذا كانت العولمة في سماتها الأميركية قد طبعت العالم بمظاهرها في مجمل وقائع الحياة، إلى درجة أن قارةً مثل اوروبا صرخت بالفرنسية لوقف "الأمركة"، وأقصى هذه الصرخات تلك التي أطلقها وزير الثقافة الفرنسية جاك لانغ في المكسيك في المؤتمر العالمي للإونيسكو بقوله: اتحدي يا ثقافات الدنيا ضد الغزو الأميركي الثقافي.

إذا كان هذا موقف فرنسا، فلا عجب أن نجد حذراً وإدانة لمظاهر الثقافة من قبل العديد من أنظمة العالم وخصوصاً في بلدان العالم النامي حيال إقبال أجيالها على هذه الملامح الجديدة التي تكسح ثقافة المجتمعات في الغناء والموسيقى والأطعمة الأميركية.

فالعالم كله "يستهلك الثقافة الأميركية، وحتى أن أعداء أميركا يلبسون الجينز، ويأكلون الهمبرغر، وأصناف الفاست فود والتشيبس، ويشربون الكوك والمِلْك" (الحليب) ويدخّنون المارلبورو، ويرقصون على أنغام الجاز والروك اند رول والسالسا ثم يتسمّرون أمام شاشات الـ سي إن إن التلفزيونية والسينما لمشاهدة الأفلام الأميركية والتمثل بها وتقليدها في المظهر والسلوك.

هكذا تبدو ملامح الدنيا مع نهاية هذا العصر "تتماهى" مع تفاصيل الحياة والثقافة الأميركيتين.

ولا يعني التماهي أو التماثل ردة الفعل الوحيدة تجاه أي جديد مستورد يخترق مكونات الثقافة عند أي شعب من شعوب العالم، بل هناك الرفض القاطع وعدم القبول بكل مظاهر العولمة. ولا نرى من جديد في ردود فعل الشعوب تجاه

العولمة، كونها تنحصر وتنقسم وتتصارع كما كان يحصل بالنسبة لمجمل الأفكار في ثلاثة تيارات:

1. الاندماجي المشجع والمتحمّس إلى المزيد من الانفتاح.
2. الانسحابي الرافض والمتشبّث بالهويات الوطنية والثقافية والذي يوصم شبكات وإفرازات العولمة، كما غيرها من قبل، داعياً إلى التمسك بالقيم والهوية حيال المشاريع التي لا تبرأ من الأصابع الصهيونية التي توحي بالشرق أوسطية في "عملية التسوية التي كانت تهدف إلى استبدال هوية المنطقة العربية - الإسلامية مثلاً بأخرى جغرافية تضم بلدان الشرق الأوسط بما فيها اسرائيل"
3. التوفيقي هو الذي يحاول جمع التيارين السابقين فيأخذ من هذا وذاك وفق ما يخدم مصالحه وتطلعاته، وهو من أسوأ انواع الفكر بالمعنى الفلسفي. وتكاد تغرق مجمل المجتمعات العربية في المجال التوفيقي حيث تستهلك الغرب ويلبسها الغرب لكنها لا تهادنه في المجالات الفكرية ومسائل حق تقرير الشعوب لمصائرها.

ولو أردنا أن نخلص من الكلام عن هذه التيارات الثلاثـة لقلنا إن الإعلام هو العنصر الطاغي الذي حمل مجمل ملامح ما يسمّى بالعولمة، وتبدو الثقافة والسياسة والمال وتجارات النفط تعبر الحدود والقارات عبر شبكات الصور المتلفزة والإنترنت وغيرها من التقنيات الاتصالية وتقنيات المعلومات. وتنتج أميركا في هذا المجال الإعلامي مجمل المنتوجات الإعلامية التي تغزو العالم بالصوت والصورة والحركة واللون، ويشاهدها سكان الأرض بفضل قوتها وامتدادها العالمي الواسع الانتشار.

في العولمة والإعلام

يعتبر الخبر أو النبأ صورة ناطقة لحدث معّن في زمان ومكان معينين يكتمل في إجاباته على الأسئلة الستّة المعروفة التي تشكّل مقّوماته: من؟ ماذا؟ متى؟ أين؟ لماذا؟ وكيف؟

والخبر الذي يمثّل البنية الأولى لعلوم الإعلام يرد في الإنكليزية News حاملاً بذور العولمة وملامحها الرئيسية حيث تعني الكلمة اختصاراً لوجهات الكرة الأرضية الأربع:

Nوتعني الشمال North ، Eوتعني الشرق East ، Wوتعني الغرب West ، Sوتعني الجنوب.South

لسنا في حاجة ، انطلاقاً من هذه البنية الإعلامية، إلى التأكيد أننا في صدد ثورة تكنولوجية عارمة وخصوصاً في مجال الإعلام، تحدث تغييرات جذرية

وبمعدلات متسارعة لم يشهدها المجتمع من قبل وذلك على جميع المستويات السياسية والاقتصادية والتربوية والثقافية وحتى العسكرية منها.

وبفضل التقنيات الإعلامية لم يعد ينظر إلى التكنولوجيا على أنها مجرد أدوات ووسائل معزولة عن سياقها الاجتماعي والبيئي، ومقطوعة الصلة بالقيم الأخلاقية، وكما كان يحصل تقليدياً، بل ينظر إليها على أنها وسيلة تنتج أدوات ومفاهيم وقيماً تعمل على حل مشاكل الإنسانية في أوقات السلم والحرب. وهذا ما يمنح الإعلام صفة الحتمية التاريخية التي تحمل التقدم والتغير المستمرين بشكل مستقل عن المجتمعات والدول التي تبدو عاجزة أحياناً كثيرة عن توجيهه أو إبطائه أو توقيفه. وتصبح مقاييس تطور المجتمعات في مدى تبعيتها وتكلفها مع المتغيرات التكنولوجية والإعلامية التي تفرزها آليات المجتمع الدولي

وهكذا تبدو البشرية، بالمعنى الإعلامي، تجتاز معبراً مفصلياً يؤدي إلى الانخراط في العولمة. فمن التكنولوجيا التي كانت تطبق المعرفة وتتقولب معها، إلى مقولة فرنسيس بيكون المعروفة "المعرفة قوة" حيث قدّمت تكنولوجيا المعلومات والمعارف حضورها القوي وصحتها كونها من أفضل وأهم مصادر القوة السياسية والاقتصادية والعسكريـة. ووصولاً إلى قلب هذه المقولة مع فوكو أي "قوة المعرفة"، تكون هذه القوة الثلاث بالإضافة إلى الدين ترسي من خلال ممارستها المباشرة وغير المباشرة علماً معرفياً يخدم أغراضها ويروج لأفكارها ويبث قوتها ومصالحها وكل هذا تحت وهم الموضوعية والعلمية بذرة التكنولوجيا الأساسية.

وقبل أن نوصف العلم أنه لم يعد محايداً، وموضوعيته ليست ببعيدة عن طموح وأهواء القادة والدول وحاجات السوق، لا بد من تحديد الدور الذي لعبه الإعلام وكعلم بصيغة الجمع نسف أنسقة العلوم في تقسيماتها التقليدية.

لقد بقيت البشرية حتى "البارحة" تحصر المعرفة في حقلين واسعين من العلوم المعروفة جمعهما ثالث:

أ- علوم ترى المعرفة في دوائر خارجية في بحثها عن الإنسان، وتضم العلوم الإنسانية كلها وحتى المحضة التي تدرس الخارج في خط أفقي يطال كل ما في البيئة والمحيط وتسخّر النتائج والتحليلات لصالح الإنسان. ونورد على سبيل المثال لا الحصر علوم التاريخ والجغرافيا والبيئة والاجتماع والسياسة والاقتصاد والآثار والإنتربولوجيا بالإضافة إلى الرياضيات والفيزياء والكيمياء وغيرها من العلوم المكثفة الحقول والتشعبات.

أليست زاوية المنافسات العسكرية الأولى التي من خلالها يحدد علم الفيزياء الحديثة المتغيرات التاريخية الموجهة والشاملة؟ . .فعلم الفيزياء هذا يمنح تفوقاً

عسكرياً للمجتمعات التي استطاعت تطوير وإنتاج واستخدام تكنولوجياتها بالطرق الأكثر فعالية، هذا التفوق النسبي الذي توفره التكنولوجيا يزداد طبيعياً مع تسارع المتغيرات التكنولوجية.

ب- إذا كانت هذه العلوم قد حاولت حصر آثار المحيط على الإنسانية وكيفية تفاعلهما بهدف فهم دوائر تأثر وتفاعل الأفراد والشعوب بمعطيات خارجية عامة، فقد ارتدّ الخط البياني في البحث عن المعرفة إلى الداخل أي داخل الإنسان في تكملة معاصرة للفلسفة كعلم أساس وأب للعلوم الإنسانية على الإطلاق.

فمن معبد دلفي القديم ونقشة "اعرف نفسك تعرف العالم" فوق عتبة اليونان، وصولاً إلى فرويد الطبيب الذي رمى المبضع وغرق في تفسير أحلامه وأحلام غيره مرتداً إلى البحث في اللاوعي للخروج بعلم النفس التحليلي المتشّعب دورة جديدة في البحث عن المعرفة في الداخل. وإذا وجدنا أن هذا النبش التحليلي في الداخل يحمل ملامح اقرار بالإنسان على صورة خالقه ومثاله أو مشروع خالق غير مكتمل، مما أثر في أدبيات الاعتراف بعملية هذا الخط المرتد، فإنه حقل معرفي طبع ولا شك النصف الثاني من هذا القرن بما يجعله مواكباً لمجمل العلوم. نتمثل على ذلك بعالمي النفس ارنست ديشر ولويس شيسكين اللذين قلبا مجمل المفاهيم والحاجات في أميركا بدءاً من الخمسينات ومعهما لم تعد الأسواق تلبي رغبات المستهلكين وحسب بل عمدا إلى خلق حاجات جديدة تفترض أسواقاً وسلعاً جديدة أيضاً. السوق يجذب الرغبة ويتبعها في الوقت عينه والحاجة إحدى أهم مظاهر السوق العالمي الذي بحثاه بشكل مفصل عبر التركيز على اللاشعور وكشف الرغبات المتحركة.

ج- هناك علم حديث هو الإعلام زاوج مجمل هذه العلوم المعروفة وتقاطع معها وأصبح من المتعذّر النظر إليه إلا بصيغة شاملة جامعة وعامة، وبشكل يطال مختلف أوجه نشاطات وحياة الأفراد والجماعات والدول. بهذا المعنى يتكلمون عن علوم الإعلام بالجمع. تؤثر وتتأثر بالعلوم كافةً وتطال الإنسان بخارجه ودواخله متقاطعة. وأصبح الحقلان المعنيان في تيارات العلوم يخضعان في قيمتهما إلى كون القاعدة والأساس في الاتصال والتواصل. إننا بهذا المعنى أمام تيار عالمي عريض ينخرط فيه المهنيون والنقابيون والحكومات والأحزاب والبشرية ككل وبنسب متفاوتة ومختلفة مع طبيعة الأنظمة السياسية بحيث تطرح مجمل القضايا المرتبطة بالبشر وبنسب مختلفة أيضاً كالعدالة والحرية والمساواة والتربية والتعليم وديمقراطية المجتمع والقوانين وكل محصلات اساليب وميادين المعرفة المستخدمة.

ويبدو الإعلام في كل شيء ويتقن عملية واحدة هي الاتصال بالمعلومات كوظيفة أساسيـة في حركة العصر وسنرى الفرق بين الاتصال والإعلام عند التطرق إلى إعلام القرن المقبل ونعني به الإعلام دمغة المستقبل.

جاء الإعلام الذي عولم البشرية في علومها والمعرفة والمقتدى في السياق الدولي، من حتميات التكتل في مختلف الميادين. ولم يعد محرك التاريخ الإستعمار المباشر والموارد الطبيعية بقدر ما هو قوة المعلومات كما أشرنا. إننا اليوم أمام ثالوث: المال والديمقراطيـة والاقتصاد الحر وفوقها ومعها انفجار تكنولوجيا علوم الإعلام وكلها تدفع إلى عملية التدويل أو العولمة القصرية تماماً كما رأينا في ميادين العلوم حيث تبدو "قوة جذب العالم وإثارة التطلعات وحرية المعرفة والإطلاع وملامح الإستعدادات القوية جداً لجميع المجتمعات الإنسانية بهدف المشاركة، عائدة إلى ترقّب النصر النهائي لآلة الفيديو أو مسجل الأفلام التلفزيونية . . ."

ولكي نفهم الدور الأساسي الذي لعبه الإعلام في العولمة نكتفي بالتوقف عند مجموعة صغيرة من المحطات التي قد تفي برسم الصورة، وهي تندرج في خانتين: محطات تشكل أسباباً تكنولوجية للعولمة، ومحطات جاءت نتائج طبيعية للتكنولوجيا فأصبحت ملامح العولمة الأساسية.

منذ اختراع التلغراف الكهربائي والهاتف تبدو الشبكة كمفهوم بداية منطقية لتاريخ الاتصالات بحيث شكل المنطلق القاعدة التي منها تفرعت وتشكّلت شبكات الهاتف الكابلي والمتحرّك وشبكات أخرى مثلت ملامح القرن الحالي وأسست لفكر ومظاهر العولمة في طغيانها، بل جسّدته فعلياً.

يعتبر مفهوم الشبكة أساسيا في فهم محدداتها المرتبطة بالهاتف والتلكس والفاكس الثابت والمتحرك لشبك الدول المواطنين ببعضهم البعض عبر مركزية تفرضها فلسفات المال العالمي وآلية المحاسبة والتدقيق بدءاً من تاريخ 1948. إنه مفهوم يحيلنا إلى "قوانين" وقطاعات الإعلام والاتصال في اشكالياتها المؤسساتية والاجتماعية والثقافية، وارتباطها الحيوي العضوي بنظريات المرفق العام، وهذا ما يفترض التحكّم بها لا بالرجوع والتلهي بمالكيها من القطاعين العام والخاص ولكن بضرورة تداخلها وتوسعها كما يحصل في بلدان التسويق والعرض الشاسع بمعناه العالمي.

وقد تكاثرت شبكات الاتصالات كانفجار ملحوظ في وسائل الإعلام تجهيزاً ومحتويات (مضامين وبرامج) وانتشاراً (أسواق ودول)، "إلا أن تكاثرها لا يعني استقلالية بعضها عن بعض بل تداخلها وتشابكها وتكاملية الحلول في ما بينها مع

احتفاظ الهاتفية منها بتمايز جعل مجمل الشبكات الأخرى تتبعها أو تمر عبرها أو من خلالها، وهذا ما جعلها مع خدماتها مركزاً للزخم الإتصالي"

والملفت أن الشبكات أصبحت اقتصاداً للعصر بمعنى أنها مصدر للقيمة والدخل القوميين وفرص العمل. وقد شهد العالم والغرب خصوصاً عالماً من التحولات ولّدت مجموعة جديدة من المعتقدات والقيم والسلوك الفردي والجماعي، كما أجهضت مختلف الأسس القديمة في تكوين المعرفة والقيمة. ويصح القول إن حواجز تاريخية قد انهارت بين المجتمعات وبتنا على قاب قوسين من السلوك الفردي العالمي الذي لا يفترق كثيراً عن السلوك العالمي الجماعي (تشابه المجتمعات في الشكل لا المضمون كمعيار وأسس للعوالمية الكبرى).

وباختصار شديد نرى أن مفاهيم الشبكات في حدودها التأثيرية وقدراتها على التغيير وتحويل الأفراد والجماعات تغلّف الكرة الأرضية وغيرها من الكواكب والفضاءات بالمحصلة الناتجة من التقاء ثلاث صناعات رئيسية:

- ادماج الكابلات بالسواتل
- تقنيات التسجيل والتشفير والهوائيات مما يواكب تاريخ البصريات والتلفزة
- البرامج والأجهزة الخاصة بالإنتاج وكل ما يرتبط بصناعة المضمون.

ويفرض تداخل هذه الصناعات الثلاث منظومة عالمية متكاملة أو شبكة الشبكات أو تزويجها وترشيدها لتحقيق أمرين أو انصياعاً لمتطلباتهما:

- التداخل التقني لهذه الصناعات لاكتمال مفهوم الشبكات.
- الضرورات الستراتيجية للتوسع العالمي التي تمارسها مجموعات الإعلام الكبرى العالمية: إن تملك 3أقمار صناعية يكفي لتغطية الكرة الأرضية بما نريد بثه.

لا تمارسها فحسب بل تقدمها على شكل أجيال متعاقبة لا نرى في تعاقبها أية قطيعة، بقدر ما نشهد تكاملاً واغراقاً في مبدأ الاستهلاك المميز. جيل يلغي جيلاً سبقه فيدخله مخازن الخردة وأرصفة "العالم الثالث" ولا مكان فيهما "لقمامات" الأجيال المتكاثرة وجيل يطفو يظفر بالسلوك البشري لكنه سرعان ما يغيب ويذوب ويموت (نظرة إلى مصير الأنتينات والهوائيات وخطوط الهاتف والتي انقرضت لصالح الصحون اللاقطة والتي تنقرض لتغدو صغيرة الحجم وضمن أجهزة التلفزيون، وكذلك أجهزة الخليوي التي ما أن تولد حتى تموت لصالح غيرها ... وهكذا).

والكلام عن الأجيال في تعاقبها سمة المعلومات وبالأخص الكومبيوتر حيث عرفت البشرية منها خمسة أجيال كان الفصل فيها للتغيير الذي طال العناصر المادية المستخدمة في بناء وحدة المعالجة المركزية والذاكرة:

الجيل الأول (1948): استخدم فيه الصمام الإلكتروني كوحدة البناء الرئيسية لتطوير حاسبات ضخمة يقدّر وزنها بالأطنان وتشغل الصالات الكبيرة وتستهلك طاقة كهربائية عالية.

الجيل الثاني (1958): حيث حل الترانزستور محل الصمام الإلكتروني ليصبح الكومبيوتر أصغر وأسرع وأكفأ ويخف فمعدل استهلاك الطاقة الكهربائية إلى حدٍّ كبير.

الجيل الثالث (1964): وقد جاء نتيجة استخدام شرائح الدارات المتكاملة Les circuits intégrés حيث حلت شريحة سيليكون واحدة مقام العديد من وحدات الترانزستور والعناصر الإلكترونية الدقيقة الأخرى.

الجيل الرابع (1982): لا يختلف عن الجيل السابق إلا في كثافة العناصر الإلكترونية التي أمكن دمجها في رقيقة السيليكون والتي بلغت عام 1984 خمسين ألف وحدة أولية.chip bit

الجيل الخامس (1982-1992): حيث حاولت اليابان ردم الهوة المتسعة بين إمكانيات العتاد Hardware والبرمجيات Software في مشروع طموح مدته عشر سنوات (أصاب أميركا وأوروبا بالفزع) أطلقت عليه إسم الجيل الخامس. ولقد سعى مصممو هذا الجيل إلى وضع البرمجيات موضع الصدارة عن طريق تطوير حاسب قادر على التركيب والتحليل والاستنتاج المنطقي وبرهنة النظريات وفهم النصوص وتأليف المقالات. لقد راهنت اليابان في مصيرها التكنولوجي المعلوماتي على هندسة المعرفة وأساليب الذكاء الإصطناعي.

وهكذا برزت تضاريس الخريطة المعلوماتية في صورة شبكة عالمية يضيئها قبطان أميركي وآسيوي يسعى كل منهما لاحتواء الآخر بالإضافة إلى كيان أورذي يعتبر الأمن المعلوماتي أحد الأهداف الرئيسة لتكتله العولمي الاقتصادي والسياسي.

لقد انعكس هذا الوضع الثلاثي في صورة مشاريع ثلاثية تلت الجيل الخامس لعولمة المعلومات:

- المشروع الاميركي الهادف دوماً إلى تطوير نظم الكومبيوتر والاتصالات العالية الاداء.
- المشروع الياباني لحوسبة العالم الواقعي.
- المشروع الاوروبي للبحوث الستراتيجية في مجال تكنولوجيا المعلومات.

وتتنافس هذه المشاريع المختلفة للمعلومات في وحدة عالمية متكاملة تضيع فيها الحدود بين العتاد والبرمجيات، وبين انظمة الحاسبات ونظم الاتصالات، وهي تسعى إلى خلق نوع من التناغم اكبر بين الإنسان العالمي والالة.

يفترض الكلام عن الرقمية ظاهرة الشراكة الكاملة التي جمعت تكنولوجيا الكومبيوترات إلى تكنولوجيا الاتصالات. والسؤال الأكبر المطروح هو: هل يواجه البشر حاسباً الكترونياً يرتبط بالعالم الخارجي من خلال شبكة من البيانات أم أن هذه الشبكة ترتبط بها معدات الكترونية كالحاسب والهاتف والفاكس وآلات تصوير المستندات وغيرها؟

من هو صاحب القدرة؟ منتج المعلومات أم موزعها؟ يبدو أن اوتوستراد الإعلام تحول منتج المعلومات من سلعة إلى خدمة مما يفرض اهمية عليا في شق الاتصالات حيث يتوارى منتج المعلومـة كما توارى من قبله مولد القدرة الكهربائية في شبكة توزيع الكهرباء حيث لا يهم التعامل معها إن كان هذا التوليد قد جاء عن طريق الشمس او الفحم او الوقود والسائل او النووي

إن غياب المنتج يشابه غياب سلطان المال الذي ذكرناه، وهو الذي يمنح الإعلام هذه القدرة الانتشارية التي تشكل سبباً للعوامة ومظهراً اساسياً لها في آن واحد. ولقد كان لقاء الاتصالات بالكومبيوتر متنافراً في البداية لأن المنتج الخاص بالكومبيوتر كان يطمح منذ الاساس إلى تغييرات تبلغ حد الثورة الشاملة. وهذا ما اعرض عنه نهج الاتصالات الذي اعتبر الكومبيوتر مجرد طفرة جديدة تضاف إلى قائمـة المستفيدين من خدماتها. والسبب لهذا الحذر بالطبع هو حجم الاستثمارات المالية الضخمة التي انفقت على الشبكات ومعدات تركيبها وايصالها إلى الاطراف. ولم يطل الزمن حتى نجح الكومبيوتر كصناعة في تحويل السنترالات الكهروميكانيكية إلى سنترالات رقمية مما يعني قدرة عالمية ومرنة على تحويل الرسائل وتحسين خدمات الاتصالات وانخفاض معدل أعطال الشبكات. وهكذا دخل الكومبيوتر قلب التقنيات الاتصالية وتبادل معها ليمثلا العدَّة الأولية للعولمة. لقد حلّفيها عبر العناصر المكروالكترونية بحيث ان تكنولوجيا الاتصالات تدين له بارتقائها السريع بينما يدين هو لها بالدور الخطير الذي تلعبه على مستوى العالم والمتعاظم في المستقبل.

" لقد حررت الاتصالات الكومبيوتر من سجن المعامل والصالات المكيفة لتخرج به إلى الشارع والمتجر والورشة والمنزل تنشر خدماته عبر القارات والبحار والفضاء الخارجي.".

تشكل هذا الانفجار في ميدان المعلومات المصاغة بتقاطع نظم الاتصال وثورة السمعي البصري والكومبيوتر، والمحكومة بالرقمية كملمح عام للعوامة. والرقمية منحت امكانيات مضاعفة التقاء هذا الثالوث وتفاعله، واسست للبدايات التي ستكرس اقتصاديات المعرفة والعلم والسلوك في المستقبل.

" وتعني الرقمية تحويل الارسال إلى إشارات ذات شيفرة في لغة مرقمة من صفر وواحد بعدما كان يتم الارسال سابقاً بطريقة شبيهة بانتقال الصوت في الهاتف او بواسطـة كثافة الضوء في الارسال التلفزيونـي. ولم تعد مقسمات الاصابع الهاتفية مجرد وسائل لتحويل المكالمات الهاتفية، بل عقول الكترونية دقيقة مبرمجة بإمكانها إرسال المعطيات والاصوات والصور بعد دمجها وتحويلها إلى ارقام مشفرة.

وتعتبر الرقمية تقنية سريعة ومرنة إذ ان المقاسم تحل محل الأنظمة الإلكترونية ميكانيكيـة، ويصبح كل مقسم حزمة من المعلومات باستطاعتنا نقلها بسرعة فائقة بمجرد ملامستها عبر الألياف البصرية وبكميات غير محددة. وهكذا يتدرج التلفزيون مثلاً ليصبح جهازاً متعدد الخدمات Multimédia كما ان شبكات التوزيع ستتدرج نحو شبكات رقمية متداخلة الخدمات Réseaux Numérique à intégration de servicesو هكذا ندخل القرن المقبل ونحن نشهد الإعلام متمحوراً حول شاشة هرتزية عادية أو مشفرة وفيديو وحاسوب وبنوك معلومات وفاكس نقال وهواتف مرئية وبريد الكتروني نقال والعاب الكترونية.

الانترنت ومنظومة الـP.P.I.I

مع هذا التمحور الإعلامي المشار إليه، تقترب البشرية وتندمج عبر الألياف الضوئية والكابلات الأرضية والبحرية واشعة الميكروويف ودوائر الأقمار الاصطناعيـة. ولقد وصل الأمر إلى الحد الذي توقع معه البعض حدوث " أزمة مرور" للأقمار الصناعية التي تزاحمت في ارتفاعها الثابت بالنسبة للأرض وبصورة يخشى معها تداخل موجات ارسالها.

إن تكنولوجيا الاتصالات هي مصدر "الشفافية الجغرافية" لتكنولوجيا المعلومات والتي جعلتنا لا نستشعر الفرق بين من يجاورنا ومن له القدرة أن يتصل بنا عبر ملايين الكيلومترات. هكذا لحقت صفة " عن بعد" السوق والمدرسة والصحة والحياة في لغة عالمية واحدة. وهناك:

- التسوق عن بعد.
- عقد المؤتمرات والندوات عن بعد.
- التعامل مع المصارف عن بعد.
- التعلم عن بعد.
- الإنتاج والعمل عن بعد.

- إصلاح الأقمار الصناعية عن بعد.
- الطبابة وتشخيص الامراض عن بعد.
- إجراء العمليات الجراحية عن بعد.
- المشاركة في التمثيل المسرحي الفني التلفزيوني عن بعد.
- المسامرة، المراسلة عن بعد.

وليس مستبعدا التلامس عن بعد بعدما تم تطوير الياف الكترونية حساسة بشكل فائق تميز بين الناعم والخشن والاشكال. وهناك قواسم مشتركة غدت تؤمن الترجمات الفورية بحيث يستطيع مشترك في طوكيو يتحدث باليابانية ومشترك في دبي يتحدث بالعربية وآخر في واشنطن يتكلم بالانكليزية تجاذب أطراف الأحاديث مع الماني لا يعرف سوى الالمانية مثلاً.

فماذا تقدم الإنترنت للعولمة؟ وهل هي العولمة في مظهرها الثقافي؟ منذ أن أقدمت وكالة المشاريع المتقدمة ARPAالتابعة لوزارة الدفاع الاميركية على اقامة شبكة ARPANET بهدف الربط بين مراكز الابحاث والجامعات في اميركا، وبهدف تواصل العلماء واصحاب القرار حيال خطر نووي سوفياتي عام 1969، راحت هذه الشبكة تنمو بمعدلات هائلة حتى اصبحت تعرف "بالشبكة الام" او "شبكة الشبكات" المتوقع أن يصل حجم مشتركيها إلى 350 مليون مشترك قبل حلول الالفين. ويبدو أن نسبة المشتركين فيها تتسارع بشكل ملفت يصل إلى 1700 بالمئة.

ويرى الدارسون والمتحمسون لشبكة الإنترنت فيها الملاذ الواسع لديمقراطية المعرفة في كل الامكنة والازمنة ومن دون أية قيود ... وتبدو انها النتيجة الفعلية لتجسد "القرية الإعلامية الإلكترونية" التي رددها الناس وانتظروا حلولها كالاحلام. لقد وفرت الانترنت مجتمع المعلومات السريعة الانتشار والتوظيف،"وباتت من افضل الوسائل لتحقيق نزعات القوى الدولية نحو العالمية الكونية، واظهرت بصورة جلية اقتصاد عصر المعلومات التي لا تنقص خلافاً، للموارد المادية، بل تزيد مع زيادة استهلاكها.

هكذا تبدو البشرية منقادة بالمعنى الإعلامي إلى العولمة الحتمية او إلى ما يعرف بـ P.P.I.I التي باتت تحكم الاسواق الحالية بفضل التقنيات والشبكات الجديد المعروفة بالـ WWW أي WORLD WIDE WEB أي نسيج خيط العنكبوت، الشبكة الاساسية التي باشرت عام 1994 بتغليف الكرة الأرضية وتبعتها شركات عالمية أخرى.

إنها صفات أربع تمثل مجمل ما أسلفنا، تقارب صفات الخالق ويروج لها على أنها تفرض الخضوع والإيمان والمذاهب الجديدة وأدبيات العولمة. كل أمر

وسلوك يعمل على محاولة تنظيمه وفقاً لهذه المنظومة من وسائل الإعلام المتعددة إلى الثقافة الكلية.

هكذا يدخل الإنسان المعاصر حساب النسب اللامتناهية، والمنطق الغامض، وتصبح ثقافات البشر ومعارفهم محكومة بفعل الصدفة والعلاقات المحكومة بصدفة الضوء (الزواج عن طريق الإنترنيت) وعدم اليقين مقياس حركة العالم الحديثة. وهكذا يبدو الزمن كمفهوم فلسفي في الدنيا منصبًّا على الحاضر. الحاضر هو الأبلغ والأنقى والأبقى أمام غياب الماضي وانحساره، وظهور المستقبل كزمن أوحد موجود في صلب الحاضر. ويبدو تخلخل التقسيم الزمني اليوناني المتساوق زمناً كونياً وتظهر اللغة الكونية أو ما يروج له بتطبيع البشرية.

مشاعية المعرفة

تفرض هذه المنظومة نفسها على البورصات العالمية وأسعار العملات، البرامج الإعلامية، ووسائل الإعلام المتعددة، والـcyberculture وتفرض الأسواق المالية نفسها كعلوم مرجعية لا كالعلوم الطبيعية وآلية نيوتن أو الكيمياء العضوية بل وفق الحسابات والأفكار اللامتناهية كما أشرنا وعلوم الأحياء.

إنها فكرة العولمة وبذرتها، تتحكم بالعالم، توحد شبكات الاتصال وتسمح لأي كان من وراء جهاز كومبيوتر أن يتصل مع أي آخر عبر شبكة الإنترنيت ومن خلال المراكز الكثيرة التي تؤمن مثل هذا الارتباط بواسطة أية وسيلة من وسائل الاتصال بما فيها شبكة الهاتف العالمية. وهو يؤمن البحث عن معلومات أو تلقيها ويضع الأجيال والبشرية في ما نسميه مشاعية المعرفة التي تسقط خاصية الرغبة في هذه المعرفة، إحدى أبلغ المرتكزات الثابتة في المنظومة التربوية وتطور وتوازن السلوك البشري ونمو الشعوب.

الإعلان أو الإعلام مقابل الاتصال

ترافقت تقاطعات الحياة السياسية والاقتصادية والثقافية مع تقاطع وسائل الاتصال وتقنيات المعلومات مما أدى إلى تحولات كبرى لطبيعة الصحافة والاتصال. فقد انحسرت سلطة الصحافي في المجتمع وصار عصر الإعلام غير عصر الاتصال.

وكانت كلمة اتصال تعني تبادلاً بين متحاورين، وبسرعة فائقة احتكر المعلنون السوق للإعلام السريع لا للاتصال لأن الإعلان بهذا المعنى لا يدعو إلى الحوار بل إلى الإصغاء والإعلام. فالإعلام والاتصال ثقافتان مختلفتان، تقوم كل منهما على الصورة والمرسلة لكنهما يفترقان في الوظيفة، فالاتصال يحمل ويدعم

مواداً بهدف تحقيق المكاسب والسوق مكانه الطبيعي، بينما الإعلام يجمع ويبث حقائق وأفكاراً تغذي التحولات الاجتماعية والسياسية.

وفي ظل المعلومة، يعيش العالم اليوم المرحلة التي يبدو الصراع فيها محسوماً لصالح الإعلان في صراعه مع الإعلام بمعنى الاتصال. ويبدو الإعلام أو الإنباء هو الوظيفة الاتصالية الكبرى التي يسخرها الإعلان بشكل كامل لغاياته وأهدافه السريعة والمدرّة للأرباح.

نحن نخرج عولمياً من القرن العشرين أو قرن التواصل فالاتصال، إلى قرن جديد هو قرن الإعلام وحسب، قرن المعلومة. وللإعلان الدور الكبير في هذا الخروج عبر مواد ومعلومات لا يهمها أن تتواصل بقدر ما تعلم لتتواصل، وهي مادة "معارك" حالية خفية تستوحيها معارك "أوتوسترادات الإعلام" وتظهر في تحفز الشركات الإعلامية الضخمة للتقاتل على المليارات المحددة بسرعة إعلام الناس وتزويدهم بالمعلومات والأفكار.

وإذا عرفنا أن إجمالي الإنفاق الإعلاني في وسائل الإعلام الرئيسية قد وصل إلى 350 بليون دولار خلال عام 1996 نفسهم كيف أن الدول قد لجأت إلى توظيف تكنولوجيا الاتصال في إعلامها.

وهكذا يشغل الإعلام حيزاً واسعاً في ستراتيجيات هذه الدول السياسية والاقتصادية والعسكرية، متخذاً قوة ما يعرف بالبعد الرابع تراتبياً (الإعلام) والأول قوة إلى جانب الأبعاد الثلاثة المألوفة في ركائز الدول ونعني بها الاقتصاد والعسكر والدبلوماسية.

وترتفع حدة الانشغال الدولي حيال امحاء ملامحها الخاصة بالمعنى الإعلامي خلال القرن المقبل، والطغيان الواضح لمبدأ الشمولية كعنصر أولي في تشكل القوى العالمية والتكتلات الواسعة وتقرير المستقبل. وتصبح المنجزات ومعارك الحال الإعلامية مكونات رئيسية في كيانات الدول وطاقاتها. وأبرز ملامح هذه الطاقات توجيه الرأي العام العالمي نحو ذهنية التقبل الواقعي "بالقوى" و"الإعلان" كحقائق تاريخية ثابتة تعصى على التبديل.

إنها معارك شكلية تستعيض عن المكاسب العسكرية المستحيلة بين الشعوب بالمكاسب الثقافية - المعرفية - المالية الأخرى. وتبدو نتائجها آيلة إلى وقوف العالم وانشقاق دوله إلى صفين تحددها القدرات الإعلامية - الإعلانية.

" إننا بالمعنى الإعلامي على شفير إمحاء الجماعة بالمعنى التقليدي والتوجه نحو الجماعة العالمية. ويبدو العالم يضع يده على قلبه صارخاً: ليس المهم الكلام فقط عن التكنولوجيا والإعلام ولكن عن الاتصال لأن الجماعة La communautéلا تأتي إلا من الاتصال La communication ، وإذا كان الاتصال

ينسحب لصالح الإعلام الإعلاني أو الإعلان الإعلامي فإن في هذا خوفاً من الإعلام ومن فقدان المضمون"

ما هي الآثار الكبرى لهذه العولمة؟

الإنسان الجديد في الجواب الغربي، لكن الغرب المعلن يبدو إعلامياً غارقاً في الشكل أو أنه يعاني نفاذ المضامين أو أن الشكل صار هو المضمون بالمعنى المعاصر. فمنذ اختراع التيبوغرافية عام 1038 في الصين حتى 1998 حيث تتحقق مشاريع الأقنية الرقمية في الغرب مسافة زمنية بلغت 960 عاماً من الجهود والمنجزات تجعل المستقبل قرن جمع المعلومات والأفكار المعصورة الموجهة بهدف إعلام البشرية وحسب، لكنه في العمق هو الإعلام الغربي الذي يسخر كل العلوم بنجاحات الغزو والتحولات العالمية باسم مساحات الحرية والديمقراطية. وهكذا تبدو العولمة بفضل الإعلام تتسارع عبر توجهات أساسية في تكنولوجيا الاتصالات تشكل محطات السنوات المقبلة وأهمها:

- الخروج من الصوتي إلى الرقمية.
- البحث عن الرخيص والمتيسر للجميع.
- الخروج من الثابت إلى المتحرك والنقال.
- تعميم الشيفرة الإنكليزية والتوجه نحو الشيفرة المتعددة اللغات.
- من الأسلاك النحاسية إلى الألياف الضوئية التي يسري بداخلها شعاع الليزر حاملاً الرسائل المراد نقلها. أو من الإلكترون إلى الفوتون.

سقوط مصطلح العالم الثالث - اللاتبعية

هكذا يخرج العالم، بفضل الثورة الاقتصادية، من ظاهرة قديمة طغت على الفكر وخصوصاً في علاقات الأفراد والدول ولفترات طويلة ونعني بها التبعية وما رافقها من فلسفات وأفكار وحروب وصراعات قسمت العالم إلى شرق وغرب وشمال وجنوب وغني وفقير ومرسل ومتلق.

إننا اليوم أمام ظاهرة جديدة هي اللاتبعية، إذ لم يعد رخاء بعض الدول مرتبطاً بالمطلق بفقر الدول الأخرى. ولم يعد محرك التاريخ السيطرة المباشرة وانقياد الدول إلى صياغة التكتلات مصحوبة بكمٍّ من الأسئلة المكثفة عن طبيعة التنمية في العالم الثالث الذي تضاربت النظريات حول بقائه أو إزالته كمصطلح صالح للأبحاث الكلية.

" لسنا اليوم في صدد ازدواجية الاستبداد بين العالم المنتج والعالم المستهلك" وليس هناك من محيط مرتبط بمركز رأسمالي من خلال علاقة تبعية

كلاسيكية. والدولة التي لا تملك في الوقت الراهن قدرة الاستثمار والصرف في العلم والتكنولوجيا مع الحرية والاعتراف بالحقوق الفردية للمواطنين لا يمكنها أن تماشي ثورة التقنيات. ولم تعد إذن نظرية التبعية كافية لفهم المنظومات والآليات الجديدة التي تحكم العلاقات الفردية والدولية. لقد أسقط انفجار الإعلام الكثير من النظريات الاقتصادية والاتصالية خلال عقدين من الزمن. وبدا العالم المستهلك الراكد يعاني تهميشاً وتنحيـة شاملين إزاء التطور الاقتصادي العالمي الذي تخضع له قطاعات ضخمة من المجموعة البشرية في نهاية هذا القرن وفي المقبل. ولم يبق للعالم الثالث في قواه العاملة وموارده الطبيعية أية جاذبية كالتي شهدها العالم في الستينات لدخوله الكوكبية محصلة التكنولوجيا الجديدة، والفكر العقلاني وتراجع مؤسسات التقنين التي كانت إلى وقت بعيد مصانة من كل نقد، وطبعاً لصالح الدول الصناعية الكبرى والشركات المتعددة الجنسيات ومؤسسات التمويل العلمية والتوسيع المتواتر للأسواق الاستهلاكية.

لقد فتحت العولمة بوابات الفيضان المعلوماتي، وأمام تيارها الجارف ليس هناك سوى خيارين:

- السيطرة عليه ودخول فلكه.
- القطيعة معه والانغلاق في متاهات تقينا هذا التيار الكاسح. ولا من ينجو منه إلا من كانت له القدرة على استقبال المعلومات وإرسالها.

يبقى القول أخيراً إن المعلومات قد يصيبها العفن إن غاب الطلب عليها، وستبقى حبيسة مصادرها إن لم تجد من يمارسها ويوظفها لحل مشاكل قائمة أو لطرح مشاكل مستجدة. ويمكن أن يتحول الإفراط المعلوماتي إلى هادر هو الآخر لو عجزنا عن تنمية الطلب على موارد المعلومات والمعارف وتوظيفها بصورة فعالة. إن الإعلام ... أو العالم في حالتي البث والتلقي

لا شك أننا نعيش اليوم وفي ظل العولمة ثورة إعلامية بكل ما تحملة الكلمة من معاني ودلالات.. ثورة انصهر فيها الرقم مع الحرف في تفاعل مع أجهزة الإعلام والكمبيوتر.. لتشكل ما يطلق عليه بالطرق السريعة للإعلام والتي ليست لها كوابح تحد من اندفاعها.. ولا حواجز تعيق التدفق الإعلامي المنهمر في كل الاتجاهات..

وإذا كان عصر العولمة يعني في جوهره رفع الجواجز والحدود أمام الشركات والمؤسسات والشبكات الدولية والاقتصادية والإعلامية والثقافية.. كي تمارس أنشطتها بوسائلها الخاصة لتحل محل الدولة في ميادين المال والاقتصاد والإعلام.. وإذا كان التفوق التكنولوجي قد اتاح للغرب امكانية التحكم في صناعة المعلومات والاتصال والترفيه من خلال الشركات العملاقة والشبكات الدولية.. إلا

أن هذا المجال لا يزال يمثل الساحة الرئيسية لشكل وآفاق الصراع في المستقبل.. وهذا يوضح أن ميدان الصراع القادم هو الحلبة الثقافية والإعلامية.. وهي مجالات لن تصمد فيها إلا الأمم والشعوب التي لها ثقافات قوية.. وإعلام يجعلها متجددة وقادرة على المنافسة، وجذب الاهتمام واقتناع المتلقي والحصول على ثقته.. ذلك المتلقي الذي لم تعد هناك أي وسيلة أو إمكانية لفرض أي وجهة نظر عليه أو اجباره على الاختيار أو محاصرته أو خداعه وتضليله إعلامياً. بشكل صارت هذه الثورة الإعلامية هي إحدى علامات العولمة وتجلياتها الأشد وضوحاً وأثراً.

ما زال مفهوم العولمة ملتبساً يصعب تحديده أو وضعه في إطار منهجي محدد إلى الآن ولن نخوض كثيراً في مئات التعاريف لمفهوم العولمة.. ولكنها تعني حسب أشهر المفاهيم إزالة الحواجز بين الدول على صعيد التجارة وحركة رؤوس الأموال وغيرها.. وهي في تقدير معظم الباحثين طغيان ثقافة عالمية واحدة على الثقافات القومية والمحلية المتعددة، ومحاولة ابتلاعها والحلول محلها.. والعولمة لها ايحاءات جديدة ترتبط بظروف جديدة نشأت في عالم القطب الواحد.. ونشأت في دنيا أصبحت في حجم القرية الصغيرة.. تترابط أنحاؤها بالأقمار الصناعية والاتصالات الفضائية.. وقنوات التلفزيون وكل وسائل البث والاتصال الإعلامي والثقافي.. وتعني أيضاً تسريع الانفتاح على السوق العالمي بطرق تدفع نحو إزالة الحواجز أمام التجارة الدولية للسلع والخدمات.. والغاء القيود على الاستثمار الأجنبي المباشر مع تحرير التدفقات المالية والنقدية في القرية المالية العالمية، وهي تعميق للاندماج في الاقتصاد الدولي.

فالعولمة منطقتها الأساسية عالم بلا حدود ثقافية أو إعلامية أو بيئية أو اقتصادية.. قاطرتها الشركات العابرة للقومية.. أيديولوجيتها الليبرالية الجديدة، وشبكة المنظمات الاقتصادية والسياسية والثقافية والتقنية المهنية غير الحكومية، والتي تتكامل أخيراً في محاولة إبراز المنظمات غير الحكومية ككيان مؤسس عالمي لا يزيد من سلطة الدولة القومية.. ولكن ينتقص منها باستمرار ويضعها في زوايا للدفاع عن وظائفها السيادية.

ويرى علماء الثقافة وفلاسفة المعرفة أن العولمة هي محاولة جادة ومستميتة لتنميط العالم ثقافياً باستغلال ثورة وشبكة الاتصالات العالمية وهيكلها الاقتصادي والانتاجي بعماده المتمثل في شبكات نقل المعلومات والسلع وتحريك رؤوس الأموال.. وقدرة الغرب على امتلاك أدوات نشر عالية التقنية، شديدة التأثير والجذب والفاعلية.. سريعة التواجد والحضور.. دائمة البث والارسال.. ومن بين هذه الأدوات نظم الفضائيات الحديثة، ونظم تخزين المعارف والعلوم وتكنولوجيا الانترنت والقدرة المنظمة الهائلة على البحث والابتكار والإبداع

ومن جانب آخر فإنه كما تتفاعل الثقافات الراسخة لحضارات العالم الكبرى، في إطار كل من حضاراتها المتمايزة.. فإن تلك الثقافات تتمايز أيضاً وهي تتفاعل.. وتواصل تمايزها واحتفاظ كل منها بخصائصها الجوهرية تماماً كما حدث للأديان العالمية واللغات عبر التاريخ.

وواقع الحال يؤكد أن عملية التنميط الثقافي والعولمة الثقافية لم تكتمل بعد.. ولم تستقر على شكل نهائي يؤدي الى ترسيخ ونشر مجموعات من القيم الرئيسية الكبرى المشتركة بين كل الثقافات دون استثناء قيم خلقية وسلوكية وجمالية وعقلية أو ذهنية منهجية ومعرفية.

ويظل أكثر تعريف للعولمة انتشاراً هو أنها الهيمنة بعينها، وتهدف إلى تهميش الثقافات المحلية، وتعمد إلى تحرير التجارة والثقافة معاً.. وكأن الثقافة هي الأخرى سلعة من السلع تخضع للتحرر.. كما تهدف إلى استلاب الهوية الحقيقية للشعوب والأمم وذوبان ثقافاتها في الهلامية العالمية، وربط الناس بعالم اللاأمة واللادولة!!

الإعلام وتحديات العولمة

انطلاقاً من التعريفات المختصرة السابقة للعولمة.. فإن الإعلام يواجه تحديات عديدة حالياً نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

- إن تكنولوجيا الاتصال الحديثة أتاحت العديد من الوسائط والوسائل التي ألغت الحدود الجغرافية، وقربت المسافات، وسهلت امكانية الحصول على المعلومات من أي مكان، وتجميعها وتخزينها وبثها بشكل فوري متخطية قيود الوقت والمسافة، وقد تمثلت هذه المبتكرات في الأقمار الصناعية والحسابات الإلكترونية وخطوط الميكروويف، والألياف الضوئية والاتصالات الرقمية والكوابل المحورية، والوسائط المتعددة، والاتصال المباشر بقواعد وشبكات المعلومات مثل الإنترنت والجوال والبريد الإلكتروني، وعقد المؤتمرات عن بعد، وتعمل معظم هذه المبتكرات في إطار المشروعات الخاصة وتخاطب الحاجات الفردية.
- زيادة الاتجاه نحو الإعلام المتخصص ولا مركزية الاتصال التي تعتمد على تقديم رسائل متعددة، تخاطب الحاجات الفردية الضيقة والجماعات المتجانسة بدلاً من الرسائل الموحدة التي تخاطب الجماهير الغفيرة.
- فقدان الحكومات الوطنية لاحتكار البث التلفزيوني الذي يتلقاه مواطنوها، مما جعل بعض الحكومات تعيد هيكلة نظم الإعلام من خلال فتح المجال أمام تأسيس خدمات اتصال إلكترونية غير حكومية لتعزيز القدرة على المنافسة في السوق الإعلامية والدولية.
- اتجاه صناعة الاتصال الجماهيري إلى التركيز في كيانات ضخمة وملكية مشتركة متعددة الجنسيات وامتد هذا التركيز من السلاسل الصحفية إلى شبكات الراديو والتلفزيون ونظم الكابل والحاسبات الإلكترونية، وفي حالات كثيرة تمتد أنشطة هذه الكيانات الإعلامية العملاقة إلى تملك إدارة أعمال أخرى ليس لها علاقة بصناعة الاتصال.
- إن مجموعة لم يسبق لها مثيل من التحالفات والاندماجات قد أثرت على كل القطاعات في العقد الأخير وهي قطاعات الإلكترونيات والإنتاج الإعلامي والتلفزيون والكابل والنشر والكمبيوتر وكافة الاتصالات السلكية واللاسلكية وكلها تسعى لإيجاد مكان لها في السوق العالمية.. وأصبح المنتجون أنفسهم يلغون الفرق بين الإعلام والتسلية، وبين البرامج والمعدات وبين الإنتاج والتوزيع، فقد تم تشكيل تحالفات جديدة بين ملاك المكونات المادية Hard Wareوملاك المحتوى الإعلامي Soft Ware فعلى سبيل المثال أعلنت

شركة MCI الأمريكية للاتصالات السلكية واللاسلكية عن استثمار 2 مليار دولار أمريكي في شركة روبرت مردوخ للأنباء، مما يحقق الدمج بين خطوط الألياف الضوئية والمحتوى الإعلامي والبرامجي، وسيؤدي دمج شركة ABC/ Capital Cities مع امبراطورية Disney بقيمة 19مليار دولار إلى جعل ديزني أكبر شركة ترفيه في العالم خلال القرن الحادي والعشرين.

- تركيز مصادر الأخبار الدولية.. بمعنى التبعية الإعلامية لدول العالم الثالث مازالت قائمة للكيانات الاخبارية العملاقة التي تحقق أقصى استفادة من تكنولوجيا الاتصال المتطورة وعولمة الأسواق العالمية، وهذا يعني أن التدفق الاخباري الحالي لا يزال معتمداً على التركيز والهيمنة بدلاً من التعددية والتنوع.
- تجانس الاخبار حيث غالباً ما تعتمد وكالات الأنباء على بعضها البعض في تبادل الأخبار في شكل تحالفات دولية كما هو الحال في التحالفات بين تلفزيون رويترز وشبكات روبرت مردوخ الدولية، وكذلك الطابع التجاري الذي تعمل من خلاله وكالات الأنباء الدولية.. والذي يجعلها تضيف الطابع الترفيهي على الأخبار، كما أن التجانس يأتي أيضاً من سعي الوكالات إلى ترويج ثقافة عالمية واحدة ن الثقافة الانجلوامريكية، كذلك تقوم هذه المصادر الدولية الكبرى بترتيب أولويات الجمهور في مختلف أنحاء العالم نحو القضايا الدولية، من خلال انتقاء الصور والأصوات والأحداث وصناعة الحروب والأزمات الدولية.
- تراجع الوسائل المطبوعة وتزايد تأثير الوسائل الإلكترونية، وهذا يوضح بجلاء أن طبيعة العولمة الثقافية تنشط حركتها وتتوسع في ظل تصاعد الثقافة المرئية، أي ثقافة الصورة، وفي مناخ يشهد تراجعاً ملحوظاً للثقافة المكتوبة.. أي أن ثقافة العولمة هي ثقافة ما بعد المكتوب، فالكتابة ليست من أدوات أو آليات انتشار العولمة.
- تراجع الشبكات الوطنية لصالح الشبكات الدولية، وذلك في ظل عوامل عديدة منها: تزايد عدد شبكات التلفزيون الدولية، واتجاه هذه الشبكات نحو مخاطبة جماهير متجانسة ذات اهتمامات نوعية.
- معلومات أكثر .. ومعرفة أقل.. لأن ثورة المعلومات، كما ذكرنا من قبل لا تعني بالضرورة ثورة المعرفة.. لأن المعلومات شيء والمعرفة شيء آخر.

وان تحول المعلومات إلى معرفة تطلب حداً أدنى من الفهم، واستخلاصاً للمعنى، وربطاً بين معلومة وأخرى، وهذا ما لم يتوافر بصورة مرضية لدى شعوب كثيرة في بلاد العالم الثالث.

الإعلام الدولي والهيمنة الغربية

إنّكل إعلام يصل إلى جماهير واسعة من العالم سواء بواسطة الصحف أو المجلات أو الاذاعة والتلفزيون أو الانترنت والهاتف أو بواسطة بث الفضائيات هو إعلام دولي.

ولكن التقدم الهائل الذي حصل في دول غرب أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية جعل من اعلامها الدولي أكثر قدرة وأكبر كفاءة بسبب الصناعة والتكنولوجيا الهائلة، والتقدم الكبير في مجال المعلوماتية. وبات الغرب هو المسيطر على الإعلام في العالم.

وأصبح الإعلام الدولي يقترن بدول الغرب، رغم ظهور قنوات في دول العالم الثالث تبث عبر الفضاء إلى أنحاء العالم. الا أنها ما زالت قاصرة أمام الاعلام الغربي.

ومن هنا جاءت سيطرة الغرب على الاعلام الدولي والهيمنة على الأخبار ونقل المعلومات والتأثير في الرأي العام للعالم. وكذلك التأثير داخلياً على شعوب تلك الدول حيال الأحداث العالمية. خصوصاً إذا ما أخذنا في الاعتبار أن أجهزة الاعلام وتكنولوجيا الاعلام يتم استيرادها من أمريكا وأوروبا واليابان، هذه الدول المتقدمة. مما يجعل أجهزة الاعلام في دول العالم النامي تحت رحمة العالم المتقدم.

ونتيجة الهوة بين الغرب المتقدم، والعالم النامي، انعكس ذلك على الاعلام كأجهزة ووسائل وخبرة وقدرة على الاعلام الدولي. وظهر ما يسمى باختلال التوازن في الاعلام.وبرز هذا الاختلال في التوازن في الاعلام والتدفق الاخباري في أشكال منها:

1- الاختلال في التوازن الكمي بين الشمال والجنوب:

حيث تبين أن حوالي 80% من أنباء العالم يتم نقلها بواسطة وكالات الأنباء العالمية الكبرى التي تنتمي إلى الدول المتقدمة. وهذه الوكالات لا تخصص إلا حوالي 20% من الأنباء التي تتحدث عن الدول النامية.

هذه الدول التي تشكل شعوبها بالنسبة لعدد سكان العالم حوالي 75% من اجمالي سكان العالم.

2- هيمنة الدول المتقدمة على محتوى الرسائل الاعلامية:

حيث أنّالدول المتقدمة وبواسطة وسائلها الإعلامية الدولية تملك زمام أدوات الهيمنة الثقافية من وكالات أنباء ومراكز انتاج برامج تلفزيونية وأفلام سينمائية وأخبار صحافية عالمية.

وبالتالي فإنّالكثير من الرسائل الإعلامية التي تنقلها الدول المتقدمة إلى الدول النامية فيها من المحتوى ما يضر بقيم وثقافة الشعوب النامية، وهو ما يمكن تسميته بالغزو الثقافي.

3- الخلل الحاصل في الإطار القانوني الدولي المتصل بالاعلام:

حيث أنّالتشريعات الدولية السائدة وتطبيقاتها تعطي النصيب الأكبر لقليل من الدول المتقدمة على حساب أغلبية دول العالم، وبالتالي لابدّ من تصحيح مسارات ضرورية في التشريعات الدولية، والرجوع إلى دساتير ومواثيق الشرف وأخلاقيات تنظيم سلوك المهنة الصحفية، وبيان حقوق الأفراد في الوصول إلى الحقيقة، ومعرفة مصادر الأخبار. وضرورة اجراء تعديلات على قوانين مهنة الإعلام، والتركيز على وجود قانون أخلاقي دولي يقرّه ويعمل به جميع العاملين في مجال الإعلام. وحل مسألة الخلل في التوازن الإعلامي، وتدفق المعلومات والبيانات والأخبار، والعمل على التعاون الدولي والعدالة في كتابة الخبر والتعليق عليه، وطريقة بثه، وتوزيع التكنولوجيا والمتعلقة بالأجهزة والوسائل، واستخدام الأقمار الصناعية والذبذبات الإذاعية بين دول العالم بعدالة، وتحمل مسؤولية التعاون الدولي، واحترام حقوق الإنسان، وحقوق الفرد، وحقوق الجماعة، وحرية الإعلام والمسؤولية.

وكنتيجة لهيمنة وسائل الإعلام العالمي الغربي، وانفرادها في شعوب دول الغرب بنقل الأخبار عن العالم الثالث، وبخروج بعض وسائل الإعلام عن قواعد سلوك مهنة الصحافة العالمية. روجت هذه الوسائل ما يشوه صورة دول وشعوب العالم الثالث، مثل العرب والمسلمين أمام جماهير الغرب، فأكثرت من الحديث عن الأصولية الإسلامية وإلصاق الإرهاب بالعرب والمسلمين.

وبفعل تأثير اللوبي الصهيوني في غرب أوروبا وأمريكا تم تشويه صورة المقاومة الفلسطينية والتشويش على حقوق الفلسطينيين والقرارات الدولية الشرعية ولا سيما اللاجئين. وأظهرت اليهود بأنهم يعيشون في محيط إرهابي، وأنهم يتعرضون للظلم والوحشية. كما حاربوا النقاب والحجاب، وأظهروا المرأة العربية والإسلامية بالتخلف، وعدم الاندماج في الحياة الاجتماعية.

ولعلنا نذكر للحقيقة أن هناك ممارسات إعلامية في دول العالم الثالث والبلاد العربية ساعدت هذا الإعلام بالسكوت أحياناً، وأحياناً ببث ما يدعيه، وعدم التعليق عليه. وعدم وضع استراتيجية إعلامية عربية إسلامية في دول العالم الثالث والعالم الغربي والإسلامي، بحيث تحسن صورة العربي والمسلم في الغرب.

فهناك قصور في دول العالم الثالث من الناحية الإعلامية. كما أن عدداً كبيراً من المثقفين والإعلاميين في هذه الدول لا يحسن استخدام الصحافة الغربية، ووسائل الإعلام الغربية عن طريق الاتصال بها والكتابة بها، والنشر بواسطتها وبواسطة فضائياتها عن حال العرب والعالم الثالث. مما جعل الإعلام الغربي المنحاز ينفرد لوحده في تشويه صورة العالم الثالث، وعدم نقل الإيجابيات، وعدم تطبيق معايير العدالة واحترام الصحافة وحقوق الإنسان.

بالرغم من أنّالغرب يروج لحقوق الإنسان، وحقوق المرأة والمساواة والديموقراطية، ويغمض عينيه عن بوادر الأمل في الشرق. ويغفل روح التعاون، ويبالغ في الانحياز، وينسى الحيادية الصحفية المهنية.

وفي موضوع الهيمنة الإعلامية يشار إلى ظاهرة عولمة البرامج، وتدويل القنوات التلفزيونية. فالمحطات التلفزيونية بدأت تعمل بطريقة وطنية، وكل دولة تشتهر بأسلوبها البرامجي في حقل التلفزيون، واتخذت تلفزيونات الدولة أنماطاً ثقافية تميزها عن غيرها.

فبريطانيا مثلاً تتقن صناعة التلفزيون الدرامي، والأشرطة الوثائقية، والحصص العلمية [2]. وألمانيا عرفت بالمسلسلات العائلية. والبرتغال بالمسلسلات الطويلة والبرازيلية. وفرنسا بالحصص الأدبية والأفلام.

لكن مع ظهور العولمة والنظام العالمي الجديد، أخذت العولمة تتسلل إلى هذه القنوات التلفزيونية التابعة للقطاع العالم من خلال البرامج الجديدة ذات الطابع الأمريكي، بسبب ازدهار المسلسلات والأفلام الأمريكية، وغزوها لتلفزيونات دول العالم.

وظهر التأثير الأمريكي في طرق تقديم البرامج في تلفزيونات تلك الدول، خاصة برامج الألعاب. وكذلك في أسلوب الحياة، وطريقة وبناء الديكور التلفزيوني.

ومع ظهور ظاهرة الخصخصة في أوروبا التي شملت محطات التلفزيون، ازداد تغلغل العولمة، وزاد اللجوء إلى مسلسلات وأفلام أمريكا وبرامجها في تلك الدول. ويمثل هذا الإعلام من قبل أمريكا الذي اجتاح أوروبا بإعلام دولي طابعه الهيمنة.

ومن خلال العولمة التي أخذت تغزو العالم في إيطاليا مثلاً، استطاع S. Berlesconi ربح معركة التلفزيونات التجارية دون نشرات أخبار. حيث اعتمد على برامج ومسلسلات أمريكية منوعة مثل مسلسلات دالاس، ودانينا سيتي، وستاروور وانتقلت هذه أيضاً إلى دول مثل فرنسا وبلجيكا وألمانيا واسبانيا ودول أوروبية أخرى غرّتها الأمركة.

وتحاول دول المجموعة الأوروبية أن تحد من هذه الظاهرة لانقاذ البرامج الأوروبية أمام غزو البرامج الأمريكية واليابانية، وظهر في أوروبا قانون عرف باسم "تلفزيون بدون حدود" طبق 1991، بحيث يفرض هذا القانون على قنوات تلفزيونات أوروبا بأن تكون أغلبية البرامج أو أكثر من 60% منها التي تبثها القنوات التلفزيونية الأوروبية أن تكون هذه البرامج من أصل أوروبي.

وقد قامت بعض الدول بتطوير برمجة ذات قياسات موحدة تتلاءم مع ثقافات دول أوروبا. مثال على ذلك SLT وقناتها RTL وفي اللوران. وRTL.TV في بلجيكا. و M6في فرنسا و RTL Plus في ألمانيا. وعملت على برمجة متنوعة وثابتة خلال الأسبوع.

وضمن محاولاتها لمواجهة العولمة والأمركة الإعلامية، قامت دول أوروبا بإيجاد قناة اخبارية تدعى يورو نيوز Euro News وتستقي هذه القناة الاخبارية معلوماتها من مجموعة بنوك التبادل المعلوماتي لقنوات الدول المشتركة في اليورونيوز لكن يورونيوز لم ترقَ إلى مستوى BBC وCNN وقناة SKY News.

وتجربة أخرى في هذا المجال ما قامت به Canal Plus في فرنسا، إذ أنّ هذه القناة حققت أرباحاً جيِّدة منذ نشأتها عام 1984 بسبب عدم وجود منافسين لها. لكنها أخذت في التراجع مع ظهور الكابل والأقمار الصناعية والهيمنة على الإعلام من الدول الأخرى.

لذا قامت هذه القناة بتطوير نفسها بالامتداد خارج فرنسا، حيث سعت إلى إيجاد شركاء لها في ألمانيا عن طريق Bertelsmann وشركاء في بلجيكا (RTBF) وفي اسبانيا مع (Prisa) ومع بولونيا وايطاليا (Teleo).

كذلك قامت الإذاعات الأوروبية في نشر ثقافتها من خلال قنوات تلفزيونية تبث برامجها عبر العالم.

فأنشأت فرنسا TV5 سنة 1984مشاركة مع سويسرا والكيباك وبلجيكا، حيث تقوم هذه القناة بطرح عدد من البرامج والحصص المأخوذة من القنوات العامة للدول المساهمة وتبثها عبر الأقمار الصناعية، وشبكات الكابل الأوروبية والأمريكية.

كما تسعى فرنسا إلى إيجاد CNN فرنسية على غرار CNN الأمريكية لتحاول أن تكون منافسة لها عن طريق دمج TV5 مع CFI وبالتالي فإنّهذا المشروع المنوي ايجاده وبفضل دعم التلفزيون الفرنسي له بقنواته المختلفة سوف يتمكن من انتاج برامج واعادة بث برامج القنوات المحلية الفرنسية بعد جعلها ملائمة مع الجمهور المستهدف المطلوب الوصول إليه بهذه البرامج المنتظرة.

وهكذا نجد أن هناك صراعاً دولياً في هذه الأيام في عصر العولمة، وعصر القفزات الإعلامية الهائلة، مما يجعل الإعلام الدولي خاضعاً لسيطرة الأقوى والأكفأ والأقدر مالياً وخبرة. مما يستوجب إعادة النظر في هيمنة أمريكا وبعض الدول على الإعلام الدولي.

إنّدراسات الإعلام تحقق منذ عام 1976 في الولايات المتحدة الأمريكية أرقاماً قياسية في معدلات التوسّع على حساب دراسات الفنون والآداب والعلوم الإنسانية. وهذا يفسر الهجمات الاحتكارية الامبريالية للإعلام التي تقودها أمريكا كسلاح بديل للعمل العسكري المسلح أو إلى جانبه.

ومما يشار إليه في هذا الصدد أيضاً أنّثلاثة أرباع العالم تدار إعلامياً بطريقة مغرضة وغير صحيحة، حيث أنّالاحتكارات الإعلامية العالمية تسيطر على أكثر من 80% من الأخبار المتداولة في ميدان الصحافة والأخبار في العالم. وأنّكل نبأ من أنباء العالم الثالث يقابله ألف نبأ من أنباء الدول الرأسمالية المتقدمة، بسبب تحكم وكالات الأنباء العالمية الرئيسية في مجال الإعلام الدولي، وهي رويترز البريطانية، ووكالة الصحافة الفرنسية، ووكالة الاسوشيتدبرس الأمريكية، ووكالة اليونايتدبرس انترناشيونال الأمريكية. وان أربعة أخماس الصحف اليومية المطبوعة في العالم هي ملك هذه الاحتكارات.

كذلك فإن حوالي 90% من البث التلفزيوني العالمي، وأكثر من 60% من الأفلام السينمائية في العالم، وأكثر من 90% من شركات الانتاج الإذاعي والتلفزيوني والسينمائي، وتسعة أعشار محطات الإذاعة ذات الإرسال البعيد، ترتبط ارتباطاً وثيقاً ومباشراً بالاحتكارات الرأسمالية العالمية الغربية.

وتقوم وسائل الإعلام في الدول الغربية المهيمنة في توجيه برامج إذاعية وتلفزيونية تركز على كتاب وأدباء ونجوم غربيين، وعلى إنجازات رجال فكر وسياسة وأعمال واقتصاد غربيين، وعلى شركات تكنولوجيا غربية. في الوقت الذي تهتم فيه على أخبار مثل هؤلاء في العالم الثالث بفضل الهيمنة الأمريكية والأوروبية على وسائل الإعلام الدولي. وذلك يرجع إلى الاحتكارات الدولية بسبب تركز المال والخبرة والتكنولوجيا في تلك الدول – ونقصد الغربية الرأسمالية –.

بينما تقبع دول العالم الثالث في التخلف في جميع المجالات وخاصة الإعلام، وأكثر خصوصية الإعلام الدولي، وإن بدأت بعض المؤسسات الخاصة في محاولة سد الثغرات الموجودة، ومحاولة تقليد الإعلام الغربي واللحاق بالإعلام الدولي.

العولمة الإعلامية

للإعلام دور فعال في حركة المجتمع في الميادين كافة، فكثيراً ما نسمع مقولة "الحرب دعايات" في إشارة إلى أهمية الإعلام في مجريات الأحداث ، فإذا كان الإعلام يتمتع بهذه الدرجة من الأهمية منذ القدم، حين كان يتطلب وصول الخبر من مكان أضعاف الوقت الذي يتطلبه الآن، فيمكن تصور الدور الذي يضطلع به الإعلام إيجاباً أو سلباً في عصر العولمة.

وحتى يؤدي الإعلام دوره بإيجابية، فلا بد من مواكبة قضايا الأمة والدفع باتجاه تحقيق الأهداف الوطنية بشكل مدروس ودقيق، فعلى سبيل المثال، يمكن للمراقب لمجريات الأحداث على الساحة الفلسطينية أن يلحظ مدى التأثير الإعلامي في إلهاب عواطف الجماهير الفلسطينية وحتى العربية أو تهدئة الوتيرة الحماسية وفقاً لمزاج الأنظمة الحاكمة "فلو قيض لمؤرخ منصف أن يدرس واقع الإعلام العربي لما وجد أفضل من عبارة آلة السلطان تعبيراً يشير إلى هذا الإعلام.

وبما أن الشعوب العربية أكثر تأثراً بالإعلام من سواها؛ نظراً لما تتميز به من عواطف جياشة، وحماس مفرط، وقدرة على التهدئة أيضاً "بكبسة زر" -كما يقولون- فإن "هذه الإمبراطوريات الإعلامية التي تبث صوت سيدها وتحاول فرض آرائها وأفكارها تشكل خطراً على ثقافات العالم الثالث وهويتها القومية."

فعلى سبيل المثال، تستخدم هذه الوسيلة الإعلامية مصطلح "عملية استشهادية"، وأخرى "عملية انتحارية"، وثالثة "عملية إرهابية"، وقد سمعنا من قبل "عملية تخريبية"، وتلك تبارك هذه العمليات، وأخرى تشجب وتستنكر وتدين، ومرة يكون الاستنكار شديد اللهجة، وقد يكون لطيفها، وربما ابتكروا لهجة متوسطة إذا أمروا بذلك .

و نسلم هنا بأن العولمة أصابت الإعلام فتعولم هو الآخر، ولكن كيف عولمنا إعلامنا العربي؟ لقد طبقنا تصاميم البناء وأحضرنا الأجهزة المتطورة واستخدمنا تقنيات البث الحديثة، ولكن بقيت الهوة واسعة بين تقنيات العرض والمادة المعروضة، ففي حين تنتمي الأولى إلى عصر العولمة نجد الثانية تنتمي إلى قرون خلت .

إن من يحلل معظم المادة الإعلامية التي تبثها القنوات الفضائية يخرج باستنتاج مفاده أن بعضها لا يصلح إلا "قنوات للصرف الصحي" وليس للإعلام، فهل يعتقدون أن بيوتنا "بالوعات" أو "مكبات نفايات"؟ نفايات عقدية، ونفايات سلوكية، ونفايات سلعية ... وكل ما يمكن أن يخطر لك على بال وما لا يمكن أن يخطر.

إن معظم المادة الإعلامية هي "غلف ثقافي فاسد"، وقد أصبنا بعدة "حالات تسمم" ولم نتعلم بعد، وهنا أريد أن أتطرق إلى مصطلح واحد فقط هو "الإرهاب"، ذاك المصطلح الرهيب الذي أصبح يستخدم كشتيمة وينظر إليه على أنه قنبلة موقوتة كل يخاف أن ينفجر بين يديه، وننسى أن القرآن الكريم استخدمه، بل حث عليه في ظرف محدد؛ قال تعالى "وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم". فإذا كان محظوراً علينا أن نرهب عدونا فما المطلوب منا إذن؟ هل ندعوه إلى وليمة شرقية دسمة، أم نهديه أكاليل الورود وأغصان الزيتون الذي تقتلعه جرافاته كل يوم؟!

وفي النصف الأول من القرن التاسع عشر ، ظهر ولأول مرة أن النشاط الإعلامي قد حدد لنفسه بعدا عالميا ، وذلك ليس فقط على مستوى تغطيته ومعالجته للأخبار ، ولكن أيضا على مستوى تلبية حاجة المتعاملين معه ، فقد أنشا شارل لوي هافاس سنة 1832 " مكتبة للأخبار " الذي أطلق عليه لاحقا وكالة هافاس " وقد اعتمد على مبدأين مكناه منة تحقيق نجاح كبير التغطية العالمية للأخبار ، والقدرة التي تضاعفت مع الأيام على نقل وتوزيع الأخبار (من الحمام الزاجل إلى الأقمار الاصطناعية مرورا بالتلغراف والتلكس ...الخ) وقد تمكن اثنان من معاونيه رويتر وولف ، من إنشاء وكالتهما للأنباء ، الأول في بريطانيا والثاني في ألمانيا وذلك بهدف تحقيق الأهداف نفسها التي أرادها هافاس وأصبحا منافسيه في هذا الميدان ، رغم ذلك ظلت وسائل الإعلام محلية أو وطنية وذلك لغاية السبعينات من القرن العشرين ، فكل دولة لديها قناعة بأن القوانين الخاصة بالإعلام كانت من صميم سلطتها وحديثا رفع المنتجون شعار " الإستثناء الثقافي " مؤكدين إن الإعلام يقع في صميم هذا الإستثناء وذلك في مواجهة مفاوضات ألغات واللجنة التابعة للإتحاد الأوربي في بروكسل

الواقع إن سنوات الثمانينات قد عرفت اتجاه عولميا واضحا مثل الكثير من القطاعات ، كالصحافة المكتوبة وبخاصة الأسبوعية وبرامج التلفزيون (الأفلام الخيالية بخاصة) وبنوك المعلومات ، من دون أن ننسى المعلوماتية والبرمجيات الحاسوبية ، الإنترنت ولا تمس هذه العولمة وسائل الإعلام بالمعنى الدقيق والحصرى فقط ، بل أنها اذخلت تغيرات عميقة على بعض المجموعات الصحفية والتلفزيونية والمعلوماتية حيث أنها أصبحت مجموعات كبرى ذات حضور عالمي.

إن عولمة الإعلام هي سمة رئيسية من سمات العصر المتسم بالعولمة وهي امتداد أو توسع في مناطق جغرافية مع تقديم مضمون متشابه وذلك كمقدمة لنوع من التوسع الثقافي نتيجة ذلك التطور لوسائل الإعلام والاتصال، التي جعلت

بالإمكان فصل المكان عن الهوية، والقفز فوق الحدود الثقافية والسياسية، والتقليل من مشاعر الانتماء إلى مكان محدود، ومن الأوائل الذين تطرقوا إلى هذا الموضوع عالم الاجتماع الكندي مارشال ماكلوهان، حيث صاغ في نهاية الستينات ما يسمى بالقرية العالمية، وتشير عولمة الإعلام إلى تركيز وسائل الإعلام في عدد من التكتلات الرأسمالية العابرة للقارات لإستخدامها في نشر وتوسيع نطاق النمط الرأسمالي في كل العالم من خلال ما يقدم من مضمون عبر وسائل الإعلام المجالات المختلفة، وعند تأمل عناصر وأشكال الاتصال في العالم الذي تملك فيه الولايات المتحدة الأميركية عناصر السيطرة نجد ما يلي:

- المواد والتجهيزات التقليدية الخاصة بالاتصال وصناعة الإعلام أمريكية.
- تدفق المعلومات عبر الفضائية تحت السيطرة الأميركية.
- مصادر المعلومات أميركية الصنع.
- الطريق السريع للمعلومات تحتل فيه الولايات المتحدة المرتبة الأولى.كل هذه العوامل تجعل منها تمارس عولمة الاتصال من خلال أبرز آلياتها متمثلة في القنوات الفضائية والانترنت، وهذا التفوق على أوربا واليابان سواء في الإنتاج أو الترويج للمنتوجات الإعلامية مكنها من أن تصبح النموذج الذي تسعى الدول المتخلفة إلى تقليده. ومن خلال عولمة الإعلام ومظاهرها يمكن القول أن من يملك الثالوث التكنولوجي) وسائل الإعلام السمعية البصرية، شبكات المعلومات، الطريق السريع للمعلومات) يفرض سيطرته على صناعة الاتصال والمعلومات المصدر الجديد في عصر العولمة لإنتاج وصناعة القيم والرموز والذوق في المجتمعات، وهنا تظهر الصورة كأحد أهم آليات العولمة في المجال الإعلامي بعد التراجع الكبير للثقافة المكتوبة وظهور ما أصطلح على تسميته بثقافة ما بعد المكتوب.

ويمكن القول أن وسائل الإعلام وشبكات الاتصال تؤدي مجموعة من المهام في مسار العولمة يمكن ذكرها :

1. تمثل آلية أساسية للعولمة الاقتصادية باعتبارها تيسر التبادل الفوري واللحظي والتوزيع على المستوى الكوني للمعلومات ولا يمكن تصور الاقتصاد العالمي اليوم دون اتصال.
2. تروج وسائل الإعلام الإيديولوجية الليبرالية الكونية انطلاقا من الدول الكبرى و المؤسسات الاقتصادية العملاقة<
3. تساهم في خلق إشكال جديدة للتضامن والتعاون بين الأفراد عبر الشبكات . وقد مكن الإعلام والتطور التكنولوجي من ظهور الإعلام والمعلومات كسلطة ووسيلة تحول المجتمعات وتغيرها.

الإعلام وفخ العولمة

إذا تكرست العولمة كنظام، فإنها ستزج بالعلم في ديكتاتورية السوق العالمية الواحدة؛ حيث ستتركز الثروة في العلم المتقدم الغني، وسيصبح هذا العالم جاهلا، وعلى نحو خطير، بمشكلات البلدان النامية، من جراء شيوع التنميط الاقتصادي والمالي والتجاري والاجتماعي والثقافي. وستكون لهذا الوضع توابع سلبية على رأسها النمو المطرد للبطالة واتساع دائرة الفقر. وفي الحصيلة النهائية، ستكون"الديمقراطية المعولمة" منحازة للأغنياء من الأفراد والجماعات والدول... ويخبرنا كذاك نعوم تشومسكي بحقيقة واضحة حول ما يسمى بالعولمة مفادها أن العولمة هي عمق التطلعات الهيمنية للولايات المتحدة الأمريكية من وحي مصالحها الأمنية القومية، أو ما يتعارف عليه بـ"الحكم الأمريكي"الذي تجند له، ليصبح واقعا معبئا، مجموعة من الحلفاء والربناء، في إطار تبني حرية مطلقة لقوانين السوق المالي الواحد، الذي يتخطى سلط الدول القومية ودول الرعاية... هذا رأي بعض المفكرين الغربين أنفسهم حول ظاهرة العولمة، والتي هي عبارة عن مشروع حضاري سياسي واقتصادي غربي للهيمنة أكثر على العالم في ظل النظام العالمي الجديد ذي القطب الواحد كما هو معروف. والملاحظ أن مشروع العولمة هذا، هو مشروع كلي وشامل، يحاول باستمرار أن يتغلغل داخل كل أشكال المنظومات السوسيو-اقتصادية والثقافية لدول العالم، وخاصة من خلال الإعلام لما له من أدوار خطيرة وحاسمة وسريعة في ثقافتنا المعاصرة وأنظمة التواصل البين-إنسانية، هذه الثقافة الجديدة من تاريخ الإنسانية، هي ثقافة الإعلام والمعرفة والمعلوميات بامتياز.ومع انتشار الأشكال الجديدة والثورية في الاتصال والإعلام(الأنترنيت، الفضائيات...) نجد أن وسائل الإعلام والاتصال تصنع في كل لحظة تمثلاتنا حول أنفسنا وحول العالم، وبالتالي توجه وتحدد منظومة سلوكياتنا وتوجهاتنا وعلائقنا...وتتحكم فيها. لهذا فإن إيديولوجيي ومنظري وصناع العولمة يركزون بشكل كبير على الآلة الإعلامية من أجل خدمة وصناعة المخططات والمصالح الاستراتيجية للعولمة، وذلك بالعمل على: › التحكم في الصناعات المرتبطة بتكنولوجيات واقتصاديات الإعلام. › التحكم في الاننتاج الإعلامي العالمي، وذلك من خلال التحكم في آليات صناعة الخبر والمعلومة والفرجة، والسيطرة على مصادرها ومؤسساتها المختلفة. أي بعبارة أخرى، التحكم إيديولوجيا واقتصاديا وتكنولوجيا في الإعلام العالمي، من أجل تنميط الذوق العام وسلوكيات وتمثلات الفرد/ المتلقي وفق المرجعية الرأسمالية الاستهلاكية والاستلابية التبعية. إذن، هكذا نجد أنفسنا أمام مشروع عولمة الإعلام، حيث يمكننا أن نرصد ردود الفعل حوله في موقفين:

- الأول يؤيد بحـــــماس، ودون تحفظ، عولمة الإعلام ويبرز إيجابيتها باعتبارها تدعم من التدفق الحر للمعلومات وحق الاتصال، وتوفر للجمهور فرصا غير محدودة لحرية الاختيار بين وسائل الاعلام والمعلومات، والتحرر من هيمنة واحتكار المؤسسات الإعلامية، وخصوصا الرسمية، على الأقل.
- الثاني يعارض بشدة عولمة الإعلام، حيث ينظر إليها باعتبارها نفيا للتعددية الثقافية، وتسييد قيم الربح والخسارة وآليات السوق في مجالات الاعلام والاتصال والمعلومات، علاوة على الاعتداء على حرية وسائل الاعلام والحق في الاتصال، وتعويض سلطة الدولة بسلطة الشركات الاحتكارية متعددة الجنسيات... وفي الأخير، يحق لنا أن نتساءل عن علاقة إعلامنا الوطني والعربي بمشروع عولمة الاعلام هذا؟ هل يعمل إعلامنا، من منطلق التحليل النقدي والمستقل، على التعريف بالعولمة وخطورتها على مجتمعاتنا، ونحن نغرق يوما بعد يوم في إغراقاتها التكنولوجية والمالية والمعرفية والإعلامية؟ ماذا نفعل، على الأقل، للتحكم الإيديولوجي والقيمي في "منتجاتنا" الإعلامية وفق مصالحنا الوطنية والقومية؟ وننوه، في الأخير، أننا لا ندعو إلى الانغلاق والانكماش حول الذات، بقدر ما ندعو إلى إلى اليقظة الوطنية، والتفتح النقدي الواعي أمام زحف أشكال جديدة من الهيمنة العالمية، حتى لا نكون مجرد كائنات مستهلكة ومستلبة وتابعة، تنفعل في العالم دون أن تفعل فيه بحرية واستقلالية وسيادة وطنية وقومية.

العولمة في اللغة تعني ببساطة;ووضوخ جعل الشيء عالمي الانتشار في مداه أو تطبيقه. وهي أيضاً العملية التي تقوم من خلالها المؤسسات، سواء التجارية أو غير التجارية، بتطوير تأثير عالمي أو ببدء العمل في نطاق عالمي. شيء. ولا يجب الخلط بين العولمة كترجمة لكلمة globalization الإنجليزية، وبين "التدويل" أو "جعل الشيء دولياً" كترجمة لكلمة internationalization. فإن العولمة عملية اقتصادية في المقام الأول، ثم سياسية، ويتبع ذلك الجوانب الاجتماعية والثقافية وهكذا. أما جعل الشيء دولياً فقد يعني غالباً جعل الشيء مناسباً أو مفهوماً أو في المتناول لمختلف دول العالم .
أيضاً العولمة عملية تحكم وسيطرة ووضع قوانين وروابط، مع إزاحة أسوار وحواجز محددة بين الدول وبعضها البعض؛ وواضح من هذا المعنى أنها عملية لها مميزات وعيوب. أما جعل الشيء دولياً فهو مجهود في الغالب إيجابي صرف، يعمل على تيسير الروابط والسبل بين الدول المختلفة.

إضافات حول العولمة

العولمة قد تكون تغيراً اجتماعياً، وهو زيادة الترابط بين المجتمعات وعناصرها بسبب ازدياد التبادل الثقافي ، فالتطور الهائل في المواصلات

والاتصالات وتقنياتهما الذي ارتبط بالتبادل الثقافي والاقتصادي كان له دوراً أساسياً في نشأتها. والمصطلح يستخدم للإشارة إلى شتى المجالات الاجتماعية، الثقافية، الاقتصادية، وتستخدم العولمة للاشارة إلى:

•تكوين القرية العالمية: أي تحول العالم إلى ما يشبه القرية لتقارب الصلات بين الأجزاء المختلفة من العالم مع ازدياد سهولة انتقال الافراد، التفاهم المتبادل والصداقة بين "سكان الارض."

- العولمة الاقتصادية: ازدياد الحرية الاقتصادية وقوة العلاقات بين أصحاب المصالح الصناعية في بقاع الارض المختلفة.
- التأثير السلبي للشركات الربحية متعددة الجنسيات، أي استخدام الأساليب القانونية المعقدة والاقتصادية من الوزن الثقيل لمراوغة القوانين والمقاييس المحلية وذلك للاستغلال المجحف للقوى العاملة والقدرة الخدماتية لمناطق متفاوتة في التطور مما يؤدي إلى استنزاف أحد الأطراف (الدول) في مقابل الاستفادة والربحية لهذه الشركات.
- والعولمة تتداخل مع مفهوم التدويل ويستخدم المصطلحان للإشارة إلى الآخر أحيانا، ولكن البعض يفضل استخدام مصطلح العولمة للإشارة إلى تلاشي الحدود بين الدول وقلة أهميتها.

العولمة: قضية مثيرة للجدل

وبسبب تلك الاختلافات في المعنى، وكون العولمة سلاحاً ذا حدين، أو عملية لها مميزات عظيمة وعيوب خطيرة في نفس الوقت، أصبحت العولمة موضوعاً خلافياً ومثيراً للجدل في شتى أنحاء العالم؛ أيضاً زادت الأفكار الخاطئة وانتشر التشوش عن الموضوع. وبسبب عيوب الإنسان خاصة قلة الاعتدال، انقسم معظم الناس في العالم إلى قسمين:

- قسم يشجع الفكرة ويرى فيها كل خير وإيجابية ولا يرى عيوباً على الإطلاق أو يرى عيوباً ويقرر بصورة حاسمة أن التغلب عليها كلها يسير؛ ومعظم هذا القسم من الدول المتطورة والغنية.
- وقسم يشجب ويعارض الفكرة بتعصب ولا يرى فيها إلا كل سلبية وشر وجشع وظلم؛ ومعظم هذا القسم من الدول الفقيرة والدول النامية.

أهم ما يمكن قوله في قضية العولمة هي أنها فكرة في حد ذاتها ليست إيجابية وليست سلبية. أي أنها ببساطة فكرة، لها تعريفها الخاص، ويمكن استخدامها في الخير أو في الشر. ومن دلائل ذلك هو أن مثلاً المسلم الذي يدرس العولمة دراسة تفصيلية، قد ينتهي به الأمر إلى أن يتمنى من قلبه لو اتحدت البلدان الإسلامية، ثم بدأت الأمة الإسلامية المتحدة في تطبيق العولمة، لما سيكون

له ذلك من الأثر الإيجابي على نشر الإسلام وإفشاء السلام في العالم. ونفس المثال ينطبق على المسيحي المتدين، والصيني الوطني، والأمريكي الوطني، وهكذا...

إذن فإن المشكلة أو الخطر ليس في قضية العولمة نفسها كفكرة أو عملية، بل في كيفية تطبيقها وفي عيوب الإنسان نفسه التي قلّما من استطاع التغلب عليها، مثل الطمع أو الجشع وما فيه من ظلم الغير والحب الشديد للمال وحب القوة والتسلط والتحكم، وغيرها من عيوب الإنسانية التي لا يمكن التغلب عليها إلا بطاعة الله واتباع المنهج الذي وضعه للإنسانية، والذي ختم بإرسال محمد رسول الله-صلى الله عليه وسلم-والقرآن.

والخوف الرئيسي من تطبيق العولمة اليوم في بداية القرن الحادي والعشرين، قد يكون من أسبابه الرئيسية هو تسلط أمريكا كدولة عظمى في الوقت الحالي، على بقية دول العالم، واتباع سياسات ظالمة للغير، وعدم احترام أي من القوانين الدولية. ومن هذا المنظور قد نظن أن معارضة العولمة قد تكون السياسة المثلى إلى أن يأمن الضعيف والفقير في هذا العالم على نفسه وماله ودمه، من الدول الأقوى والأغنى-خاصة أمريكا في الوقت الحالي.

تواجه العولمة مقاومة قوية جدا في مختلف مناطق العالم وخصوصا في أوروبا والدول النامية. إذ أنها قد تؤثر سلبا على إمكانيات نمو اقتصاديات محلية في ظل غياب التوازن بين الدول المتقدمة والفقيرة. كما يتهمها الكثيرون بأنها تذيب الثقافات المحلية وتجير العالم في خدمة القوي، ويعتبرون أن الولايات المتحدة الأمريكية تهيمن على العالم اقتصاديا من خلال فرض سيطرتها الاقتصادية والعسكرية من خلال ما يسمى بالعولمة، وبهذا المعنى ينتفي القول بأن "العالم تطور ليصبح قرية صغيرة"، ليصبح "العالم تأخر ليصبح إمبراطورية كبيرة"في إشارة لتجدد الحلم الامبراطوري الذي عاصرته الحضارة الانسانية في عصور سابقة.

ولكن هناك الكثير ممن يدافعون عن العولمة. والدول الأقوىخاصة أمريكا، مع المؤسسات العملاقة التي تؤثر في اقتصاد العالم كلهمثل مايكروسوفت وهي أيضاً في أمريكا، قد تجبر كل دول العالم، بشركاتها ومؤسساتها المحلية، على الخضوع لقوانين العولمة الجديدة. وإن قاومت بعض الدول سياسياً، فإن الشعوب والمؤسسات والشركات لن تستطيع أن تقاوم اقتصادياً. هذا غير أن العولمة هي عملية ماضية في طريقها بدون توقف بالفعل، إن لم يكن سياسياً، فاقتصادياً وثقافياً بطريقة مكثفة. ومن كل ذلك قد نستنتج أن شجب ومعارضة الفكرة قد لا تكون الطريقة المثلى للتعامل مع قضية العولمة. يجب أن تتبع الشعوب والدول

والمؤسسات سياسات أخرى من أجل جعل التأثيرات السلبية عليها في الحد الأدنى.

أركان العولمة

رسملة العالم:

أي تحويل العالم إلى النظام الرأسمالي، يقول الكاتب: تقوم العولمة من الناحية الاقتصادية على نشر الرأسمالية كنظام للتجارة ونظام للاستهلاك.

لعب الإعلام الدولي دور كبير في فرض النظام الرأسمالي على البشرية من خلال تعزيز صورة إيجابية للشركات المتعددة الجنسية، الرأسمالية، الشركات العملاقة (سوني، دزني، تايم وورنر). ولقد كانت ثورة الاتصال هي الأداة التي استخدمت للتلاعب بالرأي العام لفرض النظام الرأسمالي على العالم. الإعلام والاتصال والمعلومات مكون أساسي في الاقتصاد العالمي مثلا تصل عائدات هذا القطاع إلى 1.5 تريليون دولار وتحصل الولايات المتحدة وحدها على 47% من العائدات العالمية لهذا القطاع. الأفلام الأمريكية التي تصدّر للخارج مدخولها أكثر من مدخولها داخل أمريكا. الرسملة تسبب فقر دول العالم الثالث وارتفاع مديونياتها حيث وصلت في نهاية التسعينيات إلى مبالغ ضخمة وهذا يجعل دول الجنوب على تقديم تناماوالات سياسية واجتماعية. بسبب الرسملة يوجد ما يقارب 100 دولة أضع وأقل ثراء من أي واحدة من 40 شركة عملاقة. مثل ما كان لوسائل الإعلام دور في انهيار الاتحاد السوفييتي بسبب إخفاء الحقائق، فإن النظام الحالي سوف يدفع العالم للانهيار. الخطر القادم انهيار شامل للنظام الرأسمالي الإعلامي الدولي العالمي. كذلك النظام الإعلامي الدولي يميل إلى عدم توجيه النقد إلى الرأسمالية أي فقدت وسائل الإعلام حريتها .

لبرلت العالم:

تحرير العالم من القيود الاجتماعية والسياسية والعلاقة المميزة لليبرالية هي الانحياز للفرد دون تدخل الحكومات وباستقلالية عن الدولة.

النظام الإعلامي الدولي يرى أن الليبرالية هي النظام الوحيد الصالح للحكم. والمضمون الذي يقدمه النظام الإعلامي الدولي لا يساهم في تشكيل المواطن الذي يستطيع أن يشارك بفاعلية في شؤون المجتمع أبرز ذلك تصرفات أمريكا شبه الهمجية بعد أحداث 9/11 لعبت المنظمات غير الحكومية دور في تشكيل العالم، ولكنها تنشر أفكار ليبرالية وتدافع عن حقوق الإنسان وتشكل قوة ضغط لتحقيق أهداف معينة وهناك دائما أهداف مخفية هي أهداف أمريكية لها ضغوطات أمريكية مثل .Green peace الشعوب في العالم ستكره الديمقراطية لأن الولايات

المتحدة استخدمت المعارضة في بعض الدول لتحقيق أهداف في التدخل في شؤون الدولة وفرض سيطرتها عليها.

في الحقيقة لا يوجد شيء في الدنيا أسمه لبرلت العالم. وإن من كتب هذا النص لم يعرف حقيقة عماذا كان يكتب. حيث أن ما تقوم به أمريكا في العالم لا يسمى لبرلت العالم وأنما هو استعمار سياسي وعسكري واقتصادي بما يخدم مصلحة الولايات المتحدة الامريكية. أما أن تسمي هذا السلوك باللبرلة فهذا خطأ كبير حيث أن الليبرالية هي مدرسة اجنماعية وسصياسية وثقافية واقتصادية كبيرة نشأت في أوروبا وهي تهدف تحرير الانسان أصل الحرية من القيود السياسية والاجتماعية . واذا كانت أمريكا تقوم ب"لبرلة العالم" فهذا شيء جميل إلا أنها حقيقة لا تفعل. والدليل موقفها من الانتخابات الفلسطينية وكذلك دعمها لأنظمة قمعيه غير ديمقراطية لا تحترم الانسان ولا حقوقه.

علمنة العالمsecularism :

الولايات المتحدة تقوم بالترويج للعلمانية بالعالم الإسلامي بسبب إخضاع العالم لسيطرتها، والنموذج التركي هو الذي تريد أمريكا أن تكون الدول مثله

أمركة العالم:

أمريكا تتصرف وفقا لاعتقادها أن العولمة تحصل أمريكا على 3 احتكارات:

- القوة المسلحة
- الاقتصاد العالمي
- إخضاع العقول والسيطرة الثقافية وهي تشكل جزء مهم من أمركة العالم:

1. هي تعمل على تدمير الثقافات والهويات المحلية.
2. فرض السيطرة السياسية والاقتصادية والثقافية على شعوبنا.
2. التحكم الأمريكي في الثورات الوطنية والقومية (نفط العراق). أمركة العالم هدف أمريكي لم يتحقق بالرغم من سيطرتها على القطاع الإعلامي الدولي، يرى الكاتب أن كبرياء أمريكا أعمت عيونها والنظام الإعلامي الدولي عن قراءة التاريخ وتطور الحضارات والقوة الذاتية للشعوب وحتمية الثورة ضد الظلم. الأركان الأربعة (الرسملة/اللبرلة/العلمنة/الأمركة) جعلت العديد من الكتاب يؤيدونها فظهر كتابين مهمين الأول "نهاية تاريخ" للكاتب فرانسيس فوكوياما يبشر انتصار الليبرالية الغربية وأنها ستسود العالم والكثير من الناس أيدوا فكرته فالسياسة الخارجية الأمريكية تفكر بعقلية المنتصر. نتيجة لهذا المنظور يخالف كاتب "نهاية التاريخ" بالكتاب الثاني "صدام الحضارات" للكاتب هننجتون يقول فيه أن نظرية فوكوياما غير صحيحة بل

سيكون هناك تكتلات مختلفة لها أصل حضاري كبير تنافس الحضارة الغربية وخص بالذكر الحضارة الإسلامية فصدام الحضارات ظهر على شكل مقال في مجلة (شؤون خارجية) في صيف 1993. خلاصة الكتاب أن صراع الحضارات هو الذي سيحكم السياسات الدولية وسيكون هناك صراع بين الحضارة الإسلامية والغربية.

العلاقة الإرتباطية بين البث الوافد والغزو الثقافي:

إن الدول المتقدمة نجحت في إغراق أسواق الدول النامية بالآلاف من الكتب والمجلات والصحف التي تمجد قيم الغرب مثل الفردية والعنف الغريزي وعدم المسئولية أمام المجتمع.

وهناك أشكال أخرى للغزو الثقافي تتم بشكل غير مباشر عبر وسائل الإعلام والثقافة تتمثل في برامج الإذاعة والتليفزيون السياسية والاجتماعية والترفيهية والتثقيفية فضلا عن الأفلام السينمائية والمسرحيات. ومع هذا البث سوف تكون بلادنا مستهدفة لزحف فكرى جديد من جانب الدول التي تملك الأقمار الصناعية وهو الزحف الذي يستهدف تدمير الذاتية الثقافية للمجتمعات المحلية وفرض هيمنة الثقافة الغربية وأننا لمحاصرون اليوم بين القنوات الأجنبية والإنتاج الأجنبي وما يأتينا عن طريق الأقمار الصناعية على وجه الخصوص الأمر الذي أدى إلى تحويل شبابنا إلى شباب بلا قضية فيتحولون إلى السلبية واللامبالاة وفقدان المعنى والبعد عن الواقع والشعور بالاغتراب. وليست الأفلام والمسلسلات وما تعرضه من أفلام مثيرة للغرائز ومشجعه على العنف والسطو والانحراف وتؤكد بها القيم الفاسدة وتتحدى بها سلطة الآباء والأمهات وسلطة المربيين والقائمين بأمر التعليم , ليس ذلك كله إلا صوره من صور المحاولة المستميتة لتغريب الحياة الاجتماعية في المجتمعات المسلمة الأمر الذي يؤدى حتما إلى تعميق الشعور بالاغتراب بأشكاله المختلفة.

علما بأن الأسلوب والكيفية التي تعرض بها الأفلام من خلال الشاشات التليفزيونية تنحدر بكثير من القيم الإنسانية لنفوس المراهقين نحو مخاطر الانحراف وكثيرا من مظاهر انحراف المراهقين يرتكبونها حبا في تقليد أبطال الفيلم أو المسلسل الأمر الذي ينعكس حتما على هوية المراهق ويسبب فقدانها وما يترتب عليه من اغتراب ثقافي.

ولذا تتمثل احتمالات الضرر مما ينشره البث المباشر من مواد ثقافية في إشاعة أنماط السلوك غير مرغوبة , بالإضافة إلى أن هذه المواد الثقافية تبث أفكارا ذات تأثير مباشر أو غير مباشر على هويتنا وانتمائنا وقيمنا الدينية وتراثنا,

ثم أن هناك احتمالات الشعور بالعجز والإحباط والدونية إزاء ما يراه المشاهد من مظاهر التفوق الباهر في المجتمعات المتقدمة وما لذلك من أثر في تثبيط الهم والعزائم والرضا بالتبعية
ومع التسليم بصحة نتائج دراسات أجريت في الخارج حول تأثير البرامج الوافدة في كلا من كوبا وكندا على سبيل المثال , ومن متابعة ما يناقش في المؤتمرات وما ينشر في الصحف والمجلات عن بعض ما يبث عبر الأقمار الصناعية نجد أن الهدف الأساسي من وراء ذلك البث الوافد يكمن في التبعية للثقافة الغربية , ورفض الثقافة العربية والشعور بالاغتراب , وفقدان الذات ومحو الهوية , ويرتبط بذلك الشعور بالوحدة والخوف وعدم الإحساس بتكامل الشخصية.

وعلى هذا فإن مصر شأنها شأن بلدان العالم الثالث تواجه هجوما أو غزوا ثقافيا وإعلاميا متعدد الجوانب من شأنه الإغراق في قيم اجتماعية وثقافية غير ملائمة, كما أنه يؤدى بوعي أو بدون وعى إلى الإحساس بالاغتراب الثقافي والسلبية والهروب من التصدي لواقع الحياة.

وبذلك فأن قضية الغزو الثقافي أصبحت اليوم من أشد القضايا خطرا على عقول كثير من المثقفين وكانت وسيلته في ذلك الاختراق الثقافي.

وفي هذا الصدد أشارت عواطف عبد الرحمن إلى أن الاختراق الثقافي يساعد على نشر أفكار ومعتقدات تؤدى إلى تعميق الاغتراب الثقافي وفقدان الخصائص القومية المميزة لثقافات الشعوب التي تتعرض وتستجيب لهذه التأثيرات.

العلاقة الوظيفية بين الغزو الثقافي والتغريب الثقافي

وبعد أن سلكنا مسلكا على سبيل الملاحظة لما بيئة إعلام الحضارة الغربية المعاصر وما تتيحه هذه الحضارة من إنتاج ثقافي , ووجدنا أنه تعبير عن قيم وعن سلوك تشق طريقها إلى الدول النامية من خلال ما يسمى بالغزو الثقافي . والذي من خلاله يسهل تغريب الحياة الاجتماعية وما يسودها من قيم خلقية وأداب سلوكية وما يحيط من عادات وتقاليد وأعراف . أي أن الغزو الثقافي هدفه الأسمى تغريب الأفراد عن عاداتهم وتقاليدهم وأعرافهم وقيمهم وآدابهم , أو بالأخرى اقتلاع كل هذه الأشياء من نفوس أصحابها وحامليها.

أن أفضل ما نستهل به مناقشة ديناميات التغريب هو القول بأن التغريب شكل محدد من أشكال التغير الثقافي , وبما أن التغير الثقافي هو "العملية التي من خلالها تتغير العناصر المادية والأساليب الفنية والتنظيم والاتجاهات والقيم والمفاهيم ووجهات النظر في ثقافة ما نتيجة الاتصال بين حاملي هذه الثقافة وحاملي ثقافة أخرى مختلفة, وعلى هذا فإن التغريب هو " التغير الذي يحدث في

أي مجتمع غير غربي تحت تأثيرالاتصال بجماعات أو أفراد غربيين "أي أنه – التغريب – " الملية الثقافية التي من خلالها يتبنى المجتمع أو جزء منه الثقافة الغربية كلية أو جزئية" وتتضمن هذه العملية نبذ عناصر ومركبات من الثقافة التقليدية كي يحل محلها عناصر ومركبات ثقافية غربية .
وينشأ عن ذلك إحساس عميق بالدونية نابع من حاملي الثقافة التقليدية تجاه حاملي الثقافة الغربية وللتغريب أسماء أخرى مثل الحداثة أو المعاصرة أو التطوير نبذ القديم لغة وتراثا ودينا وقيما وأخيرا النظام العالمي الجديد الذي تبنية أمريكا وتستخدم فيه دول العرب الغرب

إن العالم العربي يمر بمحنة حضارية لم يرها طوال تاريخية تمثلت في تغريب الواقع المصري وظهرت هذه القضية في أروقة الجامعات وصفحات الصحف ودواوين الحكومة. ومن ذلك نرى أثر التغريب من خلال ترويج الفكر العربي والثقافة الغربية وذلك من خلال السيطرة على التعليم والسيطرة على الإعلام , والمعروف لكل إنسان أن السيطرة على التعليم والإعلام هي السيطرة على الفكر والثقافة .

كما يظهر أثر هذا التغريب من خلال زعزعة أولاء للغة العربية بادعاء صعوبة قواعدها وإشاعة العامية والكتابة بها وتبسيط قواعد اللغة إلى حد الإفساد ومحاولة إحلال لغات أجنبية محل الفصحى ويظهر أثر التغريب أيضا في الضربة القاسية التي وجهت إلى المجتمع المصري في عاداته وتقاليده وآدابه.

العامة حيث حاول الأعداء من خلال ذلك أن يغربوا مجتمعنا , وأن يسعوا به في الطريق الذي يذيب كيان هذه المجتمعات ويلقى بها ضحية مسلوبة الإرادة في أحضان الحضارة الغربية وهكذا فإن أحد النتائج المبكرة للتغريب هو إصابة التوازن الاجتماعي بالاضطراب والخلل.

وعلى هذا فإن التغريب حمله خطط لها بذكاء والهدف منها تغريب الواقع العربي بتحويل ولاء المسلمين للغرب وعاداته وتقاليده.

ومن خلال ما سبق استطعنا أن ندرك مظاهر الغزو الثقافي وقد تجسدت في حملات التغريب للواقع المصري كتغريب التعليم والثقافة والنظم الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وتغريب الأخلاق والآداب ثم تكون قمة التغريب بتغريب اللسان لقطعة عن اللغة العربية الفصحى "لغة القرآن" وإذا كان الغرب نفسه يخشى من الغزو الثقافي وما ترتب عليه من تغريب فإننا أولى أن نخشى الغزو والتغريب والتذويب وأن نعمل على حماية أنفسنا ضد كل أشكال التغريب الثقافي

ولكن ما هي طبيعة الأسباب والقوى التي مكنت الثقافة الغربية في مواقف اتصال عديدة من أن تسود وتسيطر وجعلت الثقافة التقليدية تخضع وتقبل. ولكننا

في حقيقة الأمر لا نجد إجابات شافية في التراث السوسيولوجي المتاح عن هذا التساؤل وذلك لأن التغريب كان هدفه الأساسي التبني الكامل للقيم الأخلاقية والاجتماعية والسياسية للمدنية الغربية .

ولنتساءل مرة أخرى هل لنا في محاولة لتحليل دور الاستعمار في فرض ثقافته؟ مع بيان دور المتلقي المغترب – وموقفه من هذا الوافد الثقافي أو بالأخرى الغزو الثقافي ؟ وكيف يمكن فهم نفسية المغترب ومنهجه الإستلابى أمام هذا الوافد ؟

ثانيا : الرؤى ووجهات النظر التي ترى في مواد البث الوافد اتصالا ثقافيا ويمكن تناول هذا المطلب من خلال أربع نقاط مهمة:

ضرورة الاتصال الثقافي

إن التلاقي والاختلاط الثقافي لصالح ثقافتنا وليس ضدها ذلك أن الثقافات الغربية تتميز حاليا بجانبها العقلي في ميادين العلم والتكنولوجيا وقدم لأصحاب هذه الثقافات منجزات سهلت عليهم الكثير من أمور حياتهم ولقد اتجهت أمم كثيرة للانفتاح على الغرب وحافظت مع ذلك على خصوصياتها الثقافية وأقرب مثال على ذلك اليابان والصين والهند.

وكشف باتي "Patai" على أن إدخال أي عنصر من عناصر الثقافة الغربية إلى ثقافة تقليدية غير يواكبه حتما عناصر جديدة وتغيرات كثيرة ينجم عنها إضطرابات خطيرة في الثقافة التقليدية. وفى ضوء هذه الحقيقة ينبغي علينا عندما نستعير عنصرا ثقافيا من أي ثقافة خارجية أن يكون هذا العنصر متمشيا مع ثقافتنا وأن نوظفه لخدمة ثقافتنا بشكل يجنبنا أي إضطرابات خطيرة في ثقافتنا , ولهذا ينبغي علينا أن نشارك في الفكر العالمي كله أيما كان مصدره . ندرسه ونتعمقه وننفذ إلى صحيحة ونتمثله .. فإذا نبذنا شيئا ننبذه عن علم عميق وإتقان وإذا أخذنا بشيء منه أخذنا عن وعى كامل ونقد فاحص وتمثل صحيح (عبد الرحمن بدوى , 1989, 35)ويعنى ذلك أن نأخذ ما يتفق وثقافتنا ونترك ما يضرنا ويؤثر على هويتنا وعاداتنا وتقاليدنا الأصلية . ومع ما تبديه معظم المجتمعات غير الغربية من انتقادات وتحفظ إزاء القيم وأساليب الفكر الغربي إلا أنها مع ذلك لا تتردد في اقتباس كثير من عناصر الحضارة الأمريكية والأوروبية (سمدون حمادي وآخرون "د.ت" ، 57). وعلي هذا فإن الإنماء الثقافي والاتصال الثقافي فرض واجب علي الإنسان اليوم ، ومن هنا يجب أن نعمل علي إحياء الثقافة العربية وتطهيرها من الشوائب والتشوهات التي طرأت عليها والاستناد عليها لتدعيم المقاومة المحلية ضد الغزو الثقافي ، فهذه المقاومةهي السبيل الوحيد لاستعادة وعي العرب الأصيل بذاتهم وهي السبيل الوحيد لاستيعاب الحضارة الحديثة لا باعتبارها تقليدا

أعمي للغرب ، وإنما بعد انتزاعها من إطارها القيمى وتكيفها مع القيم العربية وهكذا يتسنى للمجتمع المصري أن يساير العصر ويحتفظ بهويته وأصالته في الوقت ذاته .

أهمية الانتشار الثقافي

إن الثقافة هبي نتاج الفكر الإنساني وثمرة العقل البشري وخلاصة تجارب الإنسان في حياته الاجتماعية.

ولا يوجد في الوقت الحاضر المجتمع الذي يستطيع أن يستغني عن خبرات غيرة ويعيش معتمدا على نفسه.

ولأن الإنسان يتميز بين الكائنات بأنه له ثقافة تحتفظ بنتاج خبراته العقلية وأن ينقلها إلي الآخرين في بيئته عن طريق وسائل الاتصال الرمزي Symbolic وأهمها اللغة ، ثم يستطيع أن يربط خبراته هو بتلك التي تنقل إليه بما ييسر له تكوين نتاج مركب جديدوانطلاقا من هذا فإن الثقافة تنشأ في مجتمع معين ثم تنتشر إلي المجتمعات الأخرى فيما يسمي بالانتشار الثقافي ونستطيع الإفادة من تجارب الآخرين وتطويرها بما يناسب المناخ والواقع المصري ذلك لأن الانتشار الثقافي يعني انتشار لعناصر ثقافة معينة عن طريق نقل عناصر ثقافية من مجتمع أو أكثر إلي مجتمعات أخرى بسرعة وفي وقت واحد تقريبا.

أي أن هذا الانتشار الثقافي عامل من عوامل التغير وهو يعني استعارة ثقافة لعناصر جديدة من ثقافة أو ثقافات أخرى ، والعامل الرئيسي الذي يساعد علي هذا الانتشار الثقافي هو تقبل المجتمع الجديد للعنصر الثقافي الجديد وبذلك تحقق الثقافات الأقل انتشارا تواجدها لا أن تسيطر ثقافة معينه علي العالم كله وأي ثقافة لها اتجاهان ومثال ذلك يجب أن نؤثر علي الثقافة الأوروبية والأمريكية بقدر تأثيرها علينا حتى لا نفقد هويتنا وذاتيتنا الثقافية.

ضرورة الانفتاح الثقافي

إن التكيف الثقافي هو أحد شعارات مرحلة النظام العالمي الجديد. ولكي يتحقق هذا التكيف الثقافي ينبغي أن يكون مستوي التقدم في نتاج ثقافتنا يرقي علي الأقل إلي نظيرة في تلك الثقافات ، ويتطلب الارتقاء بنتاج ثقافتنا تربية عقول مفكرة منفتحة وجادة من الأجيال الصاعدة في مجتمعنا يمكنها أن تستفيد من تجارب الثقافات الأخرى ولديها القدرة علي تطويرها والإضافة إليهاولهذا أصبح الانفتاح الثقافي أمر ضروري لا مفر منه وإغفاله يؤدي إلى عماوالة عن الثقافات الأخرى في وقت يعتبر فيه التكاتف والتعاون بين الدول أمرا مصيريا ومطلبا حياتيا لا بد من تحقيقه .

وغني عن البيان أن التمايز الحضاري هو موقف مختلف عن الانغلاق أو العداء

الحضاري فرفض الانفتاح علي الحضارات الأخرى هو موقف ضار فعلا ؛ فضلا عن أنه غير ممكن في ظروف ثورة أجهزة الاتصال والتواصل التي تزداد فاعليتها في العصر الذي نعيش فيه.

ويمكن للانفتاح من خلال وسائل الإعلام عل ى الثقافات الأخرى أن يمثل عامل تحفيز وعامل زعزعة للاستقرار في آن واحد ؛ فكثير من الناس يشعرون بالقلق من أن تؤدي الصور المنقولة بوسائل الإعلام إلي تقوية الروح الاستهلاكية في المجتمعات المنقولة إليها . ومن ثم فإن الفهم الشمولي الحديث للحضارة المعاصرة والانفتاح المنضبط تجاهها أمر ضروري للتبادل الحضاري الصحيح ؛ لأن هذا الفهم هو الذي يمكن من الانتقاء والاستفادة العملية والفنية الصحيحة دون مساس بالقيم والعقائد والمبادئ والهوية ؛ ولهذا يجب الحذر من فهم الانفتاح والاقتباس الحضاري علي أنه دعوة إلي الانفتاح والتسيب المطلق أو أنه ذوبان ومتابعه لا حدود لها ، إنه انفتاح وتعامل واع خبير مستقل.

إن الباحث المتعمق يجد أن المسلمين حيث أتفتحوا علي الحضارة اليونانية أخذوا منها ما يتفق مع خصوصياتهم الحضارية.

ويشير واقعنا الثقافي في أكثر من مجال إلي أن تحقيق الخصوصية الثقافية لا يتم إلا بالانفتاح علي الحضارات الأخرى وعلي هذا فإن الانفتاح المنضبط تجاه الحضارة المعاصرة أمر ضروري للتبادل الثقافي .

ضرورة التبادل الثقافي

وتقوم العلاقات الثقافية بين الشعوب علي أساس من الفهم المتبادل تجاه بعضهم البعض ، فالتفاهم والتبادل الثقافي القائم علي المعلومات التي ترد إلينا من الخارج لا تستأثر بها الصفوة بل ينالها الجميعوتقوم بهذه المهمة وزارة الثقافة ومؤسساتها المختلفة كالمسرح والسينما والثقافة الجماهيرية وغيرها ، وفي المجتمع الحديث نجد وسائل الاتصال تلعب دورا مهما في عملية التبادل الثقافي عن طريق طرحها كما هائلا من الثقافات المتنوعة علي المشاهد والمستمع والقارئ وبذلك تفتح مجالات عديدة أمام المبدعين وتساعد علي تنمية الثقافة الذاتية للفرد التي بدورها تصبح جزء من الثقافة الوطنية هذا وقد انبثق عن برنامج اليونسكو إنشاء مراكز إقليمية عديدة من بينها في القاهرة ما يسمي بمركز القيم الثقافية بين الشرق والغرب عام 1963 ، وأسهمت اليونسكو في تمويل أنشطته لفترة عشر سنوات ، وتضمن برنامج نشاطه ترجمة عدد من المؤلفات التي تبرر دور الثقافة ... أو تعكس موقفها من بعض القضايا المهمة إلي بعض اللغات الأوروبية.

والتبادل الثقافي يقوم علي قوة المعلومات والمثاقفة من كلا الطرفين حتى لا تضعف الثقافة الوطنيةولقد حرصت مصر علي أصالتها وهويتها رغم تعرضها للغزوات مرات كثيرة في مراحل تاريخها ، وكانت مرونة الذات المصرية ورحابة أفقها يتيحان لمصر انتقاء ما يلائمها من صفوة حضارة الآخرين وثقافاتهم دون أن يخل هذا الانتقاء بأمنها الثقافي الذي حرصت عليه حرصها علي أمن الأرض والبشر ، بل كان انتقائها خير ما عند الآخرين من عوامل اتساع ثقافتها وزيادة عمقها ومن ثم أمنها وأمانيها ونحن نتفق مع هؤلاء الباحثين في أن نستفيد من حضارة الغرب وننهل منها لكن ما يتناسب مع أصالتنا وقيمنا وأن يتم النهل أو الاقتباس بشكل إداري واع وعن طريق الانتقاء لما يلائمنا فنأخذ ما نراه أوفق لنا وندع غيرة ونضع ما نقتبسه في مكانه الصحيح من حياتنا ، مع التيقن أن الاقتباس يتم لمصلحة المقتبس لا لترسيخ قدم المقتبس عنه كي لا يتمكن منا كما يأمل الاستعمار الثقافي ، وذلك من منطلق أن الحضارة الإنسانية الحالية ليست ملكا لشعب بعينة بل أنها ارث الإنسانية جمعاء وقد ساهمنا فيها وساهم غيرنا فيها لكننا نفرق بين حضارة عطاء إنساني وحضارة استبعاد واستغلال واستلاب واغتصاب لعقول الآخرين وتمزيق لهوية الآخرين الثقافية والاجتماعية ، ثم نقول لهؤلاء الذين يركزون علي أن البث الإعلامي الفضائي وسيلة للتبادل الحضاري والعلمي والثقافي. هل من العدالة والحضارة أن يكون البث الإعلامي المعلوماتي والإخباري لا متوازن وباتجاه واحد ومضامين منتقاة موجهة إلي شعوب بعينها وبشكل سلبي مما يجعلها فريسة سهلة لهذا الإعلام ؟

على إيه حال فإنه لا خوف علي الإطلاق مما يوصف بأنه غزو ثقافي أو اختراق إعلامي مادمنا نحصن أنفسنا بالتعليم والتثقيف ونحرر برامجنا الإعلامية ونتوسع ونيسر توصيلها إلى جميع قطاعات الشعب.

ولكن ليس معني ذلك أن نصم أذننا عن الثقافات الوافدة بل لابد أن يكون لنا موقف منها حينما نرى أنها تؤثر في ذاتيتنا الثقافية . ومن هنا علينا أن نلتمس الوسائل الكفيلة باتقاء الشر قبل وقوعه , ولكن ماذا نستطيع أن نفعله إزاء ما يفرض علينا فرضا عن طريق الأقمار الصناعية ؟ وكيف نحمي أبناءنا وبناتنا منه ؟ ليس أمامنا إلا المزيد من ثقافتنا الأصلية وقيمنا التي تحصننا ضد أي غزو ثقافي ، ثم علينا أن نرتفع بمستوي المادة الثقافية الإعلامية التي يتعرض لها المراهقون من خلال وسائل الإعلام ومن ثم يكون ذلك هدفا أساسيا إستراتيجيا في السياسة الثقافية والإعلامية للإنسان .

العولمة وتكنولوجيا الإعلام والاتصال الحديثة

تعد ظاهرة العولمة من أكثر الظواهر إثارة للجدل والنقاش في السنوات الأخيرة سواء على مستوى الدوائر العلمية الأكاديمية أو على مستوى المحافل العلمية السياسية الدبلوماسية والاقتصادية، في ضل انفجار تكنولوجي كبير في ميدان الإعلام والاتصال، ارتفعت بموجبه قوة جمع المعلومات وتخزينها واستغلالها ونقلها إلى مستويات غير مسبوقة في تاريخ الإنسانية من قبل، انبعث في خضمها "مجتمع المعلومات" هذا المصطلح الذي يؤشر إلى العديد من الإشكاليات والقضايا حينما يقترن بموجبة عولمة الإعلام و الاتصال. لا على المستوى القطري فحسب و لكن فيما يتصل بمحاولات تعميمه ليشمل المجتمع الكوني أيضا، وازدادت ظاهرة العولمة أهمية نتيجة تباين أبعادها، و تشعب آثارها إذ لم تقتصر انعكاسات هذه الظاهرة على مجرد التأثير على وقائع العلاقات السياسية والاقتصادية الدولية فحسب وإنما جاوزت ذلك لتشمل التأثير على الأوضاع الداخلية في معظم دول العالم مخلفة ورائها آثار ملموسة على مختلف جوانب الحياة الإنسانية. وقد كان من شأن تلك الأهمية البالغة التي انتهت بها هذه الظاهرة وذلك الاهتمام الكبير الذي حظيت به.

تعددت الدراسات التي عنيت بتحليلها و تبيان آثارها.كما تباينت الاتجاهات والآراء والمواقف بصددها ما بين مؤيد ومعارض أو ما بين مرحب ومندد .
في هذا الصدد جاءت كتابات عدة، منها كتاب "نهاية التاريخ" لـ "فوكوياما" و كتاب "صراع الحضارات" لـ "هنتجتون" وكتاب "صعود وهبوط الإمبراطوريات" لـ "بول كنسي" وكتاب "الموجة الثالثة" لـ "توفلر". وكتب أخرى من تلك التي برزت خلال السنوات الأخيرة تأتي ضمن سياق المشروع الفكري في الدول المتقدمة لفهم طبيعة اللحظة الحضارية المستجدة واستكشاف آفاقها وفرصها وتحدياتها ومساراتها المستقبلية المحتملة وذلك من أجل الاستفادة من الفرص والتقليل من المخاطر المحتملة.

إن الحديث عن تكنولوجيا الإعلام و الاتصال في علاقتها بإشكالية العولمة أمر متشّعب ومعقد، وما يزيد هذه العلاقة تعقيدا وتشعبا واختلافا، المحددات التي تحكم طرفي المعادلة، ولتبسيط هذا الطرح ارتأينا في بحثنا هذا التطرق إلى العولمة بصفة عامة، ثم إلى تكنولوجيا الإعلام والاتصال و عولمة الإعلام وأشرنا في الأخير وهو الأهم في نظرنا إلى أبعاد عولمة الإعلام والاتصال لما له من علاقة باهتماماتنا البحثية .

ومن خلال ما سبق الإشارة إليه تتبادر إلى أذهاننا مجموعة من التساؤلات نلخصها في الآتي:

ما هي العولمة؟ و فيما تنعكس تجلياتها؟ وما المقصود بعولمة الإعلام؟ و ما هي الأبعاد التكنولوجية لعولمة الإعلام؟ وما هي الآثار الاجتماعية لهذه الأخيرة؟

العولمة وتكنولوجيا الإعلام والاتصال:

العولمة لغة هي: تعميم الشيء و توسيع دائرته، ويقال عولم الشيء أي يجعله عالميا، ولقد كان من شأن تزايد الاهتمام بظاهرة العولمة في السنوات الأخيرة وشيوع الكتابات المعنية بدراستها أن تعددت و تنوعت التعريفات التي تناولت مفهوم العولمة، فراح كل باحث يركز على بعد معين من بين الأبعاد المختلفة لهذه الظاهرة، بحسب اهتمامات العلمية أو العملية، تماشيا مع مقتضى التوجهات الفكرية و الإيديولوجية لواضعيها، وبعيدا عن كل الإيديولوجيات فان ما يهمنا في هذا المقام هو العولمة والإعلام والاتصال وعلاقتها بالتكنولوجيا.

العولمة، الكوكبة، المحلية، :Glocalisation Globalisation Mondialisation من خلال تضارب المفاهيم حول ظاهرة العولمة برزت مفاهيم جديدة تدور حول هذا المصطلح، فما جرت عليه العادة في الفكر السياسي العربي و كذالك الاقتصادي و الاجتماعي عامة على إدراج المفاهيم بترجمتها ترجمة حرفية أو محاولة فهم دلالاتها إلا أنها عند استعمالها كثيرا ما لا تعبر المفاهيم و المصطلحات المستعملة بالعربية على تلك الترجمة أو المستعملة في اللغات الأجنبية مثلا Mondialisation: و Globalisation ليس لها نفس الدلالة لأن المصطلح أو الكلمة مركبة Mondial ثم Tion بالفرنسية و تعني الأولى العالم و كذلك Globalisation و تعني Global و Tion (Suffixe) و تعني الأولى الشمولية و يقصد بها لغويا العالم أجمع أو العالمية و من هنا جاء المصطلح العربي العولمة، الكوكبة، الكونية والشمولية. إذا هناك أربعة مصطلحات لمدلول واحد، بينما المصطلح المذكور هو مصطلح مزدوج يحمل بداخلة التناقض فهو حركي. فإذا كانت الأولى تعني العالمية فإن Suffixe Tion يعني عكس ذالك تماما أي التجزئة أو التفكك و من هنا فإن المصطلح يذهب من الشمولية إلى التفكك و يعبر الشق الأول الذي هو Global على الطابع العالمي للشيء. أما الثاني الذي يحمل الخصوصية أو التجزئة التي تكون العولمة على أساس أن النظام الدولي يتكون من وحدات سياسية تواجه ظاهرة العولمة. غير أن ضغط الفضاء السياسي بين الدول وتقليص المسافات بينها قد يؤدي إلى تشجيع ظهور الخلافات بينها في نفس الوقت، والذي يعبر عنه مفهوم آخر بجانب العولمة و هو مفهوم النزوع إلى

المحلية Glocalisation والمحلية إذا تم تدعيمها و تعميمها قد تؤدي إلى التركيز على محلية النشاط الاقتصادي والسياسي. ونقل السلطة من المستوى القومي إلى المستويات الأدنى بطريقة تشجع على الاستجابة إلى العولمة غير أن التركيز على المحلية بهذا الصدد قد يؤدي إلى ظهور تيار مضاد للعولمة، ذالك أن العولمة وإن كانت تقلل من أهمية الجغرافيا ونعني الحدود بين الدول لصالح العلاقات الكونية، فإن المحلية لو عممت يمكن أن تركز على العلاقات الجغرافية بحيث تصبح العلاقات في سياق إقليمي بالغة الأهمية.

العولمةيمكن أن تظهر على شكل كونية. و هذا معناه نظرية الرؤية للمشاكل التي تطرح بنفس الطريقة على المستوى العالمي، هذه الفكرة مصدرها أنجلوسكسوني معمول بها في اليابان، وجدت كل معانيها في التحاليل الاقتصادية. في نفس المسار. مع بعض التقاليد الإنجليزية، هذا التوجه يتعلق بصفة غير مباشرة أو مباشرة بأن النوع الإنساني هو المؤشر الرئيسي في الفوضى الموجودة في العالم.

العولمة في الترجمة الفرنسية للفظ الكونية Globalisation لا تتلخص في التبادلات الاقتصادية حول المؤشر الوحيد لانفتاح الحدود، العالم أصبح بعض الشيء معولم في 1913 إلى اليوم، العولمة هي التقارب المفاجئ بين المجتمعات سواء من أجل مصالح تكنولوجية، اقتصادية، سياسية أو غيرها.

تجليات العولمة:

و نقصد بها أهم المجالات التي يتم التركيز عليها عموما من طرف القوى الفاعلة فيعملية العولمة:

1. التجليات السياسية: وذلك عن طريق شعار الدّمقرطة و توسيع الحريات السياسية في إطار إعادة صياغة المبادئ المؤسسة للبرالية الأولى التي تتميز برؤية عالمية كونية، وترى في جوهر التاريخ، السير من العبودية للنظم والثقافات إلى التحرر الشامل والحرية الفردية ... ولكن المرحلة الحاسمة في هذا المسار جاءت بعد انهيار "الاتحاد السوفيتي" وانتشار الديمقراطية إلى أكثر من 20 دولة دفعة واحدة، وفي ظرف سنتين فقط، وتعد إفريقيا آخر قارة تأثرت بهذا التحول العالمي السريع و الشبيه بموجة الاستقلال "مثال: الجزائر، نهاية مرحلة الحرب الواحد.
2. التجليات الاقتصادية: و ذلك عن طريق اقتصاد السوق، فمنذ انهيار سور برلين إلى مقدمة الخطاب الاقتصادي شكل مكثف لدرجة يمكن تسميتها بالدغمائية المعاصرة، أو كما يصفها الكاتب "إغناسيو راموني": هي شكل من أشكال العقيدة التي تحجب عن المواطن الحر أي تفكير متنوع، تكبته،

تعكره، تشله، وتنتهي بكتم أنفاسه، في إطار فكر أحادي جديد هو في الحقيقة ترجمة لمصالح مجموعة محدودة من القوى الاقتصادية

3. التجليات الثقافية: وذلك عن طريق تآكل الاختلاف والتمايز، والاتجاه إلى التوافق وطمس الهوية، ويقول أحد المفكرين في هذا الصدد: "أن العالم مستقبلا ستهدده قنبلة طمس الهويات."

عولمة الإعلام والاتصال:

مفهوم عولمة الإعلام والاتصال:

مما لا شك فيه أن العولمة بمختلف مظاهرها قد لاقت الكثير من البحث والدراسة، ولكن على الرغم مما كتب ودرس، فإنه لم تظهر سوى محاولات قليلة لتحديد مفهوم عولمة الإعلام والاتصال وعلاقتها بتكنولوجيا الإعلام والاتصال الحديثة.

وفي هذا السياق ناقش "جيدنز" عولمة وسائل الإعلام (Media-globalisation) على أنها ضغط للزمان و المكان، و هي سمة رئيسية في العالم المعاصر و أشار إلى أن عولمة الإعلام هي الامتداد أو التوسع في مناطق جغرافية مع تقديم مضمون متشابه، وذلك كمقدمة لنوع من التوسع الثقافي، وأكد "جيدنز" أن وسائل الاتصال التكنولوجية الجديدة جعلت من الممكن فصل المكان عن الهوية، والقفز فوق الحدود الثقافية والسياسية، والتقليل من مشاعر الانتساب أو الانتماء إلى مكان محدد، وشدد "جيدنز على أهمية دور وسائل الإعلام في خلق وتضخيم الحقائق اعتمادا على الصور والرموز.

وتبقى محاولة الدكتور "محمد شومان" رائدة في مجال تحديد مفهوم واضح لعولمة الإعلام والاتصال، والتي رآها: "عملية تهدف إلى التعظيم المتسارع والمستمر في قدرات وسائل الإعلام و المعلومات على تجاوز الحدود السياسية و الثقافية بين المجتمعات بفضل ما توفره التكنولوجيا الحديثة، والتكامل والاندماج بين وسائل الإعلام والاتصال والمعلومات، وذلك لدعم عملية توحيد ودمج أسواق العالم من ناحية، وتحقيق مكاسب لشركات الإعلام والاتصالات والمعلومات العملاقة متعددة الجنسيات على حساب تقليص سلطة ودور الدولة في المجالين الإعلامي والثقافي من ناحية أخرى.

ويعرفها الدكتور "عبد الملك ردمان الدناني" بأنها: "تعبير عن اتساع التدفقات الدولية في مجالات الإعلام و المعلومات و نقل الأفكار والقيم و العادات الاجتماعية المختلفة من خلال وسائط الاتصال الحديثة والمتطورة التي برزت إلى الساحة الدولية بشكل واسع، وانتشرت في عقد التسعينات من القرن العشرين،

وسعت للترويج لمظاهر العولمة الجديدة، حتى اجتاحت العالم كله، و منها قنوات البث الفضائي المباشر كما هو موضح في الشكل الآتي:

- ثورة المعلومات
- وسائط الاتصال
- أقمار الاتصالات
- العولمة الإعلامية
- قنوات البث الفضائي

أبعاد عولمة الإعلام:

ينطوي مفهوم عولمة الإعلام على مجموعة من الأبعاد و المكونات الأساسية هي:

أن عولمة الإعلام علية متسارعة التغير، و بالتالي لم تتشكل ملامحها النهائية بعد، فهي تمر بمرحلة انتقالية، و ذلك لسببين هما:

الأول: أن عولمة الإعلام تعتبر أحد أبعاد عملية أوسع هي عولمة الاقتصاد والاجتماع والثقافة والسياسة، ونظرا لعدم الاستقرار أو تبلور عملية العولمة فان هناك مجموعة من الرهانات والتحديات الاقتصادية، والسياسية والثقافية التي تحدد مسار تطور عملية عولمة الإعلام و الاتصال.

الثاني: إن عولمة الإعلام تعتمد في بعد مهم منها على نتائج الثورة في مجال الاتصالات، والتي بدأت لتوها و سوف تستغرق تطوراتها عدة عقود قادمة، وستدفعها إلى الأمام التطبيقات الجديدة، أي الأدوات الجديدة التي ستلبي حاجات غير متنبأ بها حاليا.

الترابط والتكامل بين مجالات الإعلام و تكنولوجيا الاتصال و مجتمع المعلومات، بحيث أصبح من الصعب تعريف الإعلام و الاتصال بمعماوال عن تكنولوجيا الاتصال و المعلوماتية، فالثورة العلمية في تكنولوجيا الإعلام والاتصال وأوجدت وسائل جديدة، كالبث التلفزيوني الفضائي، والتكنولوجيا الرقمية التي وفرت إمكانيات هائلة لاستقبال الصوت والصورة بدقة و نقاء غير مسبوقين، وكذلك وسائل الإعلام المرئية التفاعلية، والفيديو، والصحافة الالكترونية، عبر شبكة الانترنت، ووسائل الاتصال المحمولة، علاوة على التطبيقات المختلفة للوسائط المتعددة، وقد ارتبطت هذه الوسائل و التطبيقات بالمعلوماتية وبداية الدخول في مجتمع المعلوماتية.

النمو الهائل في اقتصاديات الإعلام و الاتصال و المعلومات، و قد أفضى هذا النمو إلى مزيد من التداخل بيت عولمة الإعلام و عولمة الاقتصاد، فأصبحت

عولمة الإعلام جزءا أصيلا من عولمة الاقتصاد، و ذلك بالنظر إلى الدور الذي يلعبه قطاع الاتصالات و الإعلام والمعلومات في اقتصاديات الدول الكبرى، والأسواق العالمية، من هنا فان أحد أبعاد عولمة الإعلام و الاتصال هو تعظيم الأرباح للشركات متعددة الجنسيات التي تعمل في مجال إنتاج وسائل الإعلام و الاتصال والمعلومات وإنتاج المضامين الإعلامية المختلفة، فضلا عن صناعات الإعلام والمعلومات.

توسيع الخيارات والبدائل الإعلامية أمام الجمهور، فقد وفرت تكنولوجيا الاتصال والمعلومات، و بصورة غير مسبوقة مئات القنوات التلفزيونية، ومئات المحطات الإذاعية، وعشرات الصحف و المجلات المحلية والدولية فضلا عما توفره من وسائل الاتصال الأحدث و المرتبطة بالمعلوماتية.

تقليص دور الحكومات و المنضمات الدولية في تنظيم بيئة الإعلام و الاتصالات المحلية و الدولية لصالح الشركات الاحتكارية المتعدد الجنسيات. وفي هذا السياق تطرح عولمة الإعلام مشكلة خصخصة وسائل الإعلام و الاتصال و إنهاء دور الدولة في مجالات الإعلام.

الأبعاد التكنولوجية لعولمة الإعلام والاتصال

التكامل والاندماج:

يعني ذلك مع كافة وسائل الإعلام الجماهيري و تكنولوجيا الاتصالات و المعلومات فمع تطور الحاسبات و شبكات الهاتف و شبكات المعلومات و استخدام تكنولوجيا البث الفضائي ظهرت تكنولوجيا الاتصال متعدد الوسائط و تكنولوجيا الاتصال التفاعلي بتطبيقاتها المختلفة وأشهرها حاليا الانترنت، و على الرغم من أن الوسائلالاتصالية التي أفرزتها التكنولوجية الاتصالية الراهنة تكاد تتشابه مع الوسائل التقليدية إلا أن هناك سمات مميزة للتكنولوجيا الاتصالية الراهنة بأشكالها المختلفة مما يلقى بضلاله و يفرض تأثيراته على الوسائل الجديدة ومن ابرز سمات التكنولوجية الاتصالية الراهنة نجد:

- التفاعلية: أي القدرة على تبادل الأدوار بين مرسل الرسالة الاتصالية و مستقبلها إذ يتحول من يتعامل مع وسائل الاتصال الحديثة من مجرد متلقي سلبي إلى مشارك متفاعل يرسل ويستقبل المعلومات في الوقت ذاته.
- اللاجماهيرية: فلم تعد وسائل الاتصال تعتمد علي مخاطبة الجماهير فحسب غي رسائل عامة و منمطة بل أضحت إمكانيتها توجيه رسائلها و مضامينها إلى فرد بعينه أو إلى جماعة أو فئة معينة تبعا لاهتماماتها وحاجاتها الخاصة فحرجت بذالك من نطاق العمومية إلي خصوصية الرسالة تبعا لحاجة مستقبلها.

- اللاتزامنية: لان عمل وسائل الاتصال الحديثة بتكنولوجيتها المتقدمة و التي مكنتها من العمل الدائم والمستمر 24 ساعة يوميا تجاوز بها محدودية الوقت في استقبال الرسائل والاتصال من طرف الجمهور إلي إمكانية إرسال واستقبال الرسالة في الوقت الذي يناسب المرسل والمستقبل علي حد سواء فأصبح لكل مرسل أن يبعث برسالته الاتصالية التي يريدها في التوقيت الذي يناسبه هو كما أصبح لكل مستقبل أن يستقبل الرسالة التي تصله في الوقت الذي يناسبه هو.
- قابلية التحرك والتحويل والتوصيل: فهناك وسائل اتصال كثيرة يمكن استخدامها والاستفادة منها في أي مكان و في أي وقت دون الحاجة إل ى معدات كثيرة من اجل الاتصال والتشغيل مثل الهاتف النقال تلفزيون السيارة و التلفون المدمج مع ساعة اليد ..... و غيرها من الوسائل الحديثة التي طورت تكنولوجياتها كما أصبح لكثير من وسائل الاتصال الحديثة ذات التكنولوجيات العالية القدرة علي نقل المعلومات من وسيط لأخر و تحويلها من صورة لآخري كتحويل الرسالة المسموعة إلي رسالة مكتوبة والعكس وكذا نظام الترجمة الآلي وقد زادت إمكانية بعض وسائل الاتصال الحديثة و قدرتها علي توصيل الرسائل السريعة والكثيرة بفضل إمكانية توصيل الأجهزة الاتصالية مع بعضها البعض لتشكيل منظومة اتصالية متكاملة بغض النضر عن اختلاف الشركات الصانعة أو تباين دول التصنيع.
- الانتشار والتدويل: أدى التطور التكنولوجي الهائل في تصنيع وسائل الاتصال والمعلومات إلي تقليل تكاليف إنتاجها إلي الحد الذي أتاح لها قدرا كبيرا من الانتشار و اتساع نطاق الاستخدام بين الأفراد رغم تفاوت مستوياتهم الاقتصادية والثقافية بحيث لم يعد ينضر إلي هذه الوسائل ترفا لا داعي له وإنما باعتبارها ضرورة لا يمكن الاستغناء عنها كما أن الربط بين وسائل الاتصال الحديثة قد بات عالميا أو كونيا بهدف تخطي الحدود الإقليمية إذ أصبح في الإمكان الاتصال بأي مكان في العالم من الهاتف المحمول أو من الهاتف العمومي كما تعددت قنوات البث التلفزيوني الفضائي.

وبصفة عامة فإن تكامل واندماج وسائلا الإعلام وتكنولوجيا الاتصال والمعلومات أحدث تحولات هيكلية في بنية العمليات الاتصالية وأتاح للمتلقين إمكانيات غير محدودة للاختيار و التفاعل الحر مع القائمين بالاتصال و تبادل الأدوار الاتصالية وكسر مركزية الاتصال فضلا عن تعظيم استخدامات مسائل الإعلام والاتصال في التسويق والترويج والتجارة على الصعيدين المحلي والدولي و مجمل هذه التحولات تبلورت بوتيرة متسارعة ما اصطلح تسميته بمجتمع المعلومات.

زيادة أهمية تكنولوجيا الإعلام والاتصال:

ازدادت أهمية تكنولوجيا الإعلام و الاتصال في الثمانينات و التسعينات لما اتسم به هاذين العقدين من تحولات كبرى عمت أرجاء الوطن العربي خاصة وأثرت على باقي الدول وأبرزها كما يري "نايسبت.

- التحول من المجتمع الصناعي إلي مجتمع ما بعد صناعة مجتمع المعلومات
- التحول من الاقتصاد الوطني المغلق علي نفسه إلى الاقتصاد العالمي
- التحول من الاهتمامات المدى القصير إلى اهتمامات المدى البعيد ومن ثم أهمية التخطيط الاستراتيجي
- التحول من النظم المركزية إلى النظم اللامركزية
- التحول من الاعتماد على التبعية للمؤسسات والمنضمات إل ى وضع يسود فيه الفرد و تزداد فيه أهمية الاعتماد علي الذات
- التحول من النظم الديمقراطية النيابية إلي نظم ديمقراطيات المشاركة.
- التحول من التنظيمات الهرمية القائمة علي السلطة المركزية و فوارق المستويات إلى التنظيمات المتداخلة القائمة عل ى التفاعل التكامل بين عناصر التنظيم.
- التحول من الشمال إلي الجنوب
- التحول من التفكير في البدائل المتعارضة إل ى التفكير في البدائل المتكاملة والمتداخلةكما حدد "نايسبت" تحولات عقد التسعينات في انطلاقة الاقتصاد العالمي ونهضة الآداب والفنون وظهور اشتراكية السوق الحر و ظهور أنماط حياة متشابهة عالميا مع زيادة الضغط من اجل المحافظة علي الثقافات القومية وانتشار وتعاظم الاتجاه نحو التخصيص وتزايد أهمية البيولوجيا وتزايد دور المرأة في القيادة والصحوة الدينية وانتصار الإنسان الفرد ونهضة دول الحزام الباسيفيكي. ويرصد الدكتور "نبيل علي" بعض الأسباب التي زادت من أهمية تكنولوجيا الإعلام والاتصال في المجتمع الحديث و المرتبطة أيضا بما سبق وهي تحول الاقتصاد إلي العالمية.
- نمو الحاجة لسرعة تبادل المعلومات بين مواقع العمل المختلفة داخل المؤسسة الواحدة وبين المؤسسات ببعضها البعض بحيث أصبحت شبكة المعلومات بمثابة ضابط الإيقاع.
- الاتجاه لتفتيت الاتصال الجماهيري ليصبح أكثر تصويبا من اجل تنويع الخدمة الإعلامية و الإعلانية و بثها لفئات من الجماهير المستهدفة
- إن عملة اتخاذ القرارات لم تعد تعتمد على المعلومات المتوفرة داخل المنشأة فقط بل أصبحت تعتمد في كثير من الأحيان علي المعلومات من خارجها.

▪ الاتجاه المتزايد لمؤسسات الأعمال حاليا نحو تقليل حركة الأفراد، و الاستعاضة عنها بالاتصالات الهاتفية والفاكس وعقد المؤتمرات عن بعد، بهدف توفير الطاقة وتخفيض تكاليف الإقامة والوقت الضائع في سفر الأفراد لأغراض العمل. غير أن التسارع في نقل المعلومات وتداولها قد يشكل في الكثير من الأحيان الاضطراب في سرعة نقل المعلومات.

وهكذا يتبين أن الدور الذي لعبته تكنولوجيا الاتصال و المعلومات عبر التاريخ في صياغة وتشكيل البنية الاجتماعية و الثقافية، يضاف إليه العلاقة التفاعلية التي زادت وتعقدت بين تكنولوجيا الاتصال و المعلومات، و بين سائر قطاعات المجتمع والتي تأكدت معالمها أكثر في الربع الأخير من القرن 20، بعد أن أصبح قطاع الاتصال و المعلومات هو القطاع الأساسي في المجتمع المعاصر، وأصبح يطلق على المجتمعات المتطورة تكنولوجيا مجتمعات المعلومات، تميز لها عن عنصرين أو نمطين سابقين للحياة أو للتطور، هما نمطا الزراعة و الصناعة، فقد شكلت الاتصالات والمعلومات، إذن سمة مجتمعات ما بعد الصناعة. فمنذ أوائل السبعينات شكل ذلك القطاع المرتبط بإنتاج المعلومات وإدارتها وبثها، وتوزيعها في أشكالها المتعددة، المعروف بقطاع التكنولوجيا الاتصال، في داخله قطاع تكنولوجيا المعلومات واحدة من أكثر القطاعات حيوية في الاقتصاد العالمي.

فالعولمة أصبحت تعني مجموعة من العمليات التي تغطي اغلب الكوكب أو التي تشيع علي مستوي العالم ومن هنا فالعولمة لها بعد سكني لات السياسة و الأنشطة الاجتماعية الأخرى أصبحت تبسط رواقها علي كل أنحاء المعمورة و العولمة من ناحية أخري تتضمن تعميقا في مستويات التفاعل و الاعتماد المتبادل بين الدول والمجتمعات التي تشكل المجتمع العالمي زيادة علي بعد الامتداد عبر العالم يضاف بعد تعمق العمليات الكونية.

زيادة فاعلية أداء وسائل الاتصال خاصة في مجال الأخبار

إن الأخبار كأبرز محتويات وسائل الاتصال قد أفادت بشكل كبير من التطورات الراهنة في تكنولوجيا الاتصال مما أدى إلى زيادة فاعلية أداء وسائل لإيصال لمهامها الإخبارية على الصعيدين المحلي و الدولي " و تتمثل أبرز مجالات الإفادة الإخبارية من تكنولوجيا الاتصال في الجوانب الآتية:

توسيع نطاق التغطية الإخبارية الجغرافية من خلال بث وقائع الحدث على الهواء مباشرة سواء داخل الدولة أو خارجها, فقد أصبح للشبكات التلفزيونية الفضائية الكبرى مراسيلها في كل نقطة من نقاط العالم التي تتسارع فيه الأحداث خاصة, أو التي تشهد توترات مستمرة.

- تزايد قنوات الأخبار وزيادة سعة كل قناة , حتى في الدول التي تعاني من ضعف في الإمكانيات والتجهيزات التكنولوجية, و بذلك أصبحت وسائل الإعلام أمام كم هائل من الأخبار. الأمر الذي يتيح لها حرية اختيار أوسع
- تحسن الأداء المهني للوظيفة الإخبارية لوسائل الاتصال , من خلال ابتكار نظم لحفظ المعلومات واسترجاعها داخل البلد الواحد وخارجه على المستوى الدولي من خلال توظيف بنوك المعلومات.الحركية المتزايدة للمعلومات وحسب وجهة نظر انطوني جيدنز 2000 فقد بدأت العولمة بإطلاق أول الأقمار الصناعية للاتصالات في الستينات من القرن الماضي مما سمح بترسال المعلومات الفوري عبر العالم.

استحداث وسائل وقنوات إخبارية جديدة تماما ومختلفة عن الوسائل و القنوات التقليدية , مثل أنظمة النصوص المتلفزة , والجرائد والمجلات الإلكترونيةوهكذا تبرز أكبر آثار تكنولوجيا الاتصال الراهنة في عملية التغطية الإخبارية، فقد ألغت هذه التكنولوجيا الفواصل الدقيقة بين مراحل نشر الخبر الثلاثة ألا وهي:

مرحلة اندلاع الخبر. ومرحلة بث الخبر. ومرحلة التشبع الإخباري. و قد تم ذلك من خلال عملية تغطية الأخبار فور وقوعها بتوظيف نمطين مستحدثين من الأساليب الفنية في التغطية الإخبارية التلفزيونية: الأول: وهو التغطية الإخبارية الالكترونية، الثاني: وهو التغطية الإخبارية بواسطة الأقمار الصناعية.

ويدخل ضمن هذا الإطار تطور التجارة الدولية والاستثمار الأجنبي المباشر، وتراخيص التصنيع و المشروعات المشتركة و تدويل الأسواق إلى المستوى الكوني. كل هذا يدخل في إطار أنشطة الأعمال الدولية الناتجة عن الكونية.

العولمة بمعنى عملية توحيد الكوني تشير إلى ما يذهب إليه أنصار هذا الإتجاه حول النظر إلى العالم كوحدة واحدة و من ثم فالعولمة من وجهة نظر هؤلاء هي محاولة لتحقيق ما يشبه الوحدة الكونيةو يعد كل من Olivier Reiser و B.Daviesأول من نحت فعل يعولم To globaliz وذلك في الأربعينات من القرن العشرين بمعنى النظر إلى الكون كوحدة واحدة أو ككل مترابط و في هذا الإطار تشير كلمة Global إلى كل ماهو عالمي أو كوني.

إحدى خصائص الكونية الرئيسية في السنوات الأخيرة قد كانت ظاهرة الزيادة المتنامية في التجارة الدولية تعني الكوكبة جعل الشركات ملزمة بأن تصدر ما تنتجه من سلع وخدمات كونيا وأيضا أن تبحث عن مصادر السلع والخدمات اللازمة لها كونيا أيضا. وهو ما يعرف ب Globalisation والتي تقودها الأن الثورة في تكنولوجيا المعلومات والتقدم في وسائل المواصلات إلى نظام

أعمال متكامل على المستوى الكوني في مثل هذا النظام تصبح السلع والخدمات قابلة للنقل بصورة ملفتة، على المستوى المحلي والدولي.

نظرية المنظومات العالمية

نظرية المنظومات العالمية هي النظرية التي تدرس تطور منظومات الاجتماعات ويعتبر مؤيدوا تلك النظرية ان الدراسة لتطور مجتمع واحد غير كافية للفهم الحقيقي لذلك التطور. ومن مؤسسي هذه النظرية سمير أمين وأندرية غوندير فرانك (Andre Gunder Frank) وإمانوئيل واليرستاين (Immanuel Wallerstein).

وحسب رأي أندرية غوندير فرانك ظهرت المنظومة العالمية (the World System) في الشرق الأوسط في حوالي سنة 3000 قبل الميلاد. ويعتقد بعض الباحثين الاخرين أنها نشأت قبل ذلك بعدة آلاف سنة. وبعد ذلك اتسعت عبر عدة مراحل وفي القرن التاسع عشر ضمت العالم كله.

فهناك معطيات كثيرة تدلّإلى الانتشار المتواصل للاختراعات التكنولوجية الكبرى (النباتات الزراعية مثل القمح والشعير، والحيوانات الداجنة مثل البقر والخروف والماعز والحصان، والمعدات المهمة مثل المحراث أو العجلة، والمعادن مثل النحاس والبرونز والحديد، الخ) أثناء عدة آلاف سنة قبل الميلاد في كل الحزام الهائل من المجتمعات الممتدّ من المحيط الأطلسي إلى المحيط الهادئ. ونتيجةً لعمليات الانتشار هذه من المستحيل أن نقول إنّتطوّر كل مجتمع في هذا الجزء من العالم كان تطوّراً مستقلا بالفعل. وفي نهاية الألفيّة الأولى قبل الميلاد نستطيع أن نشاهد حزاماً من الحضارات ممتدّاً من المحيط الأطلسي إلى المحيط الهادئ محتوياً على أفريقيا الشمالية وأوربا الجنوبية وأوربا الغربية وآسيا الغربية وآسيا الوسطى وآسيا الجنوبية وآسيا الشرقية، ولكل حضارات تلك الحزام الهائل مستوى متشابه جدّاً من التعقيد الثقافي (cultural complexity) فكلها تتّصف بالزراعة المكثّفة للحبوب، وتربية الأبقار والخراف والماعز، واستخدام المحراث وميتالورجيا الحديد ووسائل نقل ذات عجلات، وجيوش مُدرّبة منظّمة، مسلَّحة بأسلحة متشابهة جدّاً ، وأهمّية الفرسان والدواوينية والفلسفات المتطوّرة الدارسة المسائل المتشابهة الخ (ومن الممكن مواصلة هذه القائمة على صفحات عديدة). وقبل ذلك بعدّ ة آلاف سنة وُجد حزام آخر متكوّن من مجتمعات ذات مستوى متشابه جدّاً وامتدّ ذلك الحزام من البلقان إلى حدود نهر السند. والجدير بالذكر أنّه في الحالتين كلتيهما احتوى الحزامان على الجزء الأكبر من سكّان العالم فلذلك يمكن وصف ايهما كالمنظومة العالمية.

عشر حقائق عن الواقع الإعلامي العالمي السائد

الحديث عن الواقع الإعلامي العالمي في ظل العلاقات الدولية الحالية،أو الحديث عن البعد الإعلامي للعلاقات الدولية السائدة حاليا،حديث شائك ومعقد.

والحقيقة أنه لو كلن لي أن أتحدث في هذا الموضوع خلال حقبة السبعينات أو ما قبلها بقليل لكان الأمر أهون ولنقل اقل تعقيدا وتشعبا.

هناك،على الأقل،ثلاثة أسباب تجعل الحديث في هذا الموضوع حاليا معقدا ومتشابكا:

- السبب الأول ويتعلق بالطابع الاستثنائي للثورة التكنولوجية التي يعيشها العالم،منذ بداية الثمانينات،لا فيما يخص التقنيات الحيوية أو تقنيات تخليق المواد واستنباط مواد جديدة فحسب ولكن أيضا وبالخصوص فيما يتعلق بثورة تكنولوجيا الإعلام والاتصال وتطبيقاتها المتعددة في معظم ضروب الاقتصاد ولربما أغلب مشارب الحياة ... والفكر,
- السبب الثاني ويرتبط أساسا بالتحولات المؤسساتية والتقنينية الكبرى التي نتجت عن الثورة التكنولوجية وكرست،من بين ما كرست له،تغليب قيم السوق والليبرالية والخوصصة وغيرها،وتشكيل ما اصطلح على تسميته بنهاية التاريخ ونهاية الجغرافيا بانتصار اللليبيرالية والرأسمالية على قيم اعتبرت،في تبعاتها وامتداداتها،تكريسا للشمولية والديكتاتورية والفكر الكلياني.
- السبب الثالث ويحيلنا إلى ما جاءت به ثورة تكنولوجيا والاتصال،والتحولات المؤسساتية المصاحبة لها،من معتقدات جديدة أريد لها أن تكون عقيدة نهاية وفكر القرن المقبل: عقيدة العولمة والمجتمع الإعلامي الكوكبي الإعلام والاتصال ومجتمع المعرفة.

هذه المعطيات الثلاثة،في قراءتي الخاصة،هي التي ستحكم على الأمدين القصير والمتوسط وبقوة،العلاقات الدولية لا فيما بين دول الشمال ودول الجنوب فحسب،ولكن أيضا وبالخصوص بين دول الشمال فيما بينها.

ولعلنا لن نبالغ البتة لو قلنا إن الضحايا الجدد سيكونون من الذين لم يعوا بعد فلسفة هذا النظام المتشكل وغير المستقر أو الذين لا يملكون القدرة على رفع تحديات الوضع الجديد والمقبل: في مقدمة هؤلاء الضحايا ستكون دول العالم الثالث،سيما وقد فقدت مؤسسات السبعينات (اليونسكو بالأساس) قدرتها التجنيدية وجل طروحاتها التي مأسست،لأكثر من عقد من الزمن،للقاعدة وللمركز في

العلاقات الإعلامية الدولية إن لم يكن على مستوى الممارسة فعلى الأقل على مستوى الخطاب،مستوى الأدبيات.

وقصد القول إن كل طروحات اليونسكو أو معظمها عن لا توازن العلاقات وتدفق الخبر وضرورة وضع أسس نظام إعلامي عالمي جديد،قد أصابها التقادم وتجووزت حتى وإن كان طرحها ولايزال منصفا وعادلا،بالتالي فلم تعد اليونسكو نفسها متحمسة لطرح لم يجلب لها إلا انسحاب دولتين كان لهما أكثر من ربع ميزانيتها.

لن أغوص هنا في التأريخ لأدبيات سريان الخبر على المستوى الدولي،ولا في أدبيات النظام العالمي الإعلامي الجديد،ولا في الأدبيات الأخرى التي سادت مرحلة السبعينات وهي كثيرة وكتب حولها الكثير،بقدر ما سأحاول تجديد قراءتها على ضوء ما أسميته بثورة تكنولوجيا الإعلام والاتصال والتحولات المؤسساتية والتقنينية لمرحلة الثمانينات وما بعد،وكذا على ضوء ما قدمته على أنه عقيدة نهاية القرن وفكر القرن المقبل،فكر العولمة والمجتمع الإعلامي الكوكبي علما بأن طبيعة اللاتوازن الإعلامي التي ميزت العلاقات الدولية لزمن طويل لم تتغير،ووعيا بأن ما كان،إلى عهد قريب،يقدم على أساس كونه مسا بثقافات دول الجنوب وحضاراتها لم يزد إلا حدة ولربما توظيفا.

ماذا نعني بثورة تكنولوجيا الإعلام والاتصال التي كثر الحديث حولها وتعددت الكتابات عنها (إلا عندنا) ورصدت لها المنتديات والمناظرات واعتمدت فيها التقارير والدراسات؟

أعتقد أن المجال يضيق بنا هنا للوقوف عند جذورها ومساءلة الإطار التاريخي الذي نبعت في ظله ونشأت في خضمه،وهو ما فعلناه في بحوث لنا سابقة،لكننا نرانا مضطرين للوقوف عند أهم تمظهرات هذه الثورة الأساسية ذات التداعيات الضخمة سيما عند: ظاهرة الرقمنة وحتمية الألياف البصرية وامتيازات السعة العالية.

ماذا نعني بالرقمنة؟

الرقمنة هي عملية الترميز،على شكل بتات من 0 و 1،لكل المعلومات والإشارات المزمع إرسالها عبر الشبكة.

بمعنى أن كل الإشارات (من صوت ومعطى وصورة وغيرها) تتحول إلى رموز من عددي 0 و 1 يمكن للشبكة أن تقضمها كوحدات في البث وتستقبلها كرسالة أصلية عند الوصول.

وعندما نقول إن الرقمنة تطور تكنولوجي ذو تداعيات كبيرة فليس لأنها فرضت نمطا استثنائيا لاستغلال ونقل وتخزين جميع أنواع المعلومات المتوفرة

ولكن بالخصوص لأنها مكنت تقارب وتزاوج القطاعات التكنولوجية الكبرى للإعلام والاتصال (من اتصالات وسمعي-بصري ومعلوميات) وهي قطاعات كانت،إلى عهد قريب،مستقلة ومهنها مختلفة وأسواقها محروسة والفاعلون فيها متنافسون.

بفضل الرقمنة إذن بدأت هذه الفضاءات تتداخل: فتحولت المبدلات الاتصالاتية إلى أجهزة معلوماتية،ووزعت الخدمات السمعية-البصرية بتفاعلية كبيرة (من خلال الفيديو عند الطلب مثلا) واقتربت أجهزة التلفزة من أجهزة الحاسوب ووصل الهاتف إلى عالم الصورة ...إلى غير ذلك.

الرقمنة مركزية إذن... ومركزية أيضا ما حملته تقنيات الألياف البصرية من وضعية غير مسبوقة من ذي قبل في ميداني الإعلام والاتصال.

وامتياز الألياف البصرية هو قدرتها على تمرير السعة الرقمية العالية للمعطيات بما فيها الصور القارة والمتحركة: فزوج من الألياف البصرية بإمكانه تمرير ما بإمكان 50000 خط هاتفي تمريره،وهي متوفرة وتصنع في المختبرات من الزجاج،ولا تحتاج الدول إلى خوض الحروب أو اللجوء إلى أسواق النحاس لاقتناء المادة الأولية لصناعة الكوابل التقليدية وغيرها.

وهذه العناصر مركزية أيضا لأنها هي التي فجرت،من الداخل،القطاعات الثلاثة وزاوجت فيما بينها،لكنها فجرت أيضا منطق المؤسسات وقواعد التقنين السائدة إلى حدود الثمانينات. وقد رأينا كيف واكبت هذه التطورات التكنولوجية خطاب اللاتقنين أو إعادة التقنين والخوصصة والتحرير وغيرها.

وهي العمليات التي طالت كل القطاعات المنظمة شبكيا من نقل جوي وماء وكهرباء وأيضا شبكات الإعلام والاتصال.

والتفسير المروج هو أن الإشكالية التقنينية لم تعد قادرة ولا مؤهلة لتحمل أو مسايرة التطورات التكنولوجية وواقع التدويل الذي تعرفه المؤسسات،وكذا واقع التحالفات الاستراتيجية وضرورات تسريع ميزانيات البحث والتطوير الباهظة.

بالتالي فمن المستوجب،في نظر أصحاب هذا الخطاب،تبسيط الإجراءات وتكييف النظام التقنيني وإعادة النظر في الهياكل والتنظيمات وكذا إعادة الاعتبار لقيم السوق والتنافسية وإدانة منطق الحمائية والاحتكار.

كل هذه المعتقدات تقدم على أنها ضرورية وملزمة لبناء الطرق السيارة وقيام مجتمع لإعلام ومجتمع المعرفة.

ما يهمنا من عرض هذين المعطيين (معطى الثورة التكنولوجية التي طالت الفضاء الإعلامي والاتصالاتي ومعطى التشكيك في النظام التقنيني) هو القول بأنهما إحدى أهم ما ميز واقع شبكات وخدمات وتطبيقات تكنولوجيا الإعلام والاتصال منذ بداية الثمانينات.

وما يهمنا أيضا كون هذين المعطيين تزامنا وصاحبا بروز ظاهرة جديدة وإن كانت أقدمهما سنا،ظاهرة العولمة وإشكالية القرية الكوكبية.

والعولمة مصطلح حديث العهد،إلا أنه بقدر ما هو مبهم في محتواه،بقدر ما هي مبهمة أيضا تجلياته وتداعياته ولربما حتى محدداته الحقيقية.

أعتبر أنه من المقاربات الجادة والموضوعية لمفهوم العولمة المقاربة التي اعتمدها ريكاردو بتريلا،إذ يقاربه بارتباط مع مفهومين آخرين قريبين منه،سابقين له: مفهومي التدويل وتعدد الجنسية.

يحدد ريكاردو بتريلا التدويل في كونه " مجموعة المسلسلات التي تربط الاقتصاديات الوطنية بعضها ببعض.. وهذه المجموعة تحيل إلى مجموعة التيارات التي تربط الوحدات الوطنية المختلفة".

ويحدد مفهوم تعدد الجنسية في كونه "الظاهرة التي نرى فيها الفاعلين الاقتصاديين يوسعون قدراتهم الإنتاجية لوحدات وطنية أخرى".

بينما يرى في العولمة مفهوما أكثر حداثة باعتباره "مجموعة العوامل التي تجعل من عدد كبير من السلع والخدمات تصمم وتطور وتنتج وتوزع وتستهلك وتصلح وتقيم على مستوى عالمي بدون أن يكون للدول التي تدور هذه العمليات في فضائها قيمة في حد ذاتها. بعبارة أخرى فالإطار والمرجعيات الوطنية بدأت تفقد تدريجيا من مركزها وقوتها في المستقبل. ومعنى هذا أن العولمة هي نتاج منظمات تعولمت هياكلها بفضل استخدام تكنولوجيا الإعلام والاتصال والمواصلات".

ويقول رونيه فالي إن العولمة "هي مسلسل تكثيف تيارات الأفراد والسلع والخدمات والرساميل،وبموازاة مع ذلك،اتساع هذه التيارات إلى كل الكرة الأرضية".

هذا هو الإطار العام الذي يجب،في نظرنا،أن يقرأ في ظله الواقع الإعلامي والاتصالي العالمي: حركية تكنولوجية عميقة وإن لم تكن إلا في بداياتها الأولى،إعادات نظر جذرية في الهياكل والمؤسسات التي انبنت بفضلها هذه

الشبكات،ثم صعود خطاب العولمة والمجتمع الإعلامي الكوكبي كمأسسة نظرية لواقع العلاقات الاقتصادية والتكنولوجية الدولية الراهنة والمستقبلية.

لو نحن وظفنا طرح العولمة على العلاقات الإعلامية والاتصالية الدولية،نلاحظ أن ما كان واقعا في ظل طرحي التدويل وتعدد الجنسية لم يزد إلا تكريسا وتعمقا لا بالمعطيات المطلقة فحسب ولكن أيضا بالنظر إلى العديد من المعطيات النسبية.

هناك في اعتقادنا مجموعة من الحقائق المجردة لم تزدها الثورة التكنولوجية والتحولات المؤسساتية وخطاب العولمة الناشئة إلا تعميقا وتكريسا سأسوقها هنا في عشر حقائق:

- الحقيقة الأولى: العولمة والثورة التكنولوجية والتحولات المؤسساتية تؤرخ،ولربما بالصدف،لسوق إعلامي واتصالي عالمي ضخم.

هذا السوق (ويضم الاتصالات والسمعي-البصري والمعلوماتية) قدره المرصد العالمي لأنظمة الاتصال بحوالي 7000 مليار فرنك فرنسي سنة 1995،وهو مستوى يفوق بكثير سوق السيارات.

ويقدر نفس المرصد هذا السوق بحوالي 9600 مليار ف.ف سنة 2000 أي بزيادة 37 بالمائة في ظرف خمس سنوات.

ومعنى هذا أنه من أصل 1000 دولار كناتج خام عالمي هناك 59 دولار تخلق بطريقة مباشرة أو غير مباشرة من طرف القطاع الإعلامي والاتصالاتي.

- الحقيقة الثانية: يصل سوق الاتصالات في السوق الدولي للإعلام والاتصال إلى حوالي 2900 مليار ف.ف مقابل 1500 مليار للسمعي-البصري ومقابل 2600 مليار للمعلوماتية.

ومن المحتمل أن تتجاوز المعلوماتية حصة الاتصالات سنة 2000. وتمثل مجتمعة ما نسبته 6 إلى 7 بالمائة من الناتج الخام العالمي مقابل 4 إلى 5 بالمائة لسوق السيارات.

- الحقيقة الثالثة: سيطرة نسبة الخدمات في كل هذه القطاعات الثلاثة مقارنة بالتجهيزات،إذ أصبح،منذ أن استقرت الشبكات،للخدمات والبرامج والتطبيقات حصة أكبر من تلك التي تعود للأجهزة: ففي سنة 1995 مثلت نسبة الخدمات في قطاع الاتصالات حوالي 82 بالمائة مقابل 18 بالمائة للأجهزة (بالمعطيات المجردة: حوالي 97 مليار دولار للأجهزة مقابل 450 مليار للخدمات). وفي سنة 1994 مثلت الخدمات في السمعي-البصري حجما متقاربا مع الأجهزة:

158 مليار للخدمات و 137 مليار للأجهزة لسوق سمعي-بصري يقدر بحوالي 295 مليار دولار.

- الحقيقة الرابعة: السيطرة المطلقة للدول الصناعية الكبرى على سوق الإعلام والاتصال الدولي: فالولايات المتحدة وأوروبا واليابان تسيطر سيطرة لا مجال للتشكيك فيها على هذا السوق تناهز ال 85 إلى 90 بالمائة... لدول النافتا فيها حصة الأسد (حوالي 40 بالمائة في خدمات الاتصالات مثلا)،وللولايات المتحدة وحدها حوالي 33 بالمائة من السوق الدولي للأجهزة السمعية-البصرية،ناهيك عن تفوقها المطلق في ميدان المعلوماتية والبرامج التلفزيونية وغيرها.
- الحقيقة الخامسة: بغض النظر عن سيطرة الدول الكبرى،هناك أيضا سيطرة وتمركزا لهذا السوق بين يدي أقطابها الصناعية والتكنولوجية العملاقة،فمن أصل 25 صناعيي الإعلام والاتصال،والتي تسيطر على 770 مليار دولار،نجد 9 أمريكية،8 يابانية،7 أوروبية وواحدة كورية.
- الحقيقة السادسة: التزايد الهائل للتحالفات الاستراتيجية بين الأقطاب الكبرى: الكل يتحالف مع الكل ضد الكل يقول بتريلا.فوفق دراسة لمؤسسة "أبريديا" هناك حوالي 15 تحالفا من هذا النوع أبرمت سنة 1993،56 سنة 1994 وحوالي 141 خلال الثماني أشهر الأولى من سنة 1995.كما أن 80 بالمائة من الاستثمارات المباشرة التي تقوم بها هذه الأقطاب هي عبارة عن شراء للمقاولات ودخولها في رسا ميلها.هذا التوجه لربما يخال لنا مناقضا لتزايد عدد الشركات المتعددة الجنسيات (7000 سنة 1973،حوالي 37000 سنة 1995)،إلا أننا نعتقد العكس. فدينامية التحالفات هي التي زادت من عدد الشركات المعولمة.
- الحقيقة السابعة: كل البوادر المتوفرة حاليا تثبت أن السيطرة لن تزيد إلا تكريسا وتعميقا سيما فيما يتعلق بالشبكات الجديدة كالانترنيت والاستثمارات الضخمة الموجهة لمشاريع الطرق السيارة للاتصال وذلك بغض النظر عن السيطرة التي تميز تقليديا سوق الكتاب والموسوعة والبرامج وغيرها.

ففي سنة 1995،كان هناك حوالي 30 مليون مستعمل للانترنيت،154 دولة مرتبطة،46000 شبكة مرتبطة،ما يقارب 3,5 مليون وحدة معلوماتية مرتبطة،ونسبة نمو الشبكة يقدر ما بين 10 إلى 15 بالمائة سنويا.

وهناك أيضا هيمنة أمريكية على هذه الشبكة: ففي يوليوز 1996 وصلت الحواسيب المرتبطة بشبكة الانترنيت حوالي 8250000 حاسوب بالولايات المتحدة،مقابل 190000 بفرنسا،550000 بألمانيا و500000 باليابان،في حين لم يكن لإفريقيا مجتمعة سنة 1995 إلا 27000 جهاز حاسوب مرتبط بالشبكة لجمهورية جنوب إفريقيا حصة الأسد فيها.

ونسبة تجهيز المنازل بالحواسيب الشخصية التي من المحتمل أن ترتبط بشبكة الانترنيت لا تتعدى سنة 1995،14 بالمائة بفرنسا مقابل 20 بالمائة لبريطانيا،30 بالمائة بألمانيا،في حين تصل هذه النسبة إلى حوالي 40 بالمائة بالولايات المتحدة.

كما أن التوزيع الجغرافي لنظام الويب المالي يعطي للولايات المتحدة 48 بالمائة مقابل 37 لأوروبا،6 لأمريكا اللاتينية،5 لآسيا،2 لأوسيانيا و 2 لإفريقيا.

- الحقيقة الثامنة: مستويات البحث والتطوير في ميدان الإعلام والاتصال مرتفعة. فحتى في غياب معطيات مدققة (وهي غالبا ما تكون سرية) فإن معظم الفاعلين في القطاع يخصصون تقديريا ما بين 3 إلى 4 بالمائة من مبيعاتهم للبحث والتطوير وذلك حتى في ظروف الأزمة والتقشف وإعادة الهيكلة.

ففي ميدان المعلوماتية مثل,ا يصل مستوى الاستثمار (من الناتج الإجمالي الخام) إلى حوالي 2,8 بالمائة بالولايات المتحدة مقابل 2,35 ببريطانيا، 1,72 بألمانيا،1,67 بفرنسا (لسنة 1995).

- الحقيقة التاسعة: كل العناصر المكونة لهذه التكنولوجيا والخدمات والبرامج والتطبيقات المرتبطة بها لا يمكن فصلها عن الإطار المجتمعاتي والثقافي الذي نشأت فيه وتطورت. فهي محملة بالقوة الرمزية التي أخرجتها للوجود.

وقد أوضحت في مناسبات عديدة أن شبكة الانترنيت مثلا هي شبكة أنجلوسكسونية محضة تسيطر فيها اللغة الإنجليزية بنسبة 95 بالمائة وأكثر،مقابل 3,25 للألمانية وأقل من 2 بالمائة للفرنسية و لا مكان فيها لما يسمى " لغات الثقافات المتدنية".

- الحقيقة العاشرة: ضعف مساهمة دول العالم الثالث (ولنقل انعدامها) لا في تصور الشبكات واستغلالها،ولكن أيضا فيما يخص تطوير الخدمات والبرامج والتطبيقات،وتكريس هذه الدول لمبدأ وممارسة نقل التكنولوجيا باسم "منطق" مسايرة العصر وتكنولوجيا العصر.

والأسباب في ذلك عديدة ومتشعبة أهمها ضغط الشركات المتعددة الجنسيات وعقدة الانبهار التكنولوجي... وأخطرها إطلاقا تهميش هذه الدول لقيم البحث العلمي وإهمالها المطلق لمواردها البشرية التي تضطر للعمل بالخارج أو تتعاطى لممارسات شنيعة أولها مجاملة السلطة وخضوعها الأعمى لها وآخرها انحرافها نحو "منطق" المسمار والعقار و"المعمار" مرورا بتكريسها لعقلية الارتزاق السياسي والفكري.

هذه الحقائق العشر هي التي تميز،في تصورنا،العلاقات الإعلامية والاتصالية الدولية نهاية هذا القرن،وستميزها لا محالة على الأمدين القصير والمتوسط سيما في ظل تكريس الثورة التكنولوجية والتحولات المؤسساتية وظاهرة العولمة المتشكلة،وستجر في طيها من دون شك رهانات وتحديات ضخمة طيلة القرن المقبل.

أقول إن هذه الرهانات والتحديات ضخمة لا من وجهة النظر الصناعية والجيوسياسية والاستراتيجية فحسب،ولكن أيضا في تبعاتها الثقافية والحضارية.

نقطتان أساسيتان لا بد من الوقوف عندهما في هذا السياق:

الأولى وتتعلق بما اصطلح على تسميته،بداية التسعينات،بالاستثناء الثقافي من قبل أوروبا وفرنسا على وجه التحديد.

أنا أعتقد أن هذا الطرح لم يكن في أصله إلا تكتيكا بالنسبة للأوروبيين كي يستعدوا تكنولوجيا واقتصاديا للمنافسة العالمية الناشئة. فلم يكن طرحا انهزاميا كما زعم البعض ولا زال يزعم.

وأظن أيضا أن هذا الطرح قد تجووز حاليا سيما مع بداية تحرير أسواق الاتصالات وفتح الأسواق المعلوماتية وأيضا مع "التراضي" حول تكوين " مجتمع إعلامي عالمي".

الثانية وترتبط بما نروجه نحن العرب من طروحات عن الاستهداف الحضاري والثقافي ونتكلم عن الغزو والاختراق عند تعرضنا لدراسة ظاهرة الصحون المقعرة أو لتحليل إشكالية الانترنيت.

لا أعتقد شخصيا بوجود الغزو من أجل الغزو. فالدول الكبرى لا تهتم بالدول إلا بالقدر الذي يمكنها من تسريع دورة رأس المال والدورة التجارية للسلع. بالتالي فكون هذه الدول تفرض سلعها ونمط استهلاكها لا يعني أنها تستهدفنا من أجل الاستهداف ولكن من أجل تسريع وتيرة الدورة الربحية للسلعة الرأسمالية.

ولعل تكنولوجيا الإعلام والاتصال،تجهيزا وخدمات،إحدى الوسائل التي توظفها هذه الدول: توظف فيها الهدف (الهدف التجاري) وتوظف فيها الوسيلة،وسيلة تنميط الأفراد والمجتمعات لخدمة الهدف التجاري والجيوستراتيجي.

وأعتقد فضلا عن كل هذا أن السبيل الوحيد لضمان حد أدنى لمستقبل دول العالم الثالث،ثقافات وحضارات،يكمن في الوعي بثلاث حقائق لا بديل عنها:

- أولاها: هذا المستقبل لا يمكن تصوره خارج منطق البحث العلمي والتطوير،وقد وعته دول جنوب شرق آسيا ووعاه العراق,
- ثانيها: هذا الحد الأدنى لا يمكن أن تضمن له المصداقية والفعالية في غياب توظيف القدرات البشرية...وقد وعته دول جنوب شرق آسيا وأيضا العراق.
- ثالثها: هذا المستقبل لن يكتب له التجسيد في غياب العزيمة السياسية والرؤية الواضحة.

وهو ما نفتقر له،إضافة إلى الحقيقتين السابقتين،ونتحسر على تغييبه لا كدول عالم ثالث فحسب ولكن أيضا كعرب وكمغاربة.

مما لاشك فيه أن العولمة أضحت قضية مصيرية تهدد الشعوب والأنظمة في العالم على حد سواء، فاجتاحت العولمة شتى مجالات الحياة سواء الاقتصادية أو الثقافية والاجتماعية والسياسية ، ولكي تحقق العولمة أهدافها فهي بلا شك بحاجة إلى الدعاية والإعلام .

ولم يعد موضوع العولمة الشغل الشاغل لمراكز البحوث... والمؤسسات الكبرى.. والجامعات.. بل تعداها لأن يكون الموضوع الأساس الذي تزخر به الصحف والمجلات والدوريات ووسائل الإعلام الأخرى، لا.. بل حتى أصبح العنوان الرئيسي لأهم وأكبر المؤتمرات والندوات العلمية التي عقدت ولا تزال والتي تحاول أن تخترق عوالم هذه الظاهرة التي لمع نجمها في سماء القرن الحادي والعشرين.

من هنا تأتي أهمية هذا الكتاب (الإعلام والعولمة تأليف الدكتور عبد الرزاق الدليمي) ، ليس من موضوعه المهم فحسب بل في توقيته الهام جدا، حيث نشر الكتاب عام 2004م تزامنا مع الاجتياح الأمريكي للعراق ومن قبله حرب أفغانستان وأحداث الحادي عشر من سبتمبر وتداعياتها وما صاحب ذلك من دعاية أمريكية قبل وأثناء وبعد الحربين .

ويسلط الضوء على آليات استخدام الدعاية والإعلام في تسيير قطار العولمة إضافة إلى بعض التطبيقات العملية في استخدام الدعاية من قبل بعض القوى الجبارة في العالم ومنها على وجه الخصوص الولايات المتحدة الأمريكية لتحقيق أهدافها المعلنة والمخفية".

من هذا المنطلق تناول المؤلف في الفصل الأول تعريف العولمة واستعراض تأثير التكنولوجيا على وسائل الإعلام سواء على الأفراد أو الأجهزة والمعدات سلبا وإيجاباً، ملقيا الضوء على الإعلام في حقبة التسعينات الميلادية

من القرن الماضي وما شهده من تحول ملموس في أشكاله وأهدافه ووسائله، نتيجة التطور التكنولوجي الذي لحق بالعالم وما نتج عنه من متغيرات.

إلقاء الضوء على الدعاية عموما وعلى وجه الخصوص الأمريكية من خلال عرضه للمحة تاريخية للدعاية الأمريكية وتطورها وهيمنتها على وسائل الإعلام ثم تحدث المؤلف عن أساليبها وفلسفتها وتكتيكها وأهدافها ومؤسساتها وأسسها ومرتكزاته.

الدعاية الأمريكية خلال حرب أفغانستان ، وأسلوب التغطية الإعلامية الصحفية لهذه الفترة وتحليلها، واختتم المؤلف الكتاب بالحديث عن المسلسلات المدبلجة وعلاقتها بالجنوح كونها أحد روافد العولمة في هذا العصر.

تعتبر " العولمة" من أكثر العناوين والمصطلحات استخداماً في عصرنا الحاضر، بل أكثر قضايا العصر المثارة على نطاق العالم الواسع. ورغم كثرة ما كُتِب فيها، لم يتفق الباحثون والمفكرون على تعريف واحد لها، وتعددت مناهج الباحثين في تعريف العولمة، فركز البعض على أحد أبعادها، في حين حاول البعض أن يعرفها بتعريفات تنسجم مع موقفه منها وتوجهاته من حيث الرفض أو القبول.

فالعولمة مصطلح حديث مترجم عن الكلمة الإنجليزية Global وأول من استخدمها ماكلوهان في نهاية الستينات ومعناها: عالمي أو دولي، وغالباً ما تذكر مرتبطة بمصطلح القرية (Global Village) بمعنى القرية الكونية أو العالمية.

ويدور مفهوم العولمة حول الوجود العالمي أو الانتشار الكوني، وغالباً ما استخدم
في السياسة والاقتصاد بمعنى النفوذ السياسي العالمي والمؤسسات الاقتصادية الدولية
(الأخطبوطية) المتواجدة في أنحاء كثيرة من العالم ولها تأثير قوي ونافذ سواء في الشأن
الاقتصادي أو السياسي المحلي (أي في البلدان المتواجدة فيها). ثم تطور في جانب جديد وهو العولمة الإعلامية، عن طريق إنشاء مؤسسات إعلامية دولية ضخمة لها قاعدة أساسية في بلد وتنطلق منه إلى كثير من البلدان، ولها أثر فاعل في الإعلام المحلي لتلك البلدان..

وأخيراً نشأ مصطلح العولمة الثقافية (Global Culture) وتعني الانتشار الثقافي الفكري لجهات قومية ومؤسسات دولية (أغلبها أمريكية) وأصبح لها أثر ملموس في الجانب الثقافي لدى الكثير من المجتمعات حول العالم من أقصى الشرق إلى أقصى الغرب.

ويذهب بعض الباحثينإلى أن أقرب تعاريف العولمة إلى الدقة هو: "أن العولمة هي دمج ودمقرطة ثقافات العالم، واقتصادياته وبنياته التحتية، من خلال الاستثمارات الدولية، وتنمية تكنولوجي ا الاتصالات والمعلومات، وتأثير قوى السوق الحرة على الاقتصاديات المحلية والإقليمية والعالمية" ؛ ومنهم من يقول أنها حرية حركة السلع والخدمات والأيدي العاملة ورأس المال والمعلومات عبر الحدود الوطنية والإقليمية. وهناك من يرى أن العولمة هي إقحام الجميع في دخول ترس الآلة العالمية بسبب الثورة الجامحة للمعلوماتية وتطور تقنية الاتصالات، وبذلك يكون مصير الإنسانية مُوَ َّحداً.

الاختلال في التدفق الإعلامي العالمي:

أخذ السباق على امتلاك التكنولوجيا الإعلامية بين دول العالم أبعاداً متسارعة بتسارع الاختراعات والتطورات التقنية في هذا المجال , والتي تسير بخطى متسارعة يوم بعد آخر وسنة بعد أخرى.

فباتت تظهر بين الحين والآخر منتجات تقنية جديدة وصناعات حديثة ومتطورة تزيد من قوة من يمتلكها وتجعله في طليعة المسيطرين على حركة الأعلام الدولي ومد نفوذه على الجمهور العالمي بكل قوة.

فأصبح الوصول إلى الحلقات المتقدمة في التكنولوجيا تعني الوصول إلى المراحل المتقدمة في السيطرة على حركة الأعلام العالمي فتعاني الدول المتخلفة أو ما تعرف بـ (دول الجنوب) من تبعية تكنولوجية في جميع النواحي ومن ضمنها التكنولوجيا الإعلامية للدول الصناعية أو ما تعرف بـ (دول الشمال).ومن ثم فأنها محكومة تكنولوجيا وإعلاميا لها وهي التي تسيطر على حركة الإعلام الدولي وتسيره بالوجهة التي تريد.

فالتطور في تكنولوجيا وسائل الأعلام متلازم مع زيادة سيطرة ونفوذ هذه الدول على توجهات الإعلام الدولي وتسيره بالشكل الذي يخدم مصالحها وتوجهاتها العالمية. وفضلاً عن رداءة البرامج والإنتاجالإعلامي في دول الجنوب فأنها تستعمل وسائل تكنولوجية أقل تطوراً مما هو مستعمل في دول الشمال والتي قامت بتصديره إليها هذه الدول.

ذلك انها غير قادرة على تصنيع هذه التقنيات فتوسخ بذلك اعلاماً متخلفا على مختلف الصعد سواء فنيا من ناحية البرامج ونوعها أو تكنولوجيا عن طريق الاستعانة بالصناعات الأجنبية لعجز الصناعة الوطنية عن مواكبة التطورات التقنية والتمكن من تصنيعها. فنجد أغلب جمهور هذه الدول لا يتجه لوسائل الإعلام الوطنية وإنما هو يتجه لوسائل الأعلام التابعة لدول الشمال لعجز الإعلام في دوله عن تقديم المادة والموضوع والكيفية الذي تقدم به عن مجاراة هذا

الجمهور وميوله ورغباته. وقد أصبح التحكم بامتلاك أسرار التكنولوجيا مسألة سلطة فمن يتحكم بالتكنولوجيا فأنه يتحكم بوسائل السيطرة والنفوذ والسلطة على المجتمع الدولي، ولزيادة السيطرة على جمهور دول الجنوب المتخلف، عملت وسائل الإعلام في دول الشمال المتقدم على استعمال اللغات المحلية في دول الجنوب في بث برامجها، أثناء توجهها لجمهور هذه الدول لغرض سرعة الوصول اليه ومن ثم زيادة التأثير فيه الأمر الذي زاد من انصراف هذا الجمهور عن وسائل الإعلام الوطنية فيه وتأثره بوسائل أعلام الدول المتقدمة وذلك بفعل اللغة المفهومة من قبله (وهي لغته المحلية) أثناء تسلمه للرسالة الإعلامية الموجهة إليه .

فأصبح لا يجد صعوبة في تسلم هذه الرسالة وأصبحت الرسالة الإعلامية الموجهة اليه لاتجد صعوبة في الوصول اليه وتحقيق اهدافها في التأثير فيه وجعله تابعا ثقافيا وإعلاميا وفكريا لهذه الدول بينما وقفت وسائل الإعلام الوطنية الهزيلة نوعيا وفنيا وتكنولوجيا أمام هذا المد الكاسح من المواد والموضوعات الأعلامية الهائلة الموجهة لهذا الجمهور وعجزها عن مجاراة ما تقدمه مثيلاتها في الدول المتقدمة.

فجعلت منها مجرد أدوات متخلفة وبائسة لا تقوى على الاستمرارية والبقاء فما بالك بالمنافسة والاستحواذ على الجمهور.

وتشهد الساحة الإعلامية الدولية اختلالا واسعاً وهائلا بين دول الشمال ودول الجنوب.

حيث تشير الإحصائيات إلىأن 97% من الأجهزة المرئية موجود في دول الشمال،فضلاً عن 87% من الأجهزة المسموعة من مجموع ما تملكه دول العالم

وان دول الشمال هي المصدر الأساس لأكثر من 90% من مصادر الأخبار.وتنطبق هذه الحقائق على شبكة المعلومات العالمية (الإنترنت) فقد أصبحت لغات هذه الدول لاسيما اللغة الإنكليزية هي المهيمن الكامل على اللغات المستخدمة في مجال الإنترنت.

ذلك أن معطيات 88% من الإنترنت تبث باللغة الإنكليزية مقابل 9% بالألمانية و 2% بالفرنسية فيما يوزع 1% على بقية لغات العالم. ويتركز 60% من مجموع شبكة الإنترنت في العالم في الولايات المتحدة و 26% في دول أوروبا فيما تضم بقية دول العالم 14% فقط.

الأمر الذي يوضح لنا بجلاء مدى الهيمنة الكاملة والواسعة جداً لوسائل إعلام دول الشمال ومدى الاختلال الكبير الذي تعانيه اذا ما قورنت بوسائل الإعلام في دول الجنوب.

اتخذت العولمة التي يعيشها العالم في الوقت الراهن من التكنولوجيا أهم الأدوات المنفذة لها ومن ضمن التكنولوجيا بشكل عام تكنولوجيا الإعلام وهي تعنينا في هذه الدراسة فبالرغم من كل ما مر بالدول المتخلفة من مراحل لم تتع ظ هذه الدول وإنما بقي الكثير منها على حاله من التخلف والتبعية لدول الشمال المتقدم، فبقيت هذه الدول مهمشة تعيش على ماتنتجه الدول المتقدمة (دول الشمال) من صناعات وبقيت حركة التكنولوجيا الإعلامية حالها حال بقية فروع التكنولوجيا تسير باتجاه واحد من الشمال إلى الجنوب.

لا بل إن الأمر زاد رسوخا وتوسعا في زمن العولمة التي اكتسحت هذه الدول ووصل الأمر في كثير من الأحيان إلىأنإحدى الشركات الإعلامية يزيد رأس مالها عن الناتج القومي لكثير من الدول المتخلفة التي تعيش في عالم الجنوب.

وغزت الشركات الصناعية أسواق دول الجنوب بالمنتجات الإعلامية المصنعة في دول الشمال وأصبحت هذه الأسواق تابعة لها ولم تنافسها فيه إلا بعض الشركات في بعض الدول والتي استطاعت بعد مجهود كبير من التخلص من آثار بعض مظاهر التبعية وامتلاك الكثير من ادوات التصنيع والتقنيات المختلفة.

فأصبحت السوق العالمية سوقا تنافسية بشكل ضاري لاتصمد فيه إلا الصناعات الناجحة والمتفوقة.

وأصبحت وسائل الإعلام بتكنولوجياتها المتفوقة أحد أهم الوسائل لترويج مفهوم العولمة ونشره وترسيخه بين شعوب العالم فأصبحت الصناعات الإعلامية أدوات مهمة وإستراتيجية في تعميق مفهوم العولمة بين فئات الرأي العام العالمي

وباتت التكنولوجيا بأنواعها المختلفة المستخدمة في العمل الإعلامي أداة مهمة من أدوات الغزو الثقافي لشعوب دول الجنوب المتخلفة ذلك أن ثقافات هذه الدول أصبحت عرضة للاكتساح الثقافي والهيمنة الثقافية من قبل دول الشمال وذلك بفضل المد الهائل من البرامج والمواد الإعلامية المسوقة لدول الجنوب والتي في غالبيتها تؤكد سيادة الحضارة والثقافة الغربية وتقلل من أهمية ثقافات دول الجنوب في عالم لاتصمد فيه ألا الدول القوية.

عولمة الرسالة الإعلامية من أهم التطوراتالإعلامي في العقدين الأخيرين، وكثيراً ما نسمع اليوم عن ظاهرة «العولمة» ونتائجها وآثارها في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية.

ولا يمكننا أن نغض النظر عما يجري تحت مظلة هذه الظاهرة العالمية كظاهرة أخذت تضع بصماتها حتى على ما يمارسه الأفراد يومياً ناهيك عن المجتمعات التي انجرّت وراء هذه الظاهرة العالمية.

أما عن الإعلام، فما هي العلاقة بين العولمة والإعلام؟ هل أنالإعلام العالمي تأثر بالعولمة؟ أم أن العولمة هوانعكاس لظاهرة الإعلام العالمي الذي حمل الرسالة السياسية والاقتصادية والثقافية عبر وسائله التقنية؟

الحقيقة هي أن كلا الظاهرتين متلازمتان لا يمكن أن ينفكاحدهما عن الآخر على الأقل في عالمنا المعاصر الذي طوى شوطا من الزمن توسعت فيه دائرة العولمة من ناحية وكثرت وتشعّبت وسائل الإعلام فيه من ناحيةأخرى.

فالإعلام الغربي الذي يؤمن بمبادئ السوق الحرة في التعامل مع الآخرين،يمكننا القول بأن ينتهج سياسة بيع المشاهدين إلى المعلنين.

المكونات الأساسية للعولمة:

المكونات الأساسية لفكرة العولمة تتركز على سهولة حركة الناس والمعلومات والسلع بين الدول على نطاق كوني يضمن كذلك حرية انتقال الأفكار والمعلومات التي تحقق التفاعل والحوار الثنائي عن طريق تكنولوجيا الاتصال (الإنترنت ، تطور التكنولوجيا الرقمية) ، مما أدى إلى ظهور مفهوم جديد يتحدد في عولمة المعلومات واحتكارها وعولمة إناطة الحياة من خلال وسائل الإعلام التي تحتكر الأحدث والأوسع، مما أدى بدوره إلى عولمة القيم من خلال انتشارها بواسطة هذه الوسائل إلى أقصى بقاع العالم فظهر مفهوم القرية الإلكترونية .

تأثير التكنولوجيا على وسائل الإعلام

مع التطور التكنولوجي الذي لحق بالعالم في شتى المجالات فإن وسائل الاتصال الجماهيري هي الأخرى تأثرت بالتكنولوجيا الحديثة وهذه التكنولوجيا له تأثيرات إيجابية وسلبية من ناحيتين :

الأجهزة والمعدات:

استطاعت التكنولوجيا أن تؤثر إيجابيا على الأجهزة والمعدات في وسائل الإعلام من خلال عدة جوانب أبرزها : ازدياد كفاءة محطات الإرسال ، تطور أجهزة التصوير فقل حجمها وخف وزنها مما سهل استخدامها، كما أصبحت

المطابع أكثر سرعة وكفاءة، بالإضافة إل إلى استحداث وسائل اتصال جديدة أسرع وصل الخبر والحصول عليه (الإنترنت – البريد الإلكتروني).

أما التأثيرات السلبية فتتلخص في انعدام الخصوصية والسرية نتيجة لصغر الأجهزة سواء فيما يتعلق بالتصوير أو التسجيل دون علم الأشخاص المعنيين وبطريقة قد تكون غير مباشرة.

الأفراد:

أعطت التكنولوجيا للعاملين في مجال الإعلام حرية أكبر في نشر المعلومات التي يمتلكها أما تأثيرها السلبي فيكمن في زيادة التبعة الثقافية لازدياد البرامج المستوردة، وتباين الخبرات فيما يسمى بالصحفي الإلكتروني.

تأثير التكنولوجي على وسائل الإعلام:

الصحافة : أعطى ظهور الحاسب الآلي للإعلام قوة وآفاقا جديدة مرورا بالتحرير وانتهاء بالتوزيع واكتسب قوة إضافية بظهور الشبكة العنكبوتية (الإنترنت) والتي تميزت بسهولة وسرعة نقل المعلومات بين أرجاء المعمورة .

الصحافة الإلكترونية :

هذا التطور التكنولوجي الجديد فتح آفاقا جديدة للنشر الصحفي وهو ما عرف بالصحافة الإلكترونية وعلى الرغم من عدم طول هذه المدة التي لا تتجاوز العقد من الزمان برزت أهمية هذا النوع من الصحافة .

فأصبح إيجاد موقعا إلكترونيا للصحف والمجلات أمرا ضروريا لا غنى عنه فأغلب الصحف المطبوعة إن لم يكن جميعها تمتلك اليوم مواقعا إلكترونية خاصة بها ، لكن الواقع يشير إلى وجود عدد من المعوقات التي تواجه الصحافة الإلكترونية أهمها أن تحديث الموقع الإلكتروني لا يتم إلا بعد صدور الصحيفة بساعات، ضعف التقنيات المستخدمة في معظم المواقع الخاصة بالأرشفة واسترجاع المعلومات.

ولم يعد الأمر مقتصراً على المواقع التابعة للإصدارات المطبوعة فظهر جيل جديد من الصحافة الإلكترونية التي لا تمتلك إصدارات مطبوعة وهذه المواقع مع أن تكلفتها المالية قد تكون أقل من المطبوعة بفارق ملحوظ إلا أنها تتميز بالتفاعل المباشر مع القارئ عن طريق التعليقات على الأخبار والمقالات فور نشرها في الموقع نفسه.

فظهرت العديد من المواقع الضخمة التي هي أشبه بالبوابات الشاملة (نسيج – مكتوب – محيط – أين ..)، وهذه البوابات تتميز خدماتها بالتنوع والشمول فلا تقتصر على تقديم الأخبار فحسب بل تقدم عدد من الخدمات الأخرى

كالنقاشات الساخنة والمنتديات المتنوعة وخدمات المرئيات والصوتية وتحميل الأغاني والأفلام وغيرها .

1. الإذاعة: أتاحت لنا التكنولوجي الحديثة فرصة للتعرف على الإذاعات العربية باختلاف توجهاتها وأشكالها فمن خلال الإنترنت تستطيع الدخول لمواقع هذه الإذاعات والاستماع إلى البث الحي أو المسجل بشكل واضح وبسيط .
2. التلفزيون:تعتبر تجربة البث التلفزيوني العربي عن طريق الإنترنت في بدايتها تقنيا حيث لم يتم الاستفادة منها بشكل موسع وفعال .وتعاني من مشاكل تقنية أبرزها انقطاع البث وعدم وجود الصوت والصورة وتعتمد على سرعة الإنترنت المستخدم فكلما كانت سرعة الإنترنت فائقة السرعة كلما كانت الصورة أوضح وأقل انقطاعا.

وقد استفاد التلفزيون من التطور التقني بشكل كبير فتعدد القنوات الموجود سواء المشفرة أو المفتوحة من خلال الأطباق اللاقطة ، وكذلك إمكانية الاستماع إلى جميع الإذاعات العالمية بشكل واضح يفوق الراديو عن طريق جهاز الاستقبال وبواسطة الريسفر.

3. وكالات الأنباء:يوجد حوالي اثنتي عشر وكالة أنباء عربية خاصة وحكومية تمتلك مواقع على الشبكة العنكبوتية، وتوفر هذه المواقع خدمات الأرشفة والبحث في المعلومات السابقة ، وكذلك الاشتراك في القوائم البريدية التابعة لها لمتابعة الأخبار الجديدة فورا على إيميلك الخاص ، لكن هذه الوكالات تعاني غالبا من صعوبات تقنية كالبطء في إظهار المعلومات ، أو فيما يتعلق بتصميم الموقع وطريقة عرضه للمحتويات والتي لا يمكن الاستفادة منها بشكل يسير.
4. الرقابة: استطاعت التكنولوجيا الحديث تجاوز الكثير من العراقيل الموضوعة على المطبوعات الصحفية مثل الرقابة والخطوط الحمراء والإجراءات الروتينية التي تعوق الإصدارات في أحيان كثيرة، فأصبح الإنترنت هو البديل الأمثل والمحبب للجمهور حيث لا رقابة ولا رقيب

حقائق حول الإعلام العربي في التسعينات

حدث في الإعلام العربي في عقد التسعينات تحول ملموس في وسائل الإعلام من خلال تطور وسائله وأشكاله فانطلقت الشبكات الفضائية العربية التي تتخذ من الخارج مقرات لها كشبكة تلفزيون الشرق الأوسط mbc في دبي، وشبكة راديو وتلفزيون العرب art في روما قبل أن تنتقل إلى الأردن، وكذلك استحداث قنوات فضائية وطنية للوصول للمشاهد العربي في جميع أنحاء العالم، بالإضافة إلى بث التلفزيونات العربية لمواد من القنوات الأجنبية والغربية، واهتمام بعض القنوات الأجنبية التي تستخدم أقمارا تغطي العالم العربي بالمشاهد العربي وتوجيه برامجها إليه ، كما تعرض الوطن العربي لعدد كبير من الإذاعات الموجهة باللغة العربية، وخصصت بعض الصحف العربية مواقع إلكترونية لها ابتدأتها صحيفة الشرق الأوسط الصادرة من لندن عام 1995م وتلتها الصحف الأخرى.

وهذا التطور التكنولوجي له تأثيراته الإيجابية والسلبية على الصعيد الإعلامي في العالم العربي :

أما التأثير الإيجابي فيمكن أن نلمسه من خلال عدة أمور:

ما أحدثته القنوات العربية الخاصة من جذب الجمهور بقيسامها بإبراز الرأي الآخر للمشاهد العربي عبر برامجها الحوارية كقناة الجزيرة وقناة المستقبل والعربية وغيرهم، بالإضافة إلى النجاح النسبي لقناة الجزيرة القطرية في اختراق الاحتكار الذي مارسته الولايات المتحدة الأمريكية للصورة أثناء حربها على أفغانستان، ومن الإيجابيات أيضا جذب ملايين المشاهدين العرب القانطين في الدول الغربية الأمر الذي عزز انتماءهم لهويتهم العربية، كذلك إطلاع المشاهد العربي على الثقافات والحضارات الأخرى واكتسابه معارف متنوعة وجديدة، كم أنه نتيجة لتزايد الطلب على البرامج والمسلسلات العربية شهدت الحركة الإنتاجية حركة كبيرا ونشاطا ملحوظا سيما في مصر وسوريا ولبنان.

أما التأثير السلبي لهذا التطور التكنولوجي فيكمن من خلال:

زيادة اهتمام الفرد بالثقافة الصورية أكثر من الثقافة المكتوبة ،فقد أثبتت ثلاثة آلاف دراسة قبل عام 1971م العلاقة بين ضعف الأداء المدرسي والتلفزيون.

ومن الآثار السلبية للتطور التكنولوجي على الإعلام زيادة مساحة بث البرامج الأمريكية في التلفزيوني العربي، والتي تكرس القيم السلبية، كما أن هذه الأفلام والبرامج التي تصدر للدولة النامية تتم تحت إشراف وكالات التجسس والمخابرات الأمريكية التي تسعى إلى تصنيع الرأي العام.

وهذه الأفكار السلبية لا تصدر عن المحطات الغربية فحسب بل المحطات العربية أيضا وبأموال عربية الأمر التي تكون خطورته أشد لأن المشاهدين العربي يتقبلون الأفكار التي تعلنها بشكل أوسع، فقد دلت إحدى الدراسات أن تلفزيون الشرق الأوسط mbc تبث أفكار سياسية صهيونية وتبث صورة مشوهة للعرب وتنمي إحساسهم بالسلبية، ونسبة اهتمامها بالأخبار العلمية والتربوية لا تتعدى 1%،كما أنها تركز غالباً على العنف والإثارة الجنسية.

كما أدى زيادة الاهتمام بالإعلان لتحقيق فوائد مالية كبيرة إلى زيادة المساحة الزمنية المعروضة له الأمر الذي أدى تقطيع الأفلام والبرامج مما يفسد على المشاهدين متعتهم.

مقترحات من أجل تفعيل دور التكنولوجيا إيجابيا على الإعلام العربي

1. تشجيع الاستثمار في الصناعات الإعلامية العربية، فالكيان الصهيوني يمتلك لوحده من وسائل الإعلام والصناعات الثقافية ما يفوق الدول العربية الـ22 مجتمعة
2. إنشاء مركز معلومات عربي وربطه بالشبكة العالمية للمعلومات (الإنترنت).
3. لكي تكون وسائل الإعلام العربية فعالة لابد من التخلي عن الطرق النمطية المتبعة وتطوير المناهج السابقة في الرؤية الإعلامية.
4. إعادة هيكلة وسائل الإعلام بما لها التكيف مع التطوير التقني والمادي.
5. التعاون بين الدول العربية في مجال التبادل الإعلامي والثقافي.

الدعاية الأمريكية والعداون على أفغانستان

الدعاية الأمريكية والعدوان على الشعوب

ما هي الدعاية؟

تعرف الدعاية بأنها " هي محاولة التأثير على اتجاهات الناس وآرائهم وسلوكهم ووسيلتها نشر معلومات وحقائق أو أنصاف حقائق أو حتى أكاذيب في محاولة منظمة للتأثير على الرأي العام. فهي عملية تلاعب بالعواطف والمشاعر يقصد فيها الوصول لخلق حالة من حالات التوتر الفكري والشحن العاطفي ، لغرض استراتيجي أو تكتيكي ".

عناصر الدعاية:

المصدر ، الجهود المنظمة،القصد والتعمد،وجود جماعة مستهدفة (الجمهور)، وسيلة الدعاية،اعتماد أساليب علمية وفنية،رموز دعائية مشحونة عاطفيا، إتباع الفرد المستهدف أو الجماعة المستهدفة،المادة الدعائية.

من يستخدم الدعاية السياسية؟

تأتي الدعاية من مصادر متعددة، وأكبر مصادرها هي:

1. الحكومات . تتبنى معظم الدول تقريبًا شكلاً من أشكالالحصول على الدعم من الدول الأخرى. كما تتبنى الحكومات دعاية سياسية وبرامج إعلاميةلتشجيع سلوك معين من قبل مواطنيها. ومن الأمثلة على ذلك قيام بعض الدول بتحريضمواطنيها على دعم سياسات معينة، أو معاداة بعض الأنظمة السياسية الخارجية.
2. المنظمات .يقوم عدد من المنظمات المهنية والدينية وغيرهابحملات دعائية. فخلال الانتخابات، توزع هذه المنظمات منشورات تدعم المرشحين الذينيتفقون مع آرائها. وبعد انتهاء الحملات الانتخابية يمكن أن تقوم المنظمات بحملاتإعلامية للتأثير على الرأي العام. كما توظف بعض الجماعات أناساً متخصصين يسمونالضاغطوناللوبي، للتأثير على أعضاء البرلمان كي يدعموا برامجهم. والمجموعةالتي تحاول الوصول إلى أهدافها عن طريق الضغط على أعضاء البرلمان أو على موظفيالحكومة، يُسمونبجماعات الضغط .ويرسم أعضاء الجماعة أهدافهم السياسية حولموضوع حيوي مثل، الإجهاض، والحقوق المدنية، والبيئة، ومواضيع السياسة الخارجية،والطاقة النووية.
3. رجال الأعمال .يستخدم رجال الأعمال الدعاية الجاذبة فيإعلاناتهم. فالدعاية للعطور ولمعاجين الأسنان في التلفاز تُوجه نحو الأفراد الذينيودون أن يظهروا مقبولين ومحبوبين. كما توظف شركات الإعلان عددًا من علماء النفسوعلماء اجتماعيين آخرين لدراسة إقبال الناس على شراء بعض السلع. ويحاولون تحديدالشعارات التي تجذب الناس إلى الشراء. ومعظم الشركات الكبرى لديها مكاتب للعلاقاتالعامة تستخدم الدعاية لتكوين رأي عام طَيّب عن سياسات الشركة.

أنواع الدعاية:

يمكن تصنيف الدعاية إلى عدة أنواع تبعاً لتنوع أهدافها ودوافع المخطط الدعائي :

فيمكن تصنيف الدعاية وفقاً لإدراك رجل الدعاية بالوسائل التي يستخدمها.

ويمكن تصنيفها وفقا لوسيلة الاتصال التي يستخدمها (تلفزيون -سينما - المجلات ...). ويمكن التصنيف بحسب المجال التي تستعمل فيه الدعاية (تجارية - سياسية - دينية - عسكرية..).

كما يمكن تصنيفها وفقاً لإدراك الجمهور للنوايا: فالدعاية العلنية هي التي يكون الجمهور فيها مدركا لحقيقة خضوعه لتأثيرها، أما الدعاية الخفية : فهي

الدعايا التي تؤثر في الناس وإن كانوا يجهلون أن جهة ما تحاول أن تسيطر على أفكارهم سواء كان يجري ذلك بقصد أو دون قصد.

وتنقسم الدعاية أيضا وفقا لمتغيرات الأحداث إلى: إلى دعاية كلية وهي المعبرة عن السلوك الكلي للفرد ، ودعاية جزئية لا تهتم إلا بتقوية أو إضعاف الفرد.

أما من جهة المثدر فيمكن تقسيمها إلى: جزئية وحكومية .

ومن جهة المستقبل "يكسر الباء :فتنقسم إلى :خارجية وداخلية.

ويقسم بعض المختصين الدعاية إلى قسمين وهما : دعية التفرقة " وهي التي تستهدف وحدة العدو" والدعاية المضادة وهي " وتستهدف تنفيذ فكرة العدو أو أسلوبه"

كما يمكن تقسيم الدعاية من حيث المصدر إلى : الدعاية البيضاء أو المكشوفة (وهي عبارة ع نشاط علني من أجل هدف معين)، والدعاية السوداء (الدعاية المستورة وتقوم على نشاط المخابرات السرية ولا تكشف عن مصادرها الحقيقية)، والدعاية الرمادية (وهي الدعاية التي لا تخشى أن يقف الناس على مصادرها الحقيقة)

وتنقسم الدعاية من حيث الوظيفة إلى: الدعاية التحريضية، والدعاية الاندماجية، والدعاية التسويقية.

وبحسب نشاطها يمكن تقسيمها إلى ثلاثة أقسام وهي: الدعاية السياسية، غسل الدماغ، والحرب النفسية.

حدود العملية الدعائية والتأثير الدعائي:

يمكن أن يكون للنشاط الدعائي تأثير فعال إذا كانت هناك ظروف غير طبيعي يمكن استغلالها كالقلق العام والأزمات الاقتصادية والحروب، وكذلك إذا اعتمدت الدعاية على التبرير لرغبات الجمهور ومشاعره أو لجأت إلى الإثارة، والنشاط الدعائي يمكنه التأثير بقوة إذا دعم الاتجاهات القائمة وعزز المعتقدات السائدة أو عرض مادته على جمهور مستعد مسبقا لتقبلها، ويستطيع الدعائي الناجح تقديم مادته رغم قلة المعلومات أو حتى عدم وجودها باعتماده على الوقائع الزائفة لكن التأثير حينها يكون ذو حدين إذ قد تكتشف الحقائق فتفشل الحملة بأكملها.

المواقف المختلفة للآراء نتيجة الدعاية:

تتباين الآراء بالنسبة للدعاية إلى

1. مؤيد بحماس لفكرة الدعاية.
2. مؤيد معتدل.
3. غير مبالي.
4. معارض من حيث المبدأ .
5. معارض بشدة لأسباب موضوعية وذاتية.
6. حيادي لا مع ولا ضد النظم السياسية في العالم تمارس الدعاية السياسية

مقدمة تاريخية في الدعاية الأمريكية:

يرجع تاريخ الدعاية الأمريكية إلى ما قبل انتهاء الحرب العالمية الثانية ففي عام 1942 تم تأسيس مكتب الاستعلامات الحربية ،ثم حل محله مكتب الاستعلامات الدولي عام 1945 م،إضافة إلى وجود مؤسسات غير حكومية قامت بجزء كبير من الدعاية المنظمة خارج الولايات المتحدة في الفترة التي أعقبت الحرب العالمية الثانية.كما أولت الحكومة الأمريكية عددا من إذاعاتها الدولية اهتماما بالغا لغرض تنفيذ سياساتها وتحقيق أهدافها السياسية .وفي عام 1955 م عرفت وزارة الدفاع الأمريكية الدعاية بأنها الاستخدام المخطط الذي يستهدف التأثير في آراء جماعات معادية أو محايدة أو صديقة وعواطفهم وسلوكهم تساعد على تحقيق أهداف محددة) .وفي عام 1969م كانت وكالة الاستعلامات الأمريكية تزود أكثر من ألفي محطة في تسعين دولة حول العالم بأفلام تسجيلية.

وفي عام 1983 أسست الوكالة شبكة "ورلدنت" والتي عملت على تفسير سياسات الرئيس ريجان في أنحاء العالم، يعبر نظام ينقل البيانات عبر الأقمار الصناعية عبر نقاط هي السفارات الأمريكية حول العالم،وهكذا بدأت الولايات المتحدة في تطوير أدواتها ووسائلها الدعاية واستخدام التكنولوجيا الحديثة لفرض هيمنتها على العالم.

تكتيك الدعاية الأمريكية:

استغلت الولايات الأمريكية الظروف الدولية ومتغيراتها الجديدة في صناعة خطاب دعائي ضد أهدافها وتضمينه أكثر نمط تكتيكي، فاستخدمت عدة أنماط من الدعاية ولكل منها تكتيكها، فالدعاية الأمريكية تنقسم إلى دعاية تكتيك مع الحدث وتعتمد على إثارة النقاش المستمر، ودعاية نفسية في أساليبها ومضامينها، ودعاية

الإغراق الإعلامي، ودعاية الرعب القائمة على مبدأ نفسي لتهويل الأحداث،ودعاية الأهداف المختلفة من خلال إخفاء الحقائق للتلاعب بالعقول وتدمير الوعي، ودعاية التحريف لإثارة الانفعالات عند الرأي العام بقصد منعه من التفكير المنطقي، ودعاية البالونات السياسة وتهدف إلى معرفة ردود الفعل إزاء الأحداث والتعامل معها.

فلسفة الدعاية الأمريكية:

الفلسفة الدعائية الأمريكية منطلقة من أصولها بما عرف (بالبراغماتية) والتأثير بنظرية ديوي الذي تبرز تأثير العمل السياسي والدعائي الأمريكي في التوجه داخل الولايات المتحدة وخارجها.

وتستخدم الولايات المتحدة الأمريكية في صراعاتها مع الدول الأخرى وسائل وأساليب متعدد من بينها أسلوب الضغط والمماطلة ، وعليه بررت منطق تغلغلها في حياة الشعوب بنظرية التنمية .

وكذلك تستخدم أسلوب (التسميم السياسي) وهو أحد وسائل الحرب النفسية ويسعى بشكل عام إلى خلق الصديق فإن لم يستطع فمن خلال خلق المعارض، وأبرز أهدافه: خلق التحلل في نظام القيم الاجتماعي بطريقة غير مباشرة، والتدرج في مهمة التوجيه السياسي، والعمل على تذويب الوحدة الوطنية، وأبرز أمثلته ما اتبعته السياسة الأمريكية مع القيادات العربية بعد هزيمة 1967م إضافة إلى عمل الدعاية في خلق الشحنة الانفعالية لدى الرأي العام الأوربي والأمريكي المتعاطف مع الصهيونية.

أهداف الدعاية الأمريكية:

تهدف الدعاية الأمريكية إلى عدة أمور يأتي في مقدمتها محاولة إقناع الشارع الأمريكي بعدالة وصحة قضيتها، بالإضافة إلى تعبئة الكراهية وتوجهها ضد خصومها لإضعاف الروح المعنوية، كما تهدف من خلال الدعاية إلى تطوير علاقتها مع الدول الحليفة المحايدة.

مؤسسات تخطيط العمل الدعائي الأمريكي وتنفيذه:

تقوم وسائل الدعاية والإعلام في أمريكا في صناعة القرار السياسي الخارجي الأمريكي من خلال نقل آراء وأفكار الرأي العام وجماعات المصالح إلى صانعوا القرار، وكذلك التعبير عن آراء وقرارات صانعوا السياسة لكسب التأييد، وتعبئة الرأي العام من قبل صانعوا السياسة إزاء القضايا المتعلقة.

وهذه المؤسسات الدعائية منها ماهو (مؤسسات حكومية وهيئات رسمية) ويأتي على رأسها البيت الأبيض، ووكالة الإعلام الأمريكية USIA،ووكالة

المخابرات الأمريكية CIA ، ومكتب الخدمات الاستيراتيجية OSS ، وقسم الحرب النفسية في وزارة الدفاع PWD، والأجهزة الدعائية لوزارة الخارجية، أما (المراكز غير الحكومية) مثل: مراكز الدراسات الاستيراتيجية والأكاديمية، ومراكز الدراسات الاستيراتيجية السياسية، ومراكز الدراسات الاستيراتيجية القومية.

الهيمنة الأمريكية على وسائل الإعلام الدولية

أدركت مبكراً الأولى انه يتوجب عليها إذا أرادت أن تحقق تفوقاً سياسيا واقتصاديا أن تهيمن على وسائل الإعلام، لذا رفعت الولايات المتحدة شعار حرية الإعلام لتعزيز مصالحها وفرض هيمنتها حتى على الدول التي تهتم باستقلال قراراتها ، ففي أعقاب الحرب العالمية الأولى توجه إلى باريس كنت كوبر مدير الاسوشيتدبرس إلى باريس حيث سعى سعيا حثيثا دون جدوى لإدخال مادة في معاهدة فرساي تنص على مبدأ حرية المعلومات.

ولهذه الهيمنة الأمريكية مؤشرات:

1. الإنتاج الضخم المواد الإعلامية والدعائية المتنوعة : إذ تتراوح ميزانية وكالة الإعلام الأمريكية بين 110- 115 مليون دولار، ويعمل فيها 11 ألف شخص.
2. تكنولوجيا الإعلام والدعايا : فتهيمن الولايات المتحدة على صناعة الدوائر الإلكترونية حيث تنتج حوالي 60% إلى 70% من الإنتاج العالمي، وتسيطر 5 شركات على 80% من الإنتاج الأمريكي.

الدعاية الصهيونية في الولايات المتحدة

بدأت الحركة الصهيونية العالمية في تخفيف ارتباطها ببريطانيا بعد عام 1939م، و نقل ثقلها وتحالفاتها صوب الولايات المتحدة الأمريكية وذلك منذ الحرب العالمية الثانية ، فعملت رؤوس الأموال اليهودية على الهجرة للولايات المتحدة في محاولة للتأثير على موقفها المستقبلي ، ولما قامت الولايات المتحدة بسياسة محاصرة الاتحاد السوفيتي، كان لإسرائيل دور كبير في حماية المصالح الأمريكية ومحاربة الشيوعية ، الأمر الذي زاد معه الدعم العلني من قبل الولايات المتحدة لإسرائيل لشعورها أنها تحقق مصالحها.

السيطرة الصهيونية على وسائل الإعلام في الولايات المتحدة الأمريكية:

هناك تحيزا مساندا للكيان الصهيوني وانحيازا وعداء واضحا ضد العرب وما ذاك إلا لسيطرة الجماعات اليهودية على وسائل الإعلام بأشكال متعددة، كامتلاك الصحف، والإذاعات والمحطات المرئية والمسموعة من قبل اليهود أو تعيين عناصر موالية للصهيونية، وكذلك سيطرة اليهود على العمل الإعلامي، واستقطاب كبار الكتاب والمحللين لتأييد الكيان الصهيوني، وإغراق وسائل الإعلام بالمعلومات الصادرة من قبل الإعلام الصهيوني وغير ذلك من الوسائل

أسس ومرتكزات الدعاية الأمريكية ضد العراق 1991م

مارست الدعاية الأمريكية في الحرب ضد العراق سنة 1991 دورا بارزا في تسويغ هذ العدوان من خلال عدة أسس ومرتكزات أولها (مبدأ التبسيط) : حيث ركزت وسائل الإعلام حينها على تحديد الأهداف "تحرير الكويت" ، وتحديد الخصم "صدام حسين" وتحديد قائد العمليات العسكرية "شوارسكوف" وأن دول العالم تجمعت لتحقيق " الشرعية الدولية" .....

واعتمدت وسائل الإعلام كذلك على (التهويل) من قدرات العراق العسكرية بغرض الإيحاء للرأي العام بقدراتها التوسعية في المنطقة وآثارها الخطيرة فأفردت مساحات واسعة من صحفها للحديث بمعلومات كاذبة عن تعدادا لجيش العراقي وأسلحته ومعداته، وكذلك هولت وسائل الإعلام الآثار الخطيرة على البيئة نتيجة تسرب النفط في مياه الخليج..إلخ.

واستخدمت وسائل الإعلام الأمريكية والغربية (مبدأ التشويه والتضليل) وذلك بإخفاء الحقائق وتشويه الاحداث والأقوال كما حدث في تصريحات الرئيس العراقي صدام حسين تجاه إسرائيل وكذلك ما يتعلق بمشاركة الكيان الصهيوني في الحرب على العراق.

ومارس الإعلام الأمريكي كذلك (الكذب والتزييف) كما حصل في قصة الحاضنات التي روتها ابنة السفير الكويتي في واشنطن أمام الكونجرس واتضح بعد ذلك تلفيقها وأنها مرتبة من قبل إحدى شركات العلاقات العامة الأمريكية.

إضافة إلى (قاعدة الإيقاع والتناغم الجماعي) والتي لا يمكن تحقيها سوى من قبل وسائل الإعلام الكبرى والمقتدرة ماليا والمنتشرة جغرافيا، وهذه المزايا متوفرة لدى الإعلام الغربي حصراً، فقد عمد الآلاف من الاختصاصيين الغربيين في شتى العلوم على إثبات أن العدوان على العراق لم يكن يستهدف سوى تحقيق الشرعية الدولية والحفاظ على المصالح الغربية.

أسس ومرتكزات الدعاية الأمريكية والغربية ضد أفغانستان

اتبعت الولايات المتحدة في دعايتها للحرب نفس النهج السابق المستخدم في حربها على العراق عام 1991م، فاتبعت (مبدأ التبسيط) لتبرير العدوان وأوحت أنها لا تستهدف سوى القضاء على أسامة ابن لادن وتنظيم القاعدة ومساعدة الشعب الأفغاني، واعتمدت وسائل الإعلام كذلك على (التهويل) من إبراز قدرات ابن لادن العسكرية وتنظيم القاعدة ففي عنوان لصحيفة (ميدل ايست أون لاين) أن أمريكا تخشى أن يكون لدى ابن لادن أسلحة نووية!!، واستخدمت وسائل الإعلام الأمريكية (مبدأ التشويه والتضليل) من خلال بثها أخبارا عن حدوث انشقاقات في صفوف الحركة، واعتمدت وسائل الإعلام الأمريكية على (الكذب وتزييف الحقائق) ويمكننا أن نلمس ذلك من خلال الأشرطة المسجلة لابن لادن والتي بثتها قناة الجزيرة والتي تدعو للريبة سيما في ظل وجود التكنولوجيا المتطورة التي تمتلكها الولايات المتحدة والدول الغربية وقدرتها الفائقة على التزييف.

واعتمدت وسائل الإعلام الغربية والأمريكية على (قاعدة الإيقاع والتناغم الجماعي) لكي تلصق ظاهرة الإرهاب بالعرب والمسلمين .

الدعاية الأمريكية والحرب على أفغانستان

إذا كان القضاء على المنظمات الإرهابية في أفغانستان واستعادة الهيبة الأمريكية التي انكسرت جراء هجمات الحادي عشر من سبتمبر هو الهدف المعلن للحملة الأمريكية ضد أفغانستان فإن ثمة أهداف أخرى خفية لهذه الحملة ولعل أبرزها الإطاحة بحكم طالبان وإقامة نظام موالي للولايات المتحد يؤمن وجودا عسكريا أمريكيا دائما في موقع استيراتيجي هام يهدد روسيا والصين وإيران ويضغط على باكستان، كذلك خدمة المخططات الأمريكية في بحر قزوين التي تعج باحتياجات ضخمة، إضافة إلى القضاء على مزارع الأفيون التي تشكل ثلاثة

أرباع الاستهلاك العالمي، ناهيك عن الرغبة في استخدام هذه الحشود في ضرب دول عربية أخرى تصنفها الولايات المتحدة على لائحة الإرهاب.

التسويق الإعلامي للحملة العدوانية الأمريكية على أفغانستان:

منذ اللحظات الأولى التي أعقبت أحداث 11 سبتمبر 2001م راح الإعلام الأمريكي بقرع طبول الحرب من خلال الشعارات التي تصدرت شبكات الإعلام والتلفزة الأمريكية، فهذه شبكة cnn تغير شعارها خلال تغطيتها الإخبارية للأحداث من أمريكا تحت الهجوم إلى (حرب أمريكا جديدة)، أما شبكة nbc فكان شعارها (أمريكا ترد الضربة)، ونشرت الواشنطن بوست تايمز في 2001/9/14 تصريحا لمسؤول سابق في وكالة الاستخبارات الأمريكية يقول فيه:"حان الوقت لاستخدام السلاح النووي"، وتوالت التصريحات للمسؤولين الأمريكان إلى أن صرح كولن باول وزير الخارجية الأسبق خلال مؤتمر صحفي أن المشتبه به هو أسامة بن لادن.

الضغط على وسائل الإعلام الأمريكي:

حاولت الولايات المتحدة الأمريكية ولا تزال خداع العالم من خلال استخدام قدرات ماكناتها الدعائية الضخمة لتمرير وتسويغ مخططاتها للهيمنة على أفغانستان وغيرها من بقاع العالم ، ولقد أثبتت الأحداث بما لا يدع شك أن الدعاية الأمريكية كان لها الأثر الكبير والواضح في تمرير مشاريعها، بل ربما تعدت حتى قدراتها العسكرية الجبارة، فالدعاية الأمريكية على أفغانستان حاولت إضفاء صبغة الشرعية القانونية والأخلاقية على هذه الحملة من خلال خلطها للمفاهيم والربط بين ما حدث في الحادي عشر من سبتمر 2001 وما تحاول إلصاقه جزافا من تهم بالإرهاب والدموية للمسلمين والعرب ، ولكي تزيد الإدارة الأمريكية من فاعليتها استحدثت محطة فضائية ناطقة بالعربية لتوجيه سمومها نحو المنطقة.

إن ما سبق ما تناوله عن الدعاية الأمريكية وتكتيكاتها لا يعني بالضرورة أن جميعها ناجح سيما عندما تحدث المسئولين الأمريكان عن حرب صليبية جديدة مما أوقعهم في إشكالية كبيرة كان ثمنها التراجع لتصحيح المسار واستقطاب تأيد الرأي العام العالمي.

التغطية الصحفية للحرب الأمريكية على أفغانستان

من خلال دراسة الأخبار في وسائل الإعلام الأمريكية في الفترة من 2001/9/12م إلى 2001/10/10م، وتحليل مضمونها دون تصنيف للاتجاهات يمكننا رصد هذه النتائج :

1. أن التغطية الإخبارية تناولت أغلب المواضيع المتعلقة بالأزمة وما رافقها من أحداث عملية.

2. سعت وسائل الإعلام إلى الانحياز وعدم الموضوعية من خلال طرح الأحداث.
3. التركيز على اتهام ابن لادن بالوقوف وراء الاعتداء.
4. السعي إلى تشويه صورة العرب والمسلمين بطرق وأساليب متعددة، منها تحميل المسلمين والعرب المسؤولية.
5. لم تعدد التغطية الخسائر الأمريكية بشكل دقيق فجاءت الإحصائيات متضاربة.
6. ركزت التغطية على مخاوف أمريكا من المزعومة من عمليات إرهابية جديدة.
7. لم تشر التغطية الإخبارية إلى دعوة أمريكا للرد العسكري بضرب العالم الإسلامي.
8. عرضت التغطية حالات الكراهية التي تعرض لها العرب المسلمين في أمريكا إثر الهجوم.
9. وعرضت كذلك اتخاذ أمريكا أسلوب لفت الانتباه بحيث افتعلت مرض الجمرة الخبيثة ، وجعلت هذا الموضوع هو القضية الأهم متجاهلة ما يتعرض له الشعب الأفغاني من تدمير وإبادة.
10. لم ترد إي إشارات لجهود ومساعدات عربية قدمت لأمريكا سوى جهود قطر.

تقاليد الدعاية الصهيونية

وأثرها على سلوك النظام الإيراني زمن الشاه

برز حجم تأثير الدعاية الصهيونية وعلى وجه الخصوص جانب التعامل النفسي على سلوك نظام الشاة رغم ادعاءاته بمعادة إسرائيل ، ورغم تطبيقات إيرانية كثيرة مستوحاة من الطريقة التي يفكر بها الصهاينة في معاداتهم للعرب خصوصا في أهم جانب وهو (التسويق والمماطلة).

والتعامل النفسي في العمل الدعائي الصهيوني يركز على أهمية استغلال الإنسان بما يحقق حالة التأثير المطلب في تكوين الشكل النهائي لأفكاره وقناعاته .

وإذا نظرنا إلى الخلفيات التاريخية للمواقف الصهيونية ومطابقتها مع المواقف الإيرانية تظهر لنا بصمات الدعاية الإيرانية واضحة وأسلوب معاداته للعراق والأمة العربية.

خلفية التعاون الإيراني الصهيوني:

جاءت وقائع التعاون الإيراني الصهيوني وبشكل خاص في ميدان التسليح مما يؤكد التوجهات الحقيقية في زمن الشاه وهي التوجهات المناهضة للعرب ،والتي تقوم على العدوان والتوسع وفرض الهيمنة والنظرة العنصرية فكما هي طبيعة الصهيونية كحركة عنصرية عرفها العالم وأدانها رسميا بقرار من الأمام المتحدة (3379)، في المقابل انتهجت إيران الفارسية سياسة التمييز العنصري في التعامل مع العرب عبر التاريخ مرور بالشاه محمد رضا بهلوي والذي احتل أرض الأحواز العربية عام 1925 م الذين ظلوا محرومين من أبسط حقوقهم بالرغم من تغيير الأنظمة السياسية وكذلك القوميات الأخرى التي تقطن إيران كالأكراد والبلوش والأذاريين والتركمان.

كما انتهجت إيران عبر التاريخ سياسة العدوان والتوسع فتكرر العدوان الإيراني على العراق في حقب تاريخية مختلفة، إضافة إلى الاحتلال الإيراني لدولة الأحواز العربية عام 1925م .

العلاقة مع نظام الشاه:

برز في سلوك نظام الشاه الإيراني وسياساته تجاه المنطقة العربية عدة أمور:

- مهاجمة القومية العربية على أساس عنصري معتبرا أنها والصهيونية وجهان لشيء واحد، في محاولة لتبرئ ساحته من العلاقة مع الكيان الصهيوني.
- دعا إلى الفتنة الطائفية من خلال دعمه للاضطراب والقومي والطائفي في عدد من الدول العربية كالسعودية والكويت والبحرين، إضافة إلى التصعيد السياسي العسكري الإعلامي ضد العراق.
- كرس مسألة التوسع الإقليمي فاحتل الجزر الإماراتية (طنب الكبرى ، وطنب الصغرى، وأبو موسى)

الدعم العسكري الإسرائيلي لإيران:

على ضوء الفهم الصهيوني لدور إيران وتأجيج العداء ضد العراق، سارع رئيس الوزراء الإسرائيلي إلى اتهام العراق بنقض اتفاق الجزائر عام1975م.

وتوالت الدعوات إلى إسناد العراق لإيران، حتى أعلن أحد المسئولين الإسرائيلين عن إمكانية تقديم مساعدات لإيران خاصة أن أسطولها البحري مزود بصواريخ إسرائيلية من نوع إمبريال. كما كشفت المراحل اللاحقة عن اتصالات سرية بين الجانبين قبل عام 1978م.

المسلسلات المدبلجة ومساهمتها في الجنوح

تزايد في الفترة الأخيرة ما يعرف بالمسلسلات والأفلام المدبلجة وهي أفلام مسلسلات غربية وأفلام كرتون للأطفال هي في الأصل غير عربية فيتم عمل الدوبلاج عليها وهو تركيب الصوت على لسان أبطالها وبطلاتها بحرفية عالية لدرجة ينسى معها المشاهد أن المسلسل في أصله أجنبي وغير عربي، وهنا تكمن خطورة هذه المسلسلات والأفلام فأداء الممثلين العرب بأصواتهم المفعمة بالتعبير لهذه الأدوار مع جودة الإخراج ، وتتابع الأحداث الساخنة ، والانفعالات السلوكية، واختلاف القيم والمعتقدات المنافية للعادات والتقاليد، الأمر الذي يؤدي إلى إشباع الغرائز المدفونة لدى الشباب الأمر الذي يؤدب معه إلى الجنوح.فقد ذهب الكثير من علماء النفس من خلال البحث والدراسة إلى أن عوامل الجنوح مكتسبة وغير وراثية .

تعريف الجنوح :

هو العمل الذي يرتكبة الحدث ويعتبره القانون جريمة، يعاقب عليها ، وهو سلوك لا يقبله المجتمع ويعتبره مصراً، أو منافياً لقيمه وتقاليده.

والجانح هو : (الحدث أو المراهق الذي يخالف القانون بارتكابه جريمة أو جنحة أو مخالفة ، ويحكم بإدانته عند وصول ميوله الاجتماعية إلى درجة من الخطورة بحيث يصبح موضع إجراءات رسمية".

ويبدأ الجنوح غالباً لدى الأحداث الذين تتراوح أعمارهم بين 12-18 سنة وما بعد, وهي بداية فترة المراهقة التي تعدّ من أخطر مراحل العمر في حياة الإنسان.

وتؤكد الدّراسات النّفسية والاجتماعية على أهمية دور التربية الصالحة للشّاب منذ الطفولة في كنف الأسرة ثم المدرسة, فإذا تلقّى الشاب منذ صغره رعاية وتربية جيدة ينشأ صالحاً, وإن كانت تربيته سيئة تظهر لديه ظواهر الانحرافات في وقت مبكّر, ولهذه الظّاهرة عوامل اجتماعية وأسرية ونفسية.

وتتعدد الأسباب التي تؤثر في حدوث ظاهرة الجنوح, فمنها ما يعود إلى أسباب نفسية أو اجتماعية أو عوامل بيئية وكذلك التصادم الحضاري , ولعلّمن

الأسباب النفسية التي تؤثر في حدوث ظاهرة الانحراف أو الجنوح مشاعر الإحباط واليأس وخيبة الأمل التي يشعر الإنسان بها نتيجة فقره, وهذا ما يؤدي إلى إتباع أنواع من السلوك المنحرف, كالسرقة وغيرها, ولعلّمن الأسباب الاجتماعية أنّبعض الأسر تدفع بأبنائها إلى سوق العمل لساعات طويلة خلال اليوم, فيغيبون عن البيت أو المدرسة بعيداً عن الرّعاية والمتابعة, , وقد بينت الدّراسات أنّالجنوح جمعي وليس فردياً فالشّاب لا يقوم بتنفيذ أعمال منحرفة كالسرقة والنّشل وعمليات التّهريب وغيرها بمفرده بل بعمليات جماعية شبه منظّمة على شكل عصابات أو شلّة بالتّعاون مع أقرانه, ومن هنا تأتي أهمية اختيار الشّاب لأصدقائه من أهل الصّفات الحميدة.

ولعلّمن أسباب الانحراف أيضاً: الإدمان على السّكر وتعاطي المخدرات من قبل ربّالأسرة, كما أن الهروب والتسرب من المدرسة ومن البيت, وعدم ملء أوقات فراغ الشّاب بنشاطات وفعاليات مفيدة (رياضية أو أدبية أو ثقافية...) يؤدي الى ظهور الشذوذ والانحراف النفسي والأخلاقي والخروج على قيم المجتمع لدى الشباب, ولا يغيب عن الأذهان أن الشاب إذا شعر بالحرمان المادي أو العاطفي أو الرعاية أو الحبّوالحنان والعطف أو التّربية الحسنة سيقع في مخاطر الجنوح والشذوذ الاجتماعي. وإن من أبرز العوامل الأسرية المؤثرة تفكك الأسرة ووجود النزاعات الدّائمة بين الوالدين, أو فقدان الأب في الأسرة, أو وجود زوجة الأب التي يمكن أن تهمل واجبات أبناء زوجها, وقد يمارس الأهل بصورة عامّة القمع والقسوة مع أبنائهم كوسيلة تربية, فتدفعهم تلك الممارسات الى الهروب المستمر من البيت واللجوء إلى الشّوارع والزّوايا السّيئة, فيتعلم منها الشّاب العادات والقيم غير الأخلاقية بسرعة ويسر. نتائج تتركها ظاهرة الجنوح لدى الشّباب؟

وقد أجرى أحد الباحثين دراسة على عينة بلغت 100 من طلاب وطالبات كليتي الآداب والتربية بجامعة بغداد للعام الدراسي 1995/ 1996 م أوضحت نتائجه ما يلي: ضعف الوعي لدى 68% من الطلبة بمخاطر المسلسلات المدبلجة، عدم وضوح أهداف المسلسلات المدبلجة لدى 63% من الطلبة عينة الدراسة، مشاهدة 57% لمشاهد العنف والجريمة في البرامج التلفزيونية والمسلسلات المدبلجة ، تشجيع رفقاء السوء على مشاهدة المسلسلات المدبلجة والحديث عن فوائدها 93%.

العلاقات الدولية المعاصرة والتبادل الإعلامي

المقدمة

إن السؤال حول مدى تأثير العلاقات الدولية المعاصرة على الإعلام صار سؤالاً غير مناسب في هذه الأيام ، إذ قد تكون الحاجة أكثر إلحاحاً إلى طرح السؤال بشكل مقلوب عن تأثير الإعلام على العلاقات الدولية المعاصرة حيث أصبح التبادل الإعلامي الدولي في ظل النظام الدولي الراهن واحداً من أكثر المواضيع إثارة للاهتمام وذلك نظراً للإمكانيات الهائلة والمتقدمة والتي تبشر بتأثير تلك التطورات على التبادل الإعلامي الدولي خصوصاً وأن التطور المشاهد للاتصال والإعلام الجماهيري والثقافة الجماهيرية أصبح ميزة للقرنين الأخيرين العشرون والواحد والعشرون على أقصى تقدير ويمكن تحديد تطورهما من وجهة نظر اقتصادية على أنه جاء تطبيقاً للتغيرات التي أحدثتها الثورة الصناعية في مجال الثقافة والنتيجة المترتبة على ذلك هي ولوج عالم التبادل الإعلامي بالحرف والصوت والصورة دون عوائق تذكر بسب تقنيات الاتصال ووسائل الأعلام الإلكترونية الحديثة ولكن رغم ذلك أصبح تأثير الثورة المعلوماتية بما تحمله من موجات تغيير من أكثر المناقشات والجدل الذي يوحي بأن ما حملته تلك الثورة من تأثير إيجابي من جانب يأتي ليتغلب عليها تأثير وأخطار سلبية من جانب آخر عبر خرق الكثير من الحدود خصوصاً وأن الاجتياح الرأسمالي باتجاه الهيمنة على وسائل التبادل الإعلامي من خلال الثورة المعلوماتية الصناعية في أوروبا لا يهدف إلى تكريس منافع هذه الوسيلة لخدمة التطور الفكري والاقتصادي والسياسي فحسب و أنما كان الهدف منه هو بناء سياج مرتفع للدفاع عن المصالح الطبقية ، وتشكيل آليات حسب ما تتماشى به مصالحها في تشكيل حدود العلاقات الدولية بين السلطات وصياغة آليات التفاعل وبشكل خاص في تأطير مفاهيم الرأي العام ومدى تأثيرهما في صناعة القرار السياسي والعلاقات الدولية .ولذلك أطلق الدكتور/محمد البخاري على كتابه (العلاقات الدولية المعاصرة والتبادل الإعلامي) كمحاولة منه لتسليط الضوء على آفاق ومراحل تكوين الإعلام الدولي ودوره في تحديد أطر السياسات الخارجية وتنفيذها، والعلاقات الدولية في ظروف الثورة المعلوماتية والعولمة وسلبياتها وأخطارها على السياسة الخارجية

والصراعات الدولية كأدوات للنظم السياسية في إطار العلاقات الدولية والتفاهم الدولي، والتبادل الإعلامي من وجهة نظر الأمن القومي، وأهمية التخطيط الإعلامي لنجاح الحملات الإعلامية ليضيف إلى قاموس المعلومات المعرفية للقارئ والباحث والطالب صورة واضحة عن طبيعة تأثير التبادل الإعلامي على مسيرة العلاقات الدولية المعاصرة.

آفاق العلاقات الدولية :من خلال مقدمة يطرحها الكاتب حول اهتمامات بعض الدول العظمى في مستقبل العلاقات الدولية المعاصرة ومناقشات وتنبؤات بعض المؤرخين يأتي بذلك ليبين الارتباط الوثيق بين العولمة وآفاق العلاقات الدولية ليؤكد بذلك أنها جاءت بدورها لتعزز التشابك الاقتصادي والأمني لمختلف الدول وصاحبها تغيرات في الأجندة السياسية الدولية وهذا يعني تحول السياسة العالمية والدبلوماسية نحو الاقتصاد ورفع مستوى الوعي القوميين سكان الكرة الأرضية وظهر تأثير العولمة على العلاقات الدولية والعمل الدبلوماسي منذ بداية القرن الحادي والعشرين حيث أخذت تظهر على الخط الأول مسائل عسكرية وسياسية، رافقتها أزمات عسكرية، ولقاءات قمة، غلبت عليها مسائل التجارة الخارجية، والمالية، وحماية البيئة، والتبادل الإعلامي الدولي وغيرها.ونتيجة لما سبق أدرك أطراف اللعبة الدولية أن العولمة غيرت جوهر العلاقات الدولية، أفضلياتها، ووسعت من إمكانيات العمل المشترك لمختلف الدول، وفتحت الآفاق أمام المجتمع الدولي لتعاون متعدد الأطرافوأبرزت وزن "الدبلوماسية الاقتصادية"، التي رافقتها "الدبلوماسية البيئية"، مع ازدياد أهمية "الدبلوماسية الشعبية"، و"دبلوماسية التنمية" لحل مشاكل دول الجنوب الفقيرة ' الأمر الذي يدعو العالم إلى تشكيل منظومة عالمية لمواجهة التهديدات والأخطار الجديدة، الناتجة عن العولمة في القرن الحادي والعشرين' وكلها وضعت معظم الدول العربية أمام تحديات لم تكن تتوقعها تهدد أمنها ومصيرها ووحدة أراضيها، وبذلك يؤكد المؤلف أنه لابد من التصدي لها بدأ من ساحة التبادل الإعلامي الدولي الذي تفتقر لها معظم الدول العربية، وأمام عجز جامعة الدول العربية عن تأسيس إعلام خارجي عربي موحد يمكن أن يتصدى للهجمات الإعلامية التي تتعرض لها الأمة العربية وشرح القضايا والمواقف العربية مما هو جار الآن على الساحتين الدولية والإقليمية.

مراحل تكوين الصحافة الدولية ما يريده المؤلف من هذا الموضوع هو إثبات أن الصحف والمجلات الدولية تعد من الوسائل الهامة في عملية التبادل الإعلامي الدولي، نظراً للإمكانيات الهائلة التي تملكها، سواء أكانت تلك الإمكانيات تقنية أم بشرية، أم مالية، وتعتبر من الوسائل الفاعلة لتنفيذ السياسة الخارجية للدول الواقعة تحت تأثير دول أخرى بأي شكل من الأشكال، وهي من

الوسائل التي تلجأ إليها مختلف المؤسسات والجماعات للاستفادة من خدماتها لتحقيق أغراضها الثقافية والسياسية والاقتصادية المختلفة. وكان من الطبيعي أن يؤدي تركيز السلطة الإعلامية الدولية في بعض الدول المتقدمة خلال ثمانينات القرن العشرين إلى خلق تيار عالمي جديد أصبحت معه وسائل الاتصال والإعلام الجماهيرية والمصالح الإعلامية خاضعة لسلطة الاتحادات الدولية التي ظهرت نتيجة للتركيز في حالات كثيرة، وبدأت تغزو الساحة الإعلامية العالمية وتسيطر على حركتها، وخاصة من خلال سيطرة تكنولوجيا الاتصال والمعلوماتية، التي شهدت تسعينات القرن العشرين انطلاقة حقيقية لثورة علوم الإلكترونيات الدقيقة، ورافقها اندلاع الثورة المعلوماتية وتدفق المعلومات عبر مصادر عديدة، وهي التي أتاحت للإنسان في أي مكان من العالم، إمكانية استقاء المعلومات وحرية تداولها، ومتابعة الأحداث والتطورات فور وقوعها. والتحدي المطروح أمام وسائل إعلام الدول النامية اليوم وفق آراء الباحثين هو ضرورة اللحاق بثورة تكنولوجيا العصر، بالسرعة اللازمة والكفاءة المميزة، وإلا تخلفت عن سوق المنافسة، مع صحافة الدول المتطورة، وتخلفت أكثر في مواجهة وسائل الإعلام الإلكترونية، وخاصة وسائل البث الإذاعي المرئي المباشر. وهذا يتطلب من الدول النامية في العالم، والدول الأقل تطوراً، ضرورة إعادة النظر وبعمق، في مفهوم المجتمع لرسالة وسائل الاتصال والإعلام الجماهيرية وعلاقتها بنظم الحكم المتغيرة والمتتالية في البلدان النامية، وطبيعة مهمتها في ظل المتغيرات المتعاقبة ونوعية القوانين التي تحكم هذه العملية التفاعلية. لتكون أداة أمن واستقرارا لتلك الدول في عالم تعصف فيه متغيرات سريعة.

وكالات الأنباء العالمية ودورها في تحديد أطر السياسات الخارجية وتنفيذها : بحكم أن وكالات الأنباء العالمية من المصادر الهامة للأنباء الدولية التي تعتمد عليها وسائل الإعلام الجماهيرية لإعداد موادها عما يجري حولنا من أحداث في العالم العاصف دائم المتغيرات الاقتصادية والعلمية والتكنولوجية والسياسية والاجتماعية. يبين المؤلف في كتابة من خلال هذا الموضوع أن الكثيرين يعتبرون وكالات الأنباء العالمية جزء لا يتجزأ من سياسات القوة التي تعتمد عليها القوى العظمى لتحقيق جزء هام من سياساتها الخارجية والدفاع عن مصالحها الحيوية في أنحاء مختلفة من العالم..حيث يضرب الكثير من الأمثلة التي تبين أن وكالات الأنباء العالمية تتعدد أهدافها وتستطيع الوصول إلى أهدافها بنجاح حسب مواصفات مثالية وضعتها لنفسها مثل وكالة أنباء AFP الفرنسية التي اعتبرت وسيلة من وسائل السياسة الخارجية الفرنسية، من خلال تركيزها على نقل الأخبار وفق الأولويات التي تراها مناسبة لها، وبما يتناسب مع المواقف الفرنسية، ومما ساعدها على الانتشار الواسع في العالم الخبرة الطويلة

التي تكونت لديها، والمناخ السياسي السائد في فرنسا، وإمكانياتها المادية والتقنية وقدرات السياسة الخارجية الفرنسية، إضافة لدعم الحكومة الفرنسية.ومن الناحية التاريخية نرى أن وكالة الأنباء الفرنسية هافاس Havas، ووكالة الأنباء البريطانية رويتر Reuter، ووكالة الأنباء الألمانية وولف Wolff، قامت بتقسيم العالم قبل أكثر من قرن ونيف من الزمن إلى مناطق نفوذ إعلامية، تمشياً مع السياسات الاستعمارية التي كانت تتبعها آنذاك الدول الأوروبية وخاصة فرنسا وروسيا وبريطانيا، الشركاء الثلاثة في الاحتكار الدولي للأنباء، وكان همهم الوحيد آنذاك الحصول على الربح ودعم الحكومات المتعاونة معها في الداخل والخارج، وتقدم لها المساعدة والمؤازرة للاحتفاظ بالسلطة والأوضاع الراهنة. وأظهرت بعض الدراسات الإعلامية أنه إضافة للاحتكار وتوزيع مناطق النفوذ في عملية التبادل الإعلامي الدولي، فإن وسائل الإعلام الجماهيرية الدولية، حرصت على نقل وتوزيع الأخبار والتعليقات والتحليلات السياسية والاقتصادية والعسكرية من منظور المصالح التي تمثلها، أخذة بعين الاعتبار مصالحها السياسية والاقتصادية، وهذه معضلة لم تزل تعاني منها الدول الأقل تطوراً والدول النامية والدول الفقيرة، المضطرة لاستخدام ما يصلها من المصادر الإعلامية الدولية، متأثرة في أكثر الأحيان بمواقف تلك المصادر، وهذا يفسر محاولات بعض الدول الأقل تطوراً والدول النامية، التكتل عالمياً وإقليمياً لإنشاء وسائل إعلام جماهيرية قوية، يمكن أن تخلصها من هيمنة واحتكار وسائل الاتصال ووسائل الإعلام الجماهيرية الدولية، في جمع ونقل وتوزيع ونشر الأنباء عالمياً ًويؤكد المؤلف أن معظم وكالات الأنباء الوطنية في دول العالم كما هي الحال في الدول النامية تخضع تماماً لسلطة القانون في تلك الدول، بالإضافة لخضوعها للرقابة الصارمة من قبل الدولة التي تمارس نشاطاتها الإعلامية داخلها، وهو ما يستدعي التفكير جدياً في ما تدعيه بعض الجهات العالمية لنفسها من ديمقراطية وحرية كلمة وحرية التصرف واتهامها لبعض الدول وخاصة الدول النامية التي تحاول الخروج من دائرة تأثير تلك الجهات بغياب الديمقراطية وحرية الإعلام وكأن تلك الدول تعيش دون قوانين ناظمة لشؤون الإعلام في بلادها.

العلاقات الدولية في ظروف الثورة المعلوماتية :أصبحت الثورة المعلوماتية في الآونة الأخيرة من أهم المواضيع حساسية في إطار الحوار الدولي الجاري لتحليل تأثيرات الثورة المعلوماتية المختلفة وطرق التحكم بتطورات الأحداث على الساحة الدولية. ويجري هذا في الوقت الذي يشكك فيه البعض بإيجابيات العولمة على الجوانب المالية والاقتصادية، والسياسية، والثقافية والأيديولوجية والإعلامية والاتصالية في العلاقات الدولية المعاصرة، وجاءت الأزمة الاقتصادية العالمية الأخيرة لتؤيد شكوكهم. “. وكان ي.س. إيفا نوف وزير الخارجية الروسي أشار

في كتابه "السياسة الخارجية الروسية في عصر العولمة" إلى بعض العناصر الرئيسية لعملية العولمة، السياسية والاقتصادية والعلمية والتكنولوجية وحاول تحليلها من وجهة النظر الروسية، وذكر أنها فجرت الحياة الحضارية وغيرت صورة الإنسانية.يستعرض المؤلف في هذا الموضوع أيضاً النتائج الإيجابية التي أدت إليها العولمة حيث يقول أن بعض إيجابيات التطور الإنساني في ظروف العولمة مرئية حتى لضيقي الأفق، أدت إلى ارتفاع المستوى المعيشي للناس، ووفرت وسائل اتصال وإعلام دولية تجتاز الحدود السياسية للدول بسهولة بالغة. وأدت العولمة بالتدريج إلى نمو حركة تدفق رؤوس الأموال حتى أصبح حجم التعامل المالي الدولي اليومي يبلغ حوالي 1.5 تريليون دولار أمريكي لتصبح عبارة "التصدير يحكم العالم" حقيقة ملموسة.. وأخذت تظهر جزر كاملة للتكنولوجيا المتطورة في الدول النامية كـ: سان باولو في البرازيل، والشريط الحدودي من مصانع التجميع في شمال المكسيك، ومدن كاملة في الهند، وكل تايوان وغيرها من الدول.. حتى أن البعض أصبحوا يقولون أن العولمة وفرت السبل من أجل مشاركة عشرات الدول والشعوب بالتقدم المالي والاقتصادي والعلمي المشترك.ويؤكد المؤلف أنه حتى الآن لم تعلن أية دولة في خطها السياسي الرسمي على الأقل معاداتها للعولمة، وأن الجميع يتقبلون العولمة كمؤشر إيجابي ولكن بوجهات نظر متفاوتة رغم الظروف الصعبة التي خلقتها الأزمة الاقتصادية العالمية الأخيرة.

أما بالنسبة لموضوع سلبيات وأخطار العولمة فيبين المؤلف انه في حال الإعتراف بحتمية الانتقال إلى العولمة الشاملة من الضروري الإشارة إلى السلبيات والظواهر القاتلة والأخطار التي تفرضها العولمة على الإنسانية والموجودة فعلاً، ومنها:خطر تعرض العالم لأزمات مالية واقتصادية بسبب خضوع العالم للشركات متعددة الجنسيات التي أصبحت فوق الدول وأخطار فرض مفاهيم وأسلوب التفكير والحياة الأمريكية على العالم وخطر تعميق الهوة بين الدول الغنية والدول الفقيرة في العالم (دول الشمال الغنية ودول الجنوب الفقيرة)وخطر اتساع ظاهرة إضعاف دور الدول القومية، وعولمة الإرهاب، والتضييق على الثقافات واللغات القومية ومحاولة القضاء عليها، وإثارة الفتن والقلائل والاضطرابات الدينية والعرقية في الدول متعددة القوميات.ويؤكد المؤلف أن الولايات المتحدة الأمريكية في الواقع مستمرة بتقدمها متجاوزة مصالح كل الدول الأجنبية. ويقول المؤلف أنه لا يخفي القادة الأمريكيون سعيهم الحثيث لتوظيف كل القدرات الاقتصادية والمالية، والعلمية والتكنولوجية والعسكرية والسياسية من أجل فرض السيطرة الأمريكية على العالم في القرن الحادي والعشرين.ويبين أيضاً أن الهيمنة الثقافية الأمريكية اليوم تتمثل من خلال تحويل

اللغة الإنكليزية باللهجة الأمريكية إلى لغة وحيدة لعولمة وسائل الاتصال والتبادل الإعلامي الدولي والعلاقات الدولية. مشيراً بذلك إلى كتاب البريطاني د. كريستال "اللغة الإنكليزية لغة العولمة"، وكتابه "موت اللغات ويبين المؤلف إثبات العلاقة بين الإرهاب والعولمة مستشهداً ما حدث من الأعمال الإرهابية في الولايات المتحدة الأمريكية في 2001/9/11وماتبعها من أعمال إرهابية شملت الكثير من الدول ،وهو ما دفع الملتقى الدولي الذي عقد في كرواتيا خلال نوفمبر/تشرين ثاني 2002 لمناقشة مشاكل الدبلوماسية العلنية، ووسائل الإعلام الجماهيرية والإرهاب. إظهار حقيقة جديدة مفادها أنه لولا عولمة بث الإذاعة المرئية لما كان الإرهاب. لأن الهدف الرئيسي للإرهاب كما أشار البعض ، ليس قتل بضع مئات أو حتى آلاف الناس، بل إخافة ملايين البشر.

الثورة المعلوماتية يبين المؤلف من خلال طرح هذا الموضوع ثورة تكنولوجيا الاتصالات والمعلوماتية بأنها تعتبر من القوى الرئيسية الدافعة للعولمة،وتدريجياً تحسنت نوعية المصادر المعلوماتية ووسائل تداول المعلومات وحفظها واسترجاعها، وشهدت الحقبة الأخيرة من القرن العشرين ذلك. وينوه المؤلف التقدم الحثيث لتكنولوجيا المعلومات المتقدمة في السنوات الأخيرة أوصل إلى ظهور مستقبل آخر للأخطار التي تواجهها البشرية وحصلت على تسمية "الهوة الرقمية"، والحديث هنا يدور عن زيادة الهوة بين الأمم الغنية والأمم الفقيرة من حيث توفر وسائل الاتصال والمعلوماتية. حيث أن التفوق الهائل للغرب في هذا المجال يشكل تهديداً ليس بتعميق الهوة بين الأغنياء والفقراء في العالم ، بل ويمهد لإساءة استخدام الساحة المعلوماتية من أجل العدوان، من خلال تحكم الغرب وتوجيهه للحملات الإعلامية لتحقيق أهداف محددة له، وخير مثال على ذلك أن قصف أفغانستان، وقصف العراق، وقصف يوغسلافيا، وقصف لبنان، وقصف فلسطين، بدأ والأمريكيين والأوروبيين يتابعون تلك الأحداث باهتمام على شاشات الإذاعة المرئية، وكأنها ألعاب كمبيوتر لا غير.

الإعلام الدولي والسياسة الخارجية .يشير المؤلف في هذا الموضوع أن الإعلام الدولي جزء لا يتجزأ من السياسة الخارجية للدول المستقلة المتمتعة بالسيادة الوطنية الكاملة، ووسيلة فاعلة من وسائل تحقيق بعض أهدافها السياسية الخارجية داخل المجتمع الدولي.ويبين أن الإعلام الدولي يخدم المصلحة الوطنية العليا للدولة، وفقاً للحجم والوزن والدور الذي تتمتع به هذه الدولة أو تلك في المعادلات الدولية القائمة، وتأثيرها وتأثرها في الأحداث العالمية المستجدة كل يوم. وخاصة عند نشوب أزمات سياسية أو اقتصادية أو عسكرية أو اضطرابات اجتماعية تطال تلك الدولة، أو الدول المجاورة لها، أو تطال مناطق المصالح الحيوية للدول الكبرى في أنحاء مختلفة من العالم، أو في حال حدوث كوارث

طبيعية.ويشير أن التبادل الإعلامي الدولي يساعد على تعزيز التفاهم الدولي والحوار بين الأمم، ليؤدي إلى خلق تصور واضح للدول بعضها عن بعض، مفاده التحول من النظام الثقافي القومي التقليدي المغلق، إلى نظام ثقافي منفتح يعزز التفاهم الدولي ويعمل على تطويره أو إلى نظام ثقافي شمولي تديره جهات معينة من وراء الحدود للوصول إلى أهداف معينة تخدم مصالحها الخاصة. ، وساعد على إحداث تغيرات ثقافية واجتماعية واضحة، رغم تضارب المصالح الاقتصادية والسياسية والصراعات الإيديولوجية المؤثرة على القرار السياسي اللازم لأي تقارب أو حوار دولي هادف بين مختلف دول العالم

وظائف الإعلام الدولي يتساءل المؤلف من خلال طرحه لهذا الموضوع عن الأسباب التي جعلت وسائل التبادل الإعلامي تتحول إلى نظام مفتوح أمام قوى التغيير الآتية من الداخل والخارج (لماذا كل هذا الاهتمام بوسائل الإعلام الجماهيرية؟) ليكون الجواب هو انه تلك الوسائل أصبحت تصل اليوم إلى جمهور واسع متعدد الشرائح والقيم والانتماءات،.ويشير أيضاً أن للإعلام الدولي دوافعه ووظائفه المحددة يؤديها تنفيذاً للدور الذي تفرده له السياسة الخارجية للدولة أو الهيئة التي يتبع لها ويبين أيضاً مدى أهمية إلمام خبراء الإعلام والمخططين للحملات الإعلامية الدولية بالنظم السياسية للبلدان المستهدفة والقوى المؤثرة فيها سواء أكانت تلك القوى في السلطة أم في المعارضة، ودور تلك القوى في اتخاذ القرارات لاستخدامها في وضع خطط الحملات الإعلامية المؤيدة، أم المضادة وأن نأخذ بعين الاعتبار الحقائق الاجتماعية والثقافية التي تساعد على نجاح الحملات الإعلامية الدولية.واستخدام الوسائل التي تتيح أكبر قدر ممكن من الصلات المباشرة مع الجماهير، للوصول إلى تأثير إعلامي أفضل وأكثر فاعلية.وفي مقارنة أخرى يقول الكاتب عندما ننظر اليوم إلى الطريقة التي تستخدم فيها الدول الغنية كل تقنيات وسائل الاتصال الحديثة في خدمة حملاتها الإعلامية الدولية، . في الوقت الذي نرى فيه الدول النامية تتخبط بمشاكلها الإعلامية، وتعاني من الآثار المترتبة عن التطور التكنولوجي الحديث، والخلل الفاحش في التدفق الإعلامي الدولي أحادي الجانب والتوجه والتأثير.

مشاكل الإعلام الدولي في الدول النامية يشير المؤلف هنا بأن الخلط بين الوظيفة الإعلامية المحلية، والوظيفة الإعلامية الإقليمية، والوظيفة الإعلامية الدولية، ومتطلبات كل من تلك الوظائف وخصائصها المتميزة؛ من أهم المشاكل التي تواجه الإعلام الدولي في الدول النامية ، والذي يؤدي بدوره إلى عدم إتباع أسلوب إعلامي منطقي ملائم ومتطور قادر على إيصال مضمون الرسالة الإعلامية للقطاعات المستهدفة من الحملة الإعلامية الدولية وبمعنى أصح يؤدي إلى غياب الوعي في مستوى التخطيط الإعلامي .

الإعلام الدولي والصراعات الدولية يستعرض المؤلف الكثير من ما يعانيه عالم اليوم من صراعات سياسية ومنازعات عسكرية ويبين من خلال ذلك دور الإعلام الجماهيري في عملية الصراع متمثلاً بتعبئة الرأي العام المحلي والإقليمي والدولي حول وجهة النظر الرسمية للدولة من الصراع الدائر وشرحها وتغطية أخبار أهم أحداثها تباعاً. وشرح وتحليل أبعاد هذا الصراع وأسبابه، مع مراعاة أن يأخذ خبراء الاتصال والإعلام والصحفيين بعين الاعتبار، خصائص الجمهور الإعلامي المخاطب ثقافياً وسياسياً وتاريخياً، ومدى تعاطفه مع وجهة النظر الرسمية للدولة المعنية في هذا الصراع، واختيار اللغة المناسبة للرسائل الإعلامية لتصل إلى أقصى حد ممكن من التأثير والفاعلية، لأن السلاح الإعلامي في أي صراع كان ولم يزل لا يقل أهمية عن القوة العسكرية والاقتصادية، لأنه الوسيلة الناجعة لرفع معنويات القوى البشرية في الدول المعنية، وتحطيم الروح المعنوية للخصم في الصراعات الدائرة، مع التأكيد على أن الإعلام الناجح هو السند القوي في الكفاح على الجبهة السياسية والعمل الدبلوماسي الهادئ والرصين والمنطقي.

مستقبل العلاقات الدولية يربط المؤلف هيمنة الولايات المتحدة الأمريكية في عدة جوانب على مستقبل العلاقات الدولية المعاصرة من جهة وتأثير العولمة من جهة أخرى من خلال عرض تحليل لتوقعات متخصصين الدوليين عن العولمة بأنها عززت التشابك الاقتصادي والأمني لمختلف الدول، وتغيرت إلى حد بعيد الأجندة السياسية الدولية، ورافقها تغيير لأفضليات مصالح الدول على الساحة الدولية وتبدلت إمكانيات وسائل تنفيذ سياساتهم الخارجية وأن مفهوم قوة الدولة تغير من الاعتماد على القوة العسكرية إلى الاعتماد على تطوير الموارد المالية والاقتصادية والمعلوماتية والفكرية للدولة.هذا ما يعني تحول السياسة العالمية والدبلوماسية نحو الاقتصاد.وأن العولمة يمكن أن تؤدي إلى ارتفاع عدد الدول المستقلة. وأنه من المرجح زيادة عدد الصراعات العرقية والحدودية وتوقع انهيار دور المنظمات الدولية الحكومية بداية من منظمة الأمم المتحدة مع ازدياد تأثير المنظمات غير الحكومية، مثل: الخضر، وأطباء بلا حدود، وغيرهم.
ومطالبة أغلبية الدول النامية بحق تقرير المصير مما سيعرض مبدأ عدم المساس بحدود الدولة ووحدة أراضيها إلى خطر كبير هذا مادعا له الكاتب للقارئ أن يتصور ذلك الوضع .إضافة إلى زيادة خطر انتشار السلاح النووي وغيره من أسلحة الدمار الشامل، وعدد الدول التي تملك السلاح النووي ويوضح المؤلف أن تأثير العولمة على العلاقات الدولية والعمل الدبلوماسي منذ بداية القرن الحادي والعشرين حيث أخذت تظهر على الخط الأول مسائل عسكرية وسياسية، رافقتها أزمات عسكرية، ولقاءات قمة، غلبت عليها مسائل التجارة الخارجية، والمالية،

وحماية البيئة، والتبادل الإعلامي الدولي وغيرها.بينما يرى الكاتب أيضاً من جانب آخر أن الدبلوماسيون يفهمون أن العولمة غيرت جوهر جداول أعمال السياسة الدولية، أفضلياتها، ووسعت من إمكانيات العمل المشترك لمختلف الدول، وفتحت الآفاق أمام المجتمع الدولي للتعاون متعدد الأطراف. وأبرزت وزن الدبلوماسية الاقتصادية، التي رافقتها الدبلوماسية البيئية، مع ازدياد أهمية الدبلوماسية الشعبية، ودبلوماسية التنمية لحل مشاكل دول الجنوب الفقيرة. الأمر الذي يدعو العالم إلى تشكيل منظومة عالمية لمواجهة التهديدات والأخطار الجديدة، الناتجة عن العولمة في القرن الحادي والعشرين.

الدول العربية والساحة الإعلامية الدولية يبين الكاتب في هذا الموضوع وسائل هيمنة الولايات المتحدة وهدفها الرئيسي بأن يشهد العالم ميلاد الشرق الأوسط الجديد الذي يريدونه دون أي مراعاة لمصالح شعوب المنطقة.من خلال النكبة التي وقعت للعراق والتي مثلت نكبة للدول العربية بكونها دوله عظمى بما تحملة من نهضة علمية في عدة جوانب ولابد أن الهدف الأساسي من اجتياح العراق كان تحطيم البنية الأساسية لقطاع البحث العلمي العراقي واعتقال أو تصفية كبار علمائه. ووقف الاختراق العلمي الذي حققه العراق ويمكن أن يضمن القوة والمنعة للدول العربية ويضمن لها التقدم العلمي والتكنولوجي والاقتصادي والقدرة علي المنافسة في الأسواق الدولية التي يتزايد انفتاحها بشكل تدريجي في ظروف العولمة..ومن مقارنة بسيطة لثمار البحث العلمي التطبيقية وفي مجال نشر المقالات والدراسات العلمية في مجال التقدم العلمي والتكنولوجي والتقني يبين الكاتب انه وبكل بساطة أن الدول العربية ليست منتجة وليست مستهلكة لمنتجات التقنية العالية وهذا الأمر الذي منع الكاتب من التعليق وهذا ماجعله يقول أنه لا بد من القول أن الدول العربية مجتمعة دون استثناء بحاجة لتطوير مداخلها وتوجهاتها نحو البحث والتطوير العلمي والتكنولوجي ودخول عام التكنولوجيا المتقدمة التي يفرضها دخول عالم اليوم عصر العولمة الشاملة وتتطلب تفعيل مراكز البحث العلمي القائمة وترشيد عملها وإيجاد الناقص منها لتتكامل دائرة التعليم والإعلام والبحث العلمي وإنتاج واستهلاك التكنولوجيا المتقدمة وتنسيق الجهود على صعيد العالمين العربي والإسلامي

وسائل الإعلام والاتصال الجماهيرية كأدوات للنظم السياسية يطرح المؤلف من خلال هذا الموضوع عدة أفكار متمثلة بأن الثورة المعلوماتية وما صاحب وسائل الإعلام والاتصال الجماهيري من تطور مرتبط بتغيير البيئة والأطر القانونية والمهنية التي تتحكم بأدائها لتعطي الصورة الشاملة لمؤشرات التعايش مع المشكلات، ومواجهتها وليبقى الإصرار على طرح المشكلات مفيدا للوصل إلى حلول تمكن وسائل الإعلام والاتصال الجماهيرية من مواكبة عصر

العولمة، لاسيما وأن الصحفيين هم صناع التفاؤل وزراع الثقة بالمستقبل.بعد ذلك يقوم المؤلف بعرض للثورة السورية 1963 مستعرضاً أهم التطورات في ذلك المجال و يرى أن وسائل الإعلام والاتصال الجماهيرية في سورية هي اليوم أحوج من أي فترة مضت لدراسات في تحليل الأداء الوظيفي لها. ويتناول بعد ذلك مفهوم النظام السياسي عن طريق عرض بعض النماذج ك أستون وألموند حيث يؤكد ان هذه النماذج ماهي إلا محاولة لتحليل أطر المصالح المختلفة للشرائح الاجتماعية داخل النظام السياسي ومدى توافقها وتضاربها مع المصالح الوطنية العليا، ومدى تفاعل الأطر السياسية داخل نظام الإدارة الشاملة للمجتمع وطريقة ضبط العلاقات المتبادلة بين تلك الأطر لتوفير الاستقرار للنظام الاجتماعي وتوفير سبل استخدام السلطات ويشير إلى ضرورة تحديد المصطلحات، والمفاهيم والنظريات السياسية وإيضاح العلاقات المشتركة بينها، لأن النظم السياسية ما هي إلا عبارة عن أنظمة مفتوحة أمام التأثيرات الداخلية والخارجية وتدرس في نطاق العلوم السياسية. ويشير د.محمد البخاري بالمكانة الخاصة التي احتلتها وسائل الإعلام والاتصال الجماهيرية النظام السياسي كونها مؤسسات معقدة تلعب دوراً هاماً ضمن التفاعلات السياسية الجارية في المجتمع من خلال تركيزها على نشر المعلومات وإعلام الشرائح الاجتماعية عما يجري من أحداث وظواهر في الدولة وغيرها من دول العالم..كما يؤكد المؤلف على أهمية دراسة علاقات التأثير المتبادل بين الدين والسياسة و علاقة الدين بالهيئات والمنظمات والجماعات التي تدخل في إطار نظام سياسي وتشترك في إدارة المجتمع. وينوه المؤلف على ان توفر تطور معين في النظام السياسي السائد في المجتمع، يؤدي إلى تجنب ظهور متناقضات اجتماعية تؤدي إلى نشوب صراعات وقلاقل اجتماعية ناتجة عن الخلل في توزيع الموارد الاقتصادية، والامتيازات السياسية، والثقافية، والتعليمية، والخدمات بين جميع الطبقات والشرائح التي يتشكل منها المجتمع المعني.

آفاق التبادل الإعلامي الدولي في إطار العلاقات الدولية يؤكد المؤلف بدايةً بأن هناك دوراً مطلوباً من الإعلام الدولي يؤديه في إطار العلاقات الدولية ويلبي من خلاله جوانب مختلفة من السياسة الخارجية للدول، ويبين أن ما نلاحظه على السياسة الخارجية المعاصرة،أنها لم تعد تعتمد اليوم على فرد، بل أصبحت تعتمد على فريق عمل متكامل، مزود بأحدث تقنيات المعلوماتية مما أفسح المجال لصاحب القرار في مجال السياسة الخارجية، الاعتماد على فريق عمل من المستشارين المتخصصين في تخصصات متنوعة. و لكن الكاتب يصرح أيضاً بأن هذا لا ينفي دور المؤسسات الديمقراطية في المجتمع المدني لإضفاء الشرعية على قرار معين في السياسة الخارجية للدولة من جانب آخر ، ومن ثم ينتقل

الكاتب إلى عرض الوسائل المتبعة في تنفيذ السياسة الخارجية للدول الذى أسماها بدبلوماسية المساعدات الاقتصادية لتحقيق أغراض سياسية معينة. ويبين المؤلف بعد ذلك أن المزايا التي تتمتع بها التجارة الالكترونية تؤدي إلى تغييرات جوهرية في طبيعة وأساليب عمليات التبادل الإعلامي الدولي لأنها تعمل على تحقيق ثلاثة عناصر رئيسية تتمثل في الكفاءة من خلال تخفيض التكاليف ، والفعالية ، والابتكار ويقول منوهاً أن التحليل الدقيق لمفهوم الثورة التكنولوجية يظهر أن ظاهرة الحروب المعلوماتية ليست قاصرة على الجوانب التقنية المعقدة لنظم المعلوماتية والاتصال عبر شبكات الكمبيوتر الحديثة المستخدمة في إدارة العمليات الحربية فقط، بل تتعدى ذلك لتشمل طبيعة الحرب نفسها مع قدوم عصر المعلوماتية وبعد تحليله ينتقل للتحدث عن التبادل الإعلامي الدولي كونه من الوسائل الفعالة لتنفيذ سياسة الدولة الخارجية ويمارسها الجميع من رجال الدولة في الوقت الذي تسعى فيه وسائل الإعلام والاتصال الجماهيرية الموجهة للخارج إلى تحقيق أهداف السياسة الخارجية من خلال مؤسساتها الإعلامية المختصة بالإعلام الخارجي،.ويؤكد الكاتب أيضاً أن الإعلام الدولي يتمتع بأهمية خاصة كوسيلة من وسائل تنفيذ السياسة الخارجية للدول الكبرى والمتقدمة، تتناسب مع حجم مصالح هذه الدول على الصعيد الدولي، وتعاظم دورها وتأثيرها في السياسة على الساحة الدولية ومن نظرة موضوعية للوظيفة الإعلامية، فإننا لا نستطيع الفصل بين الإعلام الداخلي والإعلام الخارجي لأنهما عملياً يكملان بعضهما البعض ويقومان بعمل واحد يخدم سياسة الدولة ويدعم مواقفها على الصعيدين الداخلي والخارجي.. ويؤكد أخيراً إن الإمكانيات المادية الكبيرة للدول هو ما يفسر نجاح الحملات الإعلامية لتلك الدول بغض النظر عن الموضوعية والمنطق والحجج التي يلجأ إليها إعلام تلك الدول.

التبادل الإعلامي الدولي كوظيفة من وظائف المنظمات الدولية بما أن التبادل الإعلامي وظيفة من وظائف المنظمات الدولية، وتختلف هذه الوظيفة باختلاف طبيعة عمل هذه المنظمات وأنشطتها ووظائفها في المجتمع الدولي.. يعرض المؤلف من خلال هذا الموضوع أعمال تلك المنظمات الإقليمية والدولية مبيناً الأستفادة التي تستفيد منها الدول الصغيرة والفقيرة التي لا تملك إعلاماً خارجياً، من منابر تلك المنظمات لتوجيه بيانات ومذكرات تجد طريقها في أكثر الأحيان للنشر في وسائل الإعلام الدولية المختلفة. وفي جانب آخر ينتقل الكاتب إلى موضوع خضوع التبادل الإعلامي الدولي كوظيفة من الوظائف المتعددة للمنظمات الدولية والإقليمية، للحدود التي تخضع لها تلك المنظمات الدولية والإقليمية، ويبين أنها تخضع قراراتها وفق أنظمة تلك المنظمات للمداولة تحت تأثير الظروف والضغوط الخارجية، ومصالح أعضائها ومصالح الدول

المتقدمة المهيمنة على الساحة الدولية. رغم أن قرارات هذه المنظمات غير ملزمة وفقاً لمبدأ "المنظمات الدولية ليست فوق الدول ولكنها تشكل إرادة مستمدة من إرادة الدول الأعضاء في تلك المنظمات"، يقول الكاتب بما أن وظيفة التبادل الإعلامي الدولي كوظيفة من وظائف المنظمات الدولية والإقليمية، هي المساهمة في تشجيع التعاون السلمي والتفاهم بين الشعوب، ودفع التطور الإنساني ونشر المعرفة لما فيه مصلحة الإنسان والمجتمع، مستخدمة في ذلك كل وسائل وتقنيات الاتصال الحديثة، ووسائل الإعلام الجماهيرية إلا أنها تعتبر مشكلة من مشاكل التبادل الإعلامي لدخول الدول العظمى في الهيمنة على تلك الدول الفقيرة تحت تلك المسميات.

التبادل الإعلامي والتفاهم الدولي يبين المؤلف من خلال طرحه للموضوع إن الصورة المثالية للتفاهم الدولي من خلال الإعلام هو الموضوعية وأنها بحد ذاتها وترتبط في معظم الأحيان بالحديث عن السلام العالمي والتفاهم والتعاون الدولي، ونبذ الصراع بكل أشكاله، واللجوء إلى التفاوض في حل المشاكل والخلافات المحلية والإقليمية والدولية، والسعي إلى ما فيه خير البشرية، بما فيها إقامة سلطة تتعدى سلطة الدول، مثال المحاكم الدولية .

اللغات القومية والتفاهم الدولي كانت فكرة المؤلف من خلال طرح هذا الموضوع هو توضيح وتأكيد بأن مايجعل عملية التفاهم الدولي صعبة وشاقة هو تعدد اللغات مستعرضا أيضاً أهم الجهود التي بذلت دولياً في هذا الجانب كمحاولة الاتحاد الدولي للغة الاسبيرانتو نشر لغة خليط من اللغات الأوربية، وخاصة منها: الفرنسية والإنجليزية والإسبانية والألمانية، وتدريسها ، واستخدامها في العلاقات الدولية، كوسيلة لتحقيق التعاون الثقافي والتقارب بين الشعوب وبالرغم ما حققته هذه المحاولة من نتائج إلا أنها لم تستطيع الانتشار بالشكل المطلوب بسبب سعي الدول الكبرى تسعى إلى نشر لغاتها عالمياً بشتى الأشكال، وفق سياسات القوة في العالم وما يؤكد ذلك الحركات استعمارية الذي أدت إلى نشر لغات المستعمِرين في أوساط الشعوب المستعمَرة ، ومن جانب آخر يبين المؤلف إن الموضوعية أو عدم تشويه الوقائع، أو الكذب الذي تصاغ به المادة الإعلامية بشكل يصعب فيه اكتشاف الحقيقة، واستخدامه ببراعة للهجوم على الخصم، من خلال توجيه جوانب الموضوع بتكتيك معين يسير في إطار تحقيق أهداف السياسات الخارجية للدول.حيث يبين المؤلف من جانب آخر أيضاً خطورة توزيع المصادر الإعلامية في العالم، عندما توظف الدول المتقدمة إمكانياتها الاقتصادية، وتقدمها العلمي والتكنولوجي في خدمة سياساتها الخارجية، وجعل التطور العلمي والتكنولوجي في مجال الاتصال، من وسائل الإعلام الجماهيرية والسيطرة عليها سلاحاً خطيراً في أيدي القوى الكبرى والدول المتقدمة والغنية، للتأثير على

الرأي العام العالمي وتوجيهه، وخاصة فيما إذا استخدمت وسائل الإعلام الجماهيرية القوية والمسيطرة تلك، للتحريض على الحرب وإثارة التعصب الديني والقومي والعنصري، دون الدعوة للسلام والتعاون والتفاهم بين الشعوب، ونبذ أي نوع من التعصب مهما كان نوعه، خدمة للتقدم الإنساني.

المعيقات السياسية لعملية التبادل الإعلامي الدوليبين المؤلف فكرته في طرح هذا الموضوع أن الثورة المعلوماتية والتكنولوجية وما صاحب وسائل التبادل الإعلامي من تطور حيث زاد الدور العالمي لها رغم تباين النظم السياسية والإيديولوجية ودرجات النمو الاقتصادي والثقافي والاجتماعي لدول العالم المختلفة.والسبب في ذلك هو أن من يصنع ويملك تقنيات وتكنولوجيا الاتصال ويتحكم بصياغة المادة الإعلامية هو المسيطر على عملية التبادل الإعلامي الدولي دون منازع يذكر، ليوضح المشاكل العويصة الناتجة عن ذلك والذي تتمثل في ضخامة وتضارب المصالح الحيوية لمختلف دول العالم وخاصة الدول المتطورة والغنية ومن المشاكل العويصة التي تواجه وسائل الإعلام الجماهيرية كوسيلة من وسائل السياسة الخارجية للدولة، العلاقة الموضوعية بين السياسة الخارجية للدولة، والرأي العام الوطني، والرأي العام الإقليمي، والرأي العام الدولي، خاصة عندما يبرز تضارب واضح وتباين بينها.كما يختتم في طرح هذا الموضوع فكرته بأنه إذا كان العالم يتجه نحو التعاون الإيجابي بين الأمم ، إلا أن هذا لا يعني انتهاء المشاكل والصراعات الدولية القديمة منها والجديدة والمتجددة، وكل ما يحدث هو تغير في الظروف الدولية وديناميكية العلاقات الدولية، وزيادة في عملية التفاعل والتبادل الإعلامي الدولي. ويدعوا خبراء الإعلام الإلمام بالعلاقات الاقتصادية والسياسية والثقافية والعلمية الدولية، ومسارها التاريخي، والنظم والاتجاهات السياسية السائدة في دول العالم، وخلفية مواقفها من العلاقات الدولية المعاصرة، ليستطيع كلاً منهم أخذ مكانه الفاعل والمؤثر في عملية التبادل الإعلامي الدولي المتجددة، وخدمة سياسات بلده الداخلية والإقليمية والدولية بعد أن تجاوزت وسائل الإعلام والاتصال الجماهيرية فعلاً الحدود الفاصلة بين تلك السياسات.

المعيقات الاقتصادية لعملية التبادل الإعلامي الدوليريد المؤلف توضيح بأن مدى التقدم التقني والعلمي في أي دولة، قد ترك بصماته على وسائل الاتصال المتطورة، ووسائل الإعلام الجماهيرية الحديثة. مما سمح لبعض الدول الغنية والمتطورة والأكثر تقدماً اقتصادياً وعلمياً وتقنياً، بالسيطرة على وكالات الأنباء العالمية، وقنوات الإذاعات المسموعة والمرئية الفضائية، والصحف والمجلات الأكثر انتشاراً في العالم، مبيناً الفارق الكبير بأن الاستثمارات الصناعية الضخمة في مجال وسائل وأجهزة الاتصال تتركز في الدول المتقدمة، بينما الدول المتخلفة

والنامية والفقيرة هي مستهلكة لبعض منتجات هذه الاستثمارات من خلال الاستيراد وبرامج المساعدات الاقتصادية ومن هنا يرى المؤلف أن التقدم التكنولوجي يعتمد على الثروة المتوفرة لدى الدول الغنية والكبيرة، قليلة العدد في المجتمع الدولي وأن عملية التبادل الإعلامي الدولي تركز بالدرجة الأولى على أخبار الدول الكبرى المتطورة والغنية، وأخبار بعض الدول الأقل تطوراً المؤثرة في ميدان الأحداث والسياسة الدولية، والسبب سيطرة هذه الدول ومنها الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا وفرنسا وبشكل أقل روسيا وغيرها من الدول المتطورة على وسائل الإعلام الدولية، مما يتيح لتلك الدول فرض وجهة نظ رها من خلال عملية التبادل الإعلامي الدولي أحادي الجانب. وهكذا نرى مدى تأثر عملية التبادل الإعلامي الدولي بالأوضاع الاقتصادية لكافة دول العالم، التي نستطيع تقسيمها إلى دول متطورة غنية مسيطرة، تمتلك وتتحكم بالمصادر الإعلامية الدولية وتقنياتها، وتوجه عملية التدفق الإعلامي الدولية، ودول متوسطة تؤثر وتتأثر بعملية التدفق الإعلامي الدولية، ودول نامية فقيرة على هامش عملية التبادل الإعلامي الدولية.

خصائص التبادل الإعلامي الدولييحاول المؤلف طرح فكرتين من خلال هذا الموضوع ليصور خصائص التبادل الإعلامي الدولي وهي الحتمية التكنولوجية حيث يؤكد المؤلف على مراعاة أهمية إحاطة الناس بأكبر قدر ممكن من المعلومات عن وسائل الاتصال والإعلام الجماهيرية، لأنه بمعرفة كيفية تشكيل التكنولوجيا الحديثة للبيئة المحيطة بنا نستطيع أن نسيطر عليها ونتغلب تماماً على نفوذها أو قدرتها الحتمية. أما الفكرة الثانية التي طرحها أنه مع مواكبة الثورة المعلوماتية وحدوث تحول ثقافي واجتماعي عالمي يجب على خبراء الإعلام والصحفيين أن يدركوا كل تلك المتغيرات عند إعدادهم وتنفيذهم للحملات الإعلامية الموجهة للداخل والخارج على السواء، كي لا تحدث إخفاقات تؤدي إلى عدم استجابة المستقبل لمضمون الرسائل الإعلامية الموجهة إليه، وأن لا يكون رد فعله مغاير لأهداف الحملة الإعلامية الموجهة. وأن يؤخذ في الحسبان أيضاً اختلاف درجات التقدم الاجتماعي والثقافي والعلمي والتكنولوجي، وتباين النظم والمعتقدات السياسية والإيديولوجية بين دول العالم المختلفة، ودرجات التباين بين دول النظام المتشابه.

الاحتكار في التبادل الإعلامي الدوليؤكد المؤلف أنه بالرغم من التقدم الهائل لوسائل الإعلام والاتصال الجماهيري في العالم والتي يأتي مواكبة للثورة المعلوماتية إلا أن ذلك أدى إلى الاحتكار والتركيز في عملية التبادل الإعلامي الدولي لم تزل مرتبطة بالمشاكل السياسية والاقتصادية التي سبق وأشرنا إليها، والتي نتج عنها احتكار قلة قليلة من دول العالم لمصادر الأنباء العالمية ووسائل

الاتصال الحديثة وخاصة شبكة الأقمار الصناعية التي تتولى نقل ما تبثه وسائل الاتصال والإعلام الجماهيرية إلى كافة أنحاء العالم.

تأثير التبادل الإعلامي الدولي على عملية اتخاذ القراراتيؤثر التبادل الإعلامي الدولي على اتخاذ القرارات في السياسة الخارجية للدولة، من خلال مساهمته بإمداد أصحاب القرار بالمعلومات اللازمة، التي يمكن على أساسها اتخاذ قرار معين.ولما كان لوسائل الإعلام والاتصال الجماهيري من خلال عملية التبادل الإعلامي الدولي، المقدرة على تقرير ما ينبغي أن يعرف وما ينبغي الاحتفاظ به، ودعم أهداف سياسية معينة، أو لخلق أحداثاً معينة من خلال التمهيد لها، والمساهمة في خلق ودعم وجهة النظر فإنها بقيت تتمتع بأهمية خاصة في العلاقات الدولية، ويبرز دور التبادل الإعلامي الدولي من خلال وكالات الأنباء والقنوات الإذاعية المسموعة والمرئية العالمية، والصحف والمجلات الأكثر انتشاراً في العالم، إبان الأزمات السياسية والاقتصادية، والكوارث الطبيعية، والأخطار التي تهدد بلادهم أو تهدد البشرية، والصدامات العسكرية الساخنة، أو التهديد باستخدام القوة العسكرية على الساحة الدولية. حيث يعتمد أصحاب القرارات الحاسمة عند دراستهم للظروف والأوضاع من كل الجوانب، قبل اتخاذ القرار اللازم، على ما توفره مصادر الإعلام الدولية، والمصادر الدبلوماسية، ومصادر أجهزة أمن الدولة، ولهذا تعكف بعض المؤسسات العلمية على دراسة العلاقة بين عملية التبادل الإعلامي الدولي وعملية اتخاذ القرارات السياسية، من قبل الزعماء السياسيون، كواحدة من مؤشرات العلاقات الدولية بشكل عام.

فاعلية التبادل الإعلامي الدوليكون المؤلف بروفيسور قسم العلاقات العامة والإعلان، كلية الصحافة بجامعة ميرزة أولوغ بيك القومية الأوزبكية.فأنه من خلال هذا الموضوع يبين أنه هناك معايير هامة من أجل الوصول إلى فاعلية أكبر من الحملات الإعلامية الدولية كالقدرة على التصدي للإعلام المضاد الموجه لنفس الساحة الإعلامية، ومدى قدرة وسائل الإعلام الجماهيرية الدولية المستخدمة من قبل القائمين بالاتصال على انتزاع المبادرة من الإعلام المضاد والتوجه إلى الجمهور الإعلامي بشكل أكثر فاعلية في المواضيع المطروحة، ولو أن الظروف الدولية من تأزم أو انفراج العلاقات الدولية، تعتبر من الأمور الخارجة عن نطاق المعايير الإعلامية، ولكن الحملات الإعلامية قد تؤدي في بعض الحالات إلى انفراج أو خلق أزمات في العلاقات الدولية المتشعبة..ويبين أيضاً أن وسائل الاتصال والإعلام الجماهيرية هي من الركائز الأساسية لتبادل الأفكار والمعلومات بين أفراد المجتمع وتعد أساساً لتفاعلاته الاجتماعية وتقريب وجهات النظر بين مواطني البلد الواحد والمجتمعات المختلفة.بعد ذلك ينتقل المؤلف ليركز على البرامج المعربة ويطرح تساؤلات عن الدافع والاهتمام بتلك البرامج هل

الدافع الحقيقي هو إشراك الجمهور في البرامج، وهل هذا الإشراك هو لإثبات الانتشار لتحقيق أرباح تجارية عن طريق الحصول على إعلانات تجارية باهظة الثمن، أم دفع الآلاف للتصويت هاتفياً وعبر خدمة الرسائل النصية القصيرة SMS بالغة التكاليف بمجموعها، وأخيراً من المستفيد منها، وهل هي لترسيخ بيئات ثقافية واجتماعية أوروبية وأميركية في أذهان المشاهدين العرب لإحداث تغيير مطلوب في طريقة وأسلوب التفكير عن الإنسان العربي، ولتحديد إيجابيات وسلبيات تلك التصرفات على المجتمع العربي في وقت يتعرض فيه لأقسى أنواع الغزو الثقافي ؟؟ً!!

العلاقات العامة كوظيفة من وظائف التبادل الإعلامي الدوليبيواصل المؤلف ذكر وظائف التبادل الإعلامي حيث يحاول من خلال هذا الموضوع التأكيد على أ ن الوظيفة الدولية للتبادل الإعلامي الدولي، تعتبر شكل من أشكال وظائف العلاقات الدولية. حيث يوضح أن الإعلام بدء بالظهور كوظيفة من وظائف العلاقات الدولية المعاصرة إثر قيام عصبة الأمم في مطلع القرن الماضي، وتأصل هذا المفهوم بعد إنشاء منظمة الأمم المتحدة إثر الحرب العالمية الثانية، وإنشاء المنظمات الدولية الأخرى. لينتقل بذلك بتأكيد بأن اليونسكو تظل ، منظمة الحكومات الرئيسية في العالم، التي يمكن أن تسهم بدور فعال في تهيئة أفضل الشروط لمتابعة الحوار الثقافي بين الثقافات والحضارات في القرن الحادي والعشرين، على ضوء ما تفرضه ثورة الاتصال والمعلوماتية، التي لابد وأن تؤدي في النهاية إلى مزيد من الكونية، التي قد تؤدي إلى نجاحات أكثر لدول الشمال المتطورة التي تحتكر اليوم أحدث وسائل الاتصال والإعلام الجماهيرية في العالم، في فرض نوع من الهيمنة الحضارية، والثقافية، والاقتصادية، والسياسية، ترجح الكفة لسيطرة نموذجها الثقافي والحضاري، وتجعل من الثقافات القومية، ثقافات مغلوبة على أمرها، لا طائل لها، ولا صوت لها للدفاع عن نفسها، وعن بقائها واستمرارها في الحياة على كوكب الأرض.

العلاقات العامة الدولية (الدبلوماسية الشعبية)كوظيفة للتبادل الإعلامي الدولي يبين المؤلف من خلال موضوعة أن التغييرات التقنية والعلمية والاقتصادية والسياسية والاجتماعية في العالم، وخاصة مع نهاية ثمانينات القرن العشرين، أدت إلى تداخل المصالح الدولية، بسبب سهولة الاتصال التي أتاحتها وسائل الاتصال الحديثة. مما زاد من أهمية دور وفاعلية العلاقات العامة في العلاقات الدولية، وتعتبر العلاقات العامة حلقة وصل بين مؤسسات المجتمع الواحد، وبين المجتمعات البشرية في العالم، عن طريق تقديم خدمات معينة لها مبنية على الثقة المتبادلة، وانطلاقاً من أهمية الفرد والشرائح الاجتماعية المختلفة، وقوة وتأثير الرأي العام في المجتمعات على مختلف المؤسسات الاقتصادية

والسياسية والاجتماعيةومع انتشار مفهوم العلاقات العامة في العالم يبين إهتمام بعض الدول بذلك حيث زاد من اهتمام الشركات متعددة الجنسية بالعلاقات العامة الدولية عبر شبكات الاتصال الدولية، واعتمادها عليها في العلاقات التجارية والمصرفية والنقل والتأمين، وتبادل المعلومات على الصعيد الدولي، إضافة إلى أن العلاقات العامة وسائل الإعلام الجماهيرية في الحصول على المعلومات والمواد الإعلامية، مما يزيد من إمكانية انتشارها على الصعيد العالمي. ولعل منافذ وكالات الأنباء والصحف والمجلات والإذاعات ومحطات التلفزيون، والمراكز الإعلامية الدولية عبر شبكة الإنترنيت، خير مثال على تحول العالم في المجال الإعلامي بالفعل إلى قرية كونية، والعلاقات العامة الدولية كوظيفة لم تستثنى من وظائف السلك الدبلوماسي، وأصبحت من المهام الأساسية للبعثات الدبلوماسية المعتمدة في الخارج، وفق ما تسمح به إمكانيات كل دولة من دول العالم.

الإعلان كوظيفة من وظائف التبادل الإعلامي الدوليبالرغم من أن التطور الهائل لوسائل التبادل الإعلامي والذي بدوره ساعد على تطوير أساليب وطرق الإعلان الدولي وزاد من فاعليته يبدءا الكاتب في هذا الموضوع بالتنويه على أن أساليب الإعلان المحلي تختلف تماماً عن أساليب الإعلان الدولي، بسبب تباين خصائص مستقبل الرسالة الإعلانية في الخارج عنها في الداخل، مبيناً ضرورة مراعاة تلك الخصائص حتى لا يأتي بنتائج عكسية غير الأهداف التي صدر من أجلها. بعد ذلك ينتقل الكاتب إلى تأكيد أهمية متابعة دراسة تأثير الإعلان الدولي، والتخطيط له من قبل الحكومات والمنظمات الدولية، بهدف حماية الثقافات الوطنية في الدول الأقل تطوراً والدول النامية والدول الفقيرة من احتواء ثقافات الدول المتطورة والغنية لها، وبالتالي اندثار ثقافة الدول الضعيفة إلى اللاعودة. ومن أجل حماية الأجيال الصاعدة من الانحراف عن الخط القويم للمجتمع الذين ينتمون إليه، وحماية المستهلكين بصورة عامة من الإعلانات المنحرفة والمضللة، وتوخي الدقة عند اختيار وكالات الإعلان الدولية، وتسجيلها في المنظمات الحكومية الدولية، وإلزامها بمراعاة الخصائص الثقافية المحلية للمناطق التي يتوجه إليها الإعلان الدولي.

العولمة والتبادل الإعلامي الدولي باعتبار أن العولمة تحمل معنى "جعل الشيء على مستوى عالمي، أي نقله من حيز المحدود إلى آفاق اللامحدود. واللامحدود هنا يعني العالم كله، فيكون إطار الحركة والتعامل والتبادل والتفاعل على اختلاف صوره السياسية والاقتصادية والثقافية وغيرها، متجاوزاً الحدود السياسية والجغرافية المعروفة لدول العالم، ومن هذا المعنى تطرح العولمة ضمناً موضوع مستقبل الدولة القومية وحدود سيادتها، ودورها سواء على المستوى

الداخلي أو الخارجي ' يحاول المؤلف من خلال طرح هذا الموضوع وضع استنتاجات حول بداية ظهور وتطورالعولمة كونها أساساً لنتاج الثورة العلمية والتكنولوجية، ليحاول التأكيد بأن العولمة ليست نظاماً اقتصادياً فقط، بل تعدته إلى كافة مجالات الحياة السياسية والثقافية والعلمية والإعلامية، وذلك بسبب الاجتياح الرأس مالي بإتجاه الهيمنة على وسائل الإعلام.مؤكداً أيضاً أن ما ساعد على الانتشار السريع للعولمة انتصار الرأسمالية على العديد من الأنظمة وينتقل بذلك للتنويه على أن العديد من الحكومات أثارت مخاوف وشكوك سياسية كثيرة، يمكن أن تنجم عن بث بعض الدول برامج معادية لأنظمة الحكم، وأفكاراً وأيديولوجيات تهدد الاستقرار السياسي والاجتماعي داخل دول أخرى يستهدفها البث الإذاعي المسموع والمرئي. كما وعبرت بعض القوى السياسية والاجتماعية المؤثرة في العديد من دول العالم عن خشيتها من النظام الإعلامي المفتوح الذي قد يهدد ثقافات وتقاليد وعادات ومقدسات الشعوب المغلوبة على أمرها.بعد ذلك يؤكد المؤلف على أن الاندماج الإيجابي والواعي في النظام العالمي الجديد. انطلاقاً من حقائق أن العولمة ليست ظاهرة بلا جذور، بل هي ظاهرة تاريخية وموضوعية نتجت عن التطور الهائل لتكنولوجيا وسائل الاتصال وجمع ونقل المعلومات، والطبيعة التوسعية للإنتاج الرأسمالي. ولا يجوز البقاء خارجها، ويجب اللحاق بما يجري في العالم، والتعامل معه بوعي ووفق قواعد محددة تجنباً للبقاء خارج (إطار التاريخ).

التبادل الإعلامي الدولي كوظيفة للدبلوماسية الرسميةيطرح المؤلف فكرته حول هذا الموضوع بالتأكيد على أن العمل الدبلوماسي هو وسيلة هامة لتنفيذ مهام محددة للسياسة الخارجية للدولة، وهي إدارة العلاقات الدولية من خلال التفاوض، كما وتعرف بفن التفاوض من أجل تحقيق الحد الأقصى للأهداف بالحد الأدنى من النفقات، لحل مشاكل تناقض النظم السياسية أو الاقتصادية التي يمكن أن تؤدي إلى نشوء نزاعات قد تؤدي إلى اندلاع حرب.ولو افترضنا بأنه هناك دبلوماسية إعلامية بحد ذاتها، فإننا نستطيع القول بأن تطور وظيفة العمل الدبلوماسي، قد جعل الدبلوماسي يقوم بمهام إعلامية من خلال إلقاء البيانات، وإطلاق التصريحات، ونشر الأخبار، وإجراء الاتصالات، وإقامة علاقات مع صانعي القرار السياسي، والصفوة الاجتماعية وقادة الرأي.و أن عملية الاتصال بالجماهير أصبحت اليوم من المهام المرتبطة بالعمل الدبلوماسي، وهكذا يرى الكاتب أن العمل الدبلوماسي أصبح مرتبطاً بالعمل الإعلامي، وهذا يفسر الأسباب التي دعت بعض فروع العلوم السياسية لاعتبار الاتصال والإعلام، والعلاقات العامة الدولية فرعاً من الفروع الدراسية التي يتحتم على الطالب دراستها، حتى أن مظاهر العمل الدبلوماسي خلال القرن العشرين اتخذت منحى

الرغبة في نشر ثقافة الدولة التي يمثلها الدبلوماسي، بالإضافة لممارسته الوظيفة الإعلامية الدولية.

المستشارون والملحقون الإعلاميون بعد توضيح المؤلف بأن المستشارون والملحقون الإعلاميون، يمارسون الوظيفة الإعلامية الدولية، أو وظيفة التبادل الإعلامي الدولي من خلال الاتصال بالجماعات المؤثرة في الدول المعتمدين لديها، كالمسئولين في الدولة، وأعضاء البرلمان، والأحزاب السياسية، وجماعات الضغط،، وقادة الرأي وغيرهم من القوى المؤثرة في صناعة القرارات السياسية بشكل عام من خلال ممارسات متنوعة، ينتقل بعد ذلك ليطرح ملاحظته حول أن الدول المستقلة حديثاً، والدول الأقل تطوراً، والدول النامية والفقيرة تعاني من انخفاض في مستوى كفاءة مستشاريها وملحقيها الإعلاميين، ومن اختيارهم في أكثر الأحيان انطلاقاً من اعتبارات أخرى خاصة بتلك الدول، خارجة عن إطار الكفاءة المطلوبة للوظيفة التي اختيروا من أجلها.مضيفاً اعتقاده بأن تلك الدول بحاجة دائماً لتطوير أجهزتها وكوادرها الإعلامية لتتماشى مع احتياجات العمل المطلوب في عصر تكنولوجيا الاتصال والإعلام المتطورة، وفي هذا المجال يمكن أن تسهم المنظمات الدولية والدول المتقدمة في العالم في هذا الجانب ، بتقديم المساعدة لتلك الدول للولوج في عملية الحوار الثقافي العالمي الجاري بين الحضارات في عصرنا الراهن.يختتم المؤلف طرحه لهذا الموضوع بأهمية وسائل الاتصال والإعلام الجماهيرية كونها قد عززت وجودها على ساحة الدبلوماسية الشعبية وتعمل إلى جانب الدبلوماسية الرسمية لتنفيذ المهام المنوطة بها ضمن السياسة الخارجية للدولة في عصر العولمة والانفتاح وأصبح لها دوراً لايستهان به في إطار التبادل الإعلامي الدولي والعلاقات الدولية المعاصرة.

التبادل الإعلامي من وجهة نظر الأمن القوميبدأ المؤلف في بداية هذا الموضوع بعرض معلومات عن الأمن القومي بشكل عام ويخل في تفصيلات عن المهام والجوانب والخصائص للأمن القومي مبيناً أهمية الدور الفعال التي يؤديه في الدولة في كونها تهدف بشكل عام لدعم قوة الدولة في مواجهة غيرها من الدول بما يمكنها من المحافظة على استقلال كيانها الوطني ووحدة أراضيها منتقلاً بذلك إلى أن نجاح الأمن يرتبط بالقوى البشرية والمصادر المتاحة التي تمتلكها الدولة مبيناً أن ما يجعل الأمن القومي حقيقي وواقعي هو التوازن بين المصادر المتاحة والأهداف المراد تحقيقها .يؤكد المؤلف بعد ذلك أن ما يثير قيام الدول بجمع المعلومات اللازمة لها عن غيرها من الدول قضية هامة وحساسة، وهي أن المعلومات التي قد تحصل عليها دولة ما بالطرق المباشرة أو عن طريق الغير من الدول، عن طريق دولة أخرى قد تؤثر على أمنها القومي، وخاصة إذا تعلق الأمر بمعلومات تراها الدولة المعنية مرتبطة بأمنها القومي وسلامتها

كدولة، ومن ثم فمن الضروري التفرقة بين المعلومات التي يترتب عن الحصول عليها مساس بأمن الدولة وسلامتها، وتلك المعلومات التي لا ينطبق عليها هذا الوصف..وهناك جملة أخرى من المشكلات التي ترتبط بقيام دولة ما، بالحصول على المعلومات عن غيرها من الدول بغير الطرق المشروعة أو العلنية. تستخدمها في مجال الضغوط السياسية ؟! ومدى مسؤولية الدولة التي حصلت على هذه المعلومات، إذا قامت بتزويد دولة ثالثة بتلك المعلومات التي حصلت عليها.. وهو صراع بين حرية نقل المعلومات، والتمسك بالسيادة القومية، و ذلك تأكيد بأن الحدود السياسية والموانع الجغرافية لم تعد صعبة الاختراق، بل وأصبحت أقل صموداً أمام التقدم التكنولوجي، وأصبح الإطار الجديد للتنافس بين الدول في العالم، اقتصاديا وإعلامياً

التخطيط الإعلامي من شروط نجاح الحملات الإعلامية على ضوء التقدم العلمي والتكنولوجي الهائل في مجال وسائل الاتصال الجماهيرية، الذي أحدث آثاراً بالغة أحدث تغييرات جوهرية في العلاقات الدولية المعاصرة وهي التي أثرت بدورها على دور الدولة التي كانت تحتكر في السابق السياسة الدولية، زاد من تفاعل المجتمعات الدولية، لتصبح عملية التبادل الإعلامي الدولي أكثر يسراً وسهولة، يحاول المؤلف طرح التفاصيل في هذه الموضوع للتأكيد على أهمية التخطيط الإعلامي ومن أهمية التنسيق بين جهود مختلف الجهات على الساحتين المحلية والدولية.ويؤكد أن تخطيط العمل الإعلامي من أساسيات التبادل الإعلامي الدولي، ويتم عادة من خلال تحديد الأهداف العامة للخطة الإعلامية التي يجب أن تراعي متطلبات الأمن الوطني والسياستين الداخلية والخارجية للدولة، وحشد الإمكانيات المادية والتقنية والبشرية وتصنيفها، وتحديد الوسائل والفترة الزمنية اللازمة لتنفيذها، مع مراعاة دقيقة للمصاريف، والجدوى الاقتصادية والسياسية من الخطة الإعلامية.

الخاتمة في الختام ترتسم صورة واضحة حول التأكيد على أهمية التبادل الإعلامي في حياة الأمم المعاصرة والعلاقات فيما بينها في ظل النظام الدولي الراهن واعتباره جزء لا يتجزأ من السياسة الخارجية للدول المستقلة ووسيلة فاعلة من الوسائل التي تحقق بعض الأهداف السياسية الخارجية لكل دولة داخل المجتمع الدولي ومواكبة التطور التكنولوجي وما صاحب الثورة التكنولوجية والمعلوماتية من تأثير متقدم في هذا المجال الأمر الذي جعل أن المشكلة لا تكمن في حجم وتنوع وانتشار وسائل الأعلام بل في السلطة المفروضة والمتحققة في الواقع والتي تتشكل عبر تلك المنظومة وتداخل مساراتها في كل نواحي الحياة الذي يوحي بخطر اكتسب أبعاداً كبيرة هو السيطرة الثقافية التي تتخذ شكل الاعتماد على نماذج مستوردة تعكس قيماً وأساليب غريبة وتتعرض الذاتية الثقافية

للخطر من جراء التأثير الطاغي للأمم القوية على بعض الثقافات القومية ومنها الجانب السياسي بشكل عام والعلاقات الدولية المعاصرة بشكل خاص، وما هذا إلى نتيجة العولمة التي تبقى عملية تتمخض عن فضاءات متناقضة مطبوعة بالصراع ، بالتمايز الداخلي وبأشكال العبور الدائمة للحدود بهدف تشكيل دولة وثقافة عالميتين تؤدي إلى تصادم الحضارات وما يؤكد ذلك هو ما جعل المؤسسات الإعلامية في القرن الواحد والعشرين مراكز قوة سياسية واقتصادية في آن واحد ولكن مع ذلك مازالت عملية التبادل الإعلامي الدولي بعيدة عن التكافؤ بين من يملك ولا يملك وسائل معلوماتية وإعلام واتصال جماهيرية حديثة .وقيام المؤلف بتأليف هذا الكتاب أعطى تصوراً عن كل ما سبق خصوصاً وأن ما ساعد على ذلك هو قدرة في كتابة و تسلسل مواضيع الكتاب كونه يختص في مجال العلاقات الدولية المعاصرة من جانب والإعلام من جانب آخر على ربط تأثير العولمة على التبادل الإعلامي وأثرهما على بشكل خاص على مسيرة العلاقات الدولية المعاصرة وأعتقد أنه مرجع يجيب على بعض علامات الاستفهام الباحثة عن المعرفة في مجال العلاقات الدولية وتأثير التبادل الإعلامي الدولي عليها ولكن الكاتب لم يتوسع أكثر في موضوع الليبرالية الثقافية وولوجها في عالم التبادل الإعلامي باختراقها المجتمعات شرقاً وغرباً إضافة إلى ذلك نشر العولمة لأفكار الثقافة الليبرالية وخصوصاً في النصف الثاني من القرن العشرين واستمرارها لتشمل القرن الواحد والعشرين ،ومناقشة تأثيرها على جوانب العلاقات الدولية المعاصرة ،و كذلك موضوع العلمنة والمناقشات والجدل التي دارت حول إضفاء صفة العلمنة على طبيعة العلاقات الدولية المعاصرة عبر تأثير وسائل التبادل الإعلامي الدولي وموقف الدول الإسلامية من ذلك .في الختام قد يكون التطور المستقل للمنظومات الثقافية ، والتحرر من سيرورات المزامنة الثقافية أمر ضروري لبقاء المجتمعات واستمرارها ولكن مع الأخذ من تلك التطورات ما يلاءم النظام الثقافي لكل دولة.

خاتمة

ما يمكن أن نختم به بحثنا هو التنويه إلى أن من أهم مظاهر العولمة الإعلامية التي جعلت العالم شبه ضاحية صغيرة في مدينة كبيرة، هو الانفجار المعلوماتي، أو الثورة المعلوماتية، التي سيرتها الثورة الاتصالية، الأمر الذي كان له تأثيره الكبير على المستوى السياسي و الاقتصادي، والاجتماعي و على التركيبة القيمية، التي تميز البناء الفكري و الثقافي لشعوب العالم، فان ما يمكن أن توصف به العلاقة بين "تكنولوجيا المعلومات" و "تكنولوجيا الاتصال" هو الاندماج و التداخل، و ذلك راجع إلى سيادة النظام الرقمي، فالمرحلة الراهنة لثورة المعلومات تُبرز اندماج تقنياتها المختلفة مع وسائل الاتصال، مما أدى إلى ظهور مفهوم "التكنولوجيا الحديثة للاتصال" الذي اثر بشكل كبير على وسائل الاتصال و عظّم من تأثيراتها المجتمعية على كافة المستويات، ويمثل هذا المفهوم بنية تحتية اخترقت جميع مجالات النشاط الاجتماعي والاقتصادي والثقافي.

المراجع

1. مقلد (اسماعيل صبري)، الستراتيجية والسياسة الدولية، بيروت، مؤسسة الأبحاث العربية، 1979 .
2. العولمة أو الكوننة أو الكوكبة تعبير مستورد، معرّب عن الإنكليزية Globalisation وترجمه الفرنسيون عن الأميركية بـ Mondialisation أو ما يرادف العالمية، ونجد هذا التعبير في لغات العالم كلها.
3. حسيب (د. خيرالدين)، ندوة العرب والعولمة، بيروت 18 - 20 كانون الأول 1997.
4. السيد يسين، لبنان والعولمة وحوار الحضارات، ندوة لبنان والتحولات الإقليمية والدولية، بيروت، إنطاكية للدراسات والأبحاث، 2 - 5 أيلول 1997، ص 66.
5. حسيب (د. خيرالدين)، المرجع نفسه.
6. لم نعثر على هذا المثل الشعبي في أيٍّمن الكتب السماوية، وهو ينم بالطبع عن افتراض القيامة قبل حلول العام 2000، وهناك اعتقاد أنه شاع بعدما خطت البشرية فوق الألف الأول.
7. لقد نشرت صحف العالم ومنها الصحف اللبنانية بالطبع عرضاً لمهاريشي على كل حكومات العالم فكرة العولمة عبر التحالف مع حكومة الطبيعة لإحلال نعمة الجنة على الأرض، وذلك بتجنيد الحقل الموحد للقانون الطبيعي ورفع مستوى كافة ميادين الحياة نحو الكمال. جريدة السفير، تموز - 1992.
8. العصر الذهبي في الانتشار للفكر الديني.
9. عنوان كتاب فرنسيس فوكوياما، بيروت، مركز الإنماء القومي، 1993.
10. روزناو (جيمس)، دينامية العولمة، نحو صياغة عملية، القاهرة، مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية، كانون الثاني، 1997.
11. السيد يسين، في مفهوم العولمة، ندوة العرب والعولمة، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 18 - 20 كانون الأول - ديسمبر 1997.
12. يكفي الإطلاع على وثائق الندوات الثلاث التي تمحورت حول العولمة عبر بعض الأوراق المقدمة والمداخلات الشفهية لإدراك مدى سطحية أو ارتجالية الكلام عن محاربة العولمة والعمل على إيقافها من دون الإشارة إلى مخاطرها الفعلية بشكل علمي، إذ لم تتمكن هذه النشاطات من رسم نسق قيمي يدخلنا كعرب "صراع الحضارات:"
13. ندوة تونس، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، 17 - 21 تشرين الثاني، 1997.
14. ندوة بيروت، إنطاكية للدراسات والأبحاث، 2 - 5 أيلول 1997.
15. ندوة بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 18 - 20 كانون الأول 1997.
16. لا يقتصر هذا المنطق "العدائي" للعولمة على العرب بل يتعداه إلى الفكر الخاص ببعض المجموعة الأوروبية.
17. من تقرير صندوق النقد الدولي حول توقعات الاقتصاد العالمي، أيار، 1997.
18. العظم (د. صادق جلال)، ما هي العولمة، ندوة تونس. كما ورد في ورقة السيد يسين، ندوة بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية. المرجع نفسه.
19. -CARDOSO (F.H.), Les technologies d'information et de communication dans le sud; la mondialisation forcée, revue Tiers-Monde, no. 138, avril - juin, 1994.

20. روزناو، المرجع نفسه.
21. وردت هذه القصة في مقال الصحافي الأميركي توماس فريدمان في النيويورك تايمز، 20 أيلول 1997، وقد أشار إليها الدكتور محمد الأطرش في ندوة العولمة، مركز دراسات الوحدة العربية، في ورقته العرب والعولمة.
22. مع الدكتور خيري حماد في جريدة النهار، الجمعة 31 تشرين الأول 1997.
23. غليون (د. برهان)، العولمة وخطر الانفجار، شؤون الأوسط، العدد 52، حزيران 1996.
24. -24 راجع السعيدي (د. ناصر)، أسواق رأس المال الدولية والتنمية الاقتصادية في البلدان العربية، مجلة الدفاع الوطني، بيروت، عدد 23، 1998.
25. عتريسي (د. طلال)، في مفهوم العولمة، ندوة مركز دراسات الوحدة العربية.
26. راجع لكاتب هذا البحث، الكتابة الإعلامية - مبادئ وأصول، بيروت، دار كرباج للنشر، 1998.
27. فوكوياما (فرنسيس)، المرجع نفسه، ص 94.
28. ما برحت الجامعات في ألمانيا تلزم الطلاب فيها دراسة الفلسفة كتمهيد ضروري للحياة والشهادات الأكاديمية مهما كان نوع الاختصاص.
29. حول هذا الانقلاب في مفاهيم السوق، ولمزيد من التفاصيل عن دور Ernest DITCHERو Louis CHESKINراجع PACKARD (Vance), La persuasion clandestine, Paris, Calmann - Lévy, 1958, pp29. :
30. فوكوياما (فرنسيس)، المرجع نفسه ص 123.
31. تم وضع هذا الجدول بالعودة إلى:
32. علي (د. نبيل)، العرب وعصر المعلومات، الكويت، عالم المعرفة، عدد 184، 1994.
33. راجع: علي (فاروق ابراهيم)، الأقمار الصناعية وتكنولوجيا الاتصالات، مجلة الدراسات الإعلامية، المركز العربي للدراسات الإعلامية، القاهرة، العدد 54، 1989.
34. علي (د. نبيل)، المرجع نفسه، ص 76 وما بعدها.
35. وراجع أيضاً لكاتب هذا البحث، الإعلام والإعلان من الميم إلى النون، النهار، 15 كانون الأول، 1997.
36. طلبه (صلاح الدين)، الثورة الحالية في أساليب الاتصال، الكويت، عالم الفكر، المجلد الرابع عشر، العدد الرابع، آذار / مارس 1984، ص 13.
37. علي (د. نبيل)، المرجع نفسه.
38. راجع مجلة ميديا بوفوار Médias - pouvoirs, ibid.
39. علي (د. نبيل)، المرجع نفسه.
40. -Le Monde diplomatique, Août, 1995, ibid.
41. -Al Gore, ibid.
42. الكاتب، الإنتاج وازدواجية الاستبداد، الفكر العربي المعاصر، عدد 35، بيروت، 1985، ص 48.
43. بول كير كبرايد، العولمة، الضغوط الخارجية، ترجمة رياض الأبرش، (مكتبة العبيكات، آشردج، مكتبة ملك فهد الوطنية، الرياض, السعودية 2003)
44. رحيمة عيساني: الآثار الاجتماعية و الثقافية للعولمة الإعلامية على جمهور الفضائيات الأجنبية، (أطروحة دكتوراه)، جامعة الجزائر، سنة 2005.